


رواية

# كربون ١٤

"لمن أدركوا النجاة في اللحظة الأخيرة"

محمد فؤاد عيسي

دار دوّن




# كربون ١٤

محمد فؤاد عيسى: كربون 14، رواية
الطبعة الأولى يناير ٢٠١٧
رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢١٦٤٥ - الترقيم الدولي: 978-977-806-021-5

عضو إتحاد الناشرين المصريين.
القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053
info@dardawen.com
www.Dardawen.com

# كربون ١٤

رواية

محمد فؤاد عيسى



إلى..

أبي وأمي

هما منبع إبداعي

أخواتي سامح و هدى وهدير

السند القوي لي

زوجتي شيماء

سبب نجاحي الحقيقي

و هدية الله ابني أياد

# إهداء

إلي الذين أدركوا النجاة في اللحظة الأخيرة

***

بداخل كل فرد منا نوح..يصنع سفينته وينتظر الطوفان

نوح راح لحاله والطوفان استمر

مركبنا تايهه ولسه مش لاقيه بر

آه م الطوفان واهين عليك يا بر

ازاي تقدر تبان والدنيا غرقانه شر

عجبـــــــــي

**العبقري: صلاح جاهين**





# الفصل الأول

## حسن

في تلك الليلة كان الأمر مختلفًا، استيقظت قبيل الفجر وقد تعلقت في ذهني فكرة لأول مرة تخطر إليّ، عندما بدأت أستعيد جزءًا من وعيي نظرت إلى سندس النائمة جواري أتأمل ملامحها، من عادتي بعد أن وطأت قدمي أرض الفيروز أن أستيقظ صباحا وأذهب إلى نوح لأساعده في مشروعنا الصغير، إلا أن تلك الفكرة التي خطرت على بالي الآن استحوذت على تماما.

هي في الأساس ليست فكرة ولكن إذا صح التعبير الذي أيقظني إنما هي رسالة.. رسالة إلى ولدي القادم.

كان قراري أن أتجه إلى التبة التي أجلس عليها دوما في خليج «فيورد».

أمسكت هاتفي المحمول وضغطت على زر التسجيل، بدت الفكرة لي في أولها غريبة، قمت بإعادة الثواني التي سجلتها متعجبا من رداءة صوتي.

كان البدر يتوسط السماء ويعكس ضوءه على صفحة الماء ويلقى ظلال الجبلين في الأفق البعيد، تذكرت لوحة الطوفان التي رسمها نوح منذ عام أو أكثر.

ضغطت على زر التسجيل قائلًا:

«أصبحت على يقين أن أخطاء الماضي قد تجنبنا أخطاء المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، وكم كانت في قصة الطوفان عبرة لم يتعلم





منها إلا القليلون الذين أرادوا أن يعبروا إلى شاطئ النجاة أيًا كان هو، دون أن يخسروا أنفسهم قبل أن يخسروا أرواحهم، لا تخسر روحك يا صغيري القادم، فهي المكسب الأكبر في تلك الحياة».

كان المنظر خلابًا، وقد بدأت خيوط الشمس الأولي تتدفق إلى السماء بلونها القرمزي الجميل، ضغطت على زر التسجيل مرة أخرى قبل أن ألمح سندس وهي تسير حافية القدمين على الشاطئ أسفل التبة، أشارت إليّ مبتسمة وهي تناديني «حسن» فابتسمت لها، وبدأت أتذكر أحداث الماضي قائلًا:

«ما حدث في الماضي كان مؤلما لنا جميعا إلا أن ترابطنا صنع لنا جسرًا استطعنا أن نعبر به وننقذ ما تبقي من أرواحنا التي ظلت عالقة بين الألم والأمل».

***



# - 1 -

علي مقعد وثير، جلست سندس مغمضة العينين تتابع بأذنيها دقات عقارب الساعة المعلقة أمامها على جدار الغرفة الواسعة، يتخللها صوت سيدة ناعم وعذب يرسم داخل عقلها لوحات متتابعة سريعة، صوت جعلها تجلب الماضي البعيد إليها.

جلست هالة على المقعد المقابل لسندس تتحدث وتتابع جفونها المغلقة على محجريها، تعلو بصوتها ثم تنخفض كموج بحر يداعب الذكريات، كانت سندس تستمع إلى إيقاع العقارب وتحرك قدميها مع الإيقاع وتسبح في ذاكرتها، تتصاعد الأحداث لتتذكر ما يجلب لها المعاني التائهة بين حطام الماضي ورغبات الحاضر، كانت الغرفة واسعة يتوسطها مكتب مودرن أبيض ذو أرجل زرقاء، جدران الغرفة لونها أبيض، الجدار المقابل للمكتب لونه سماوي والإضاءة خافته، أما النوافذ فكانت مغلقة بإحكام لتمنع ضجيج السيارات المارة في الشارع المزدحم بوسط المدينة.

كانت تحاول في تلك اللحظة أن تعيد مرة أخرى ما فقدته من أيام خلت، تحدثت هالة بصوت رخيم وسندس مغمضة العينين:

- أنت الآن بداخل غرفة وحدك .. أغمضي عينيك .. ثم افتحيهما مرة أخرى عندما أصل إلى رقم أربعة في الأعداد.. ثم صفِي لي ما ترينه.

جاءها نوح يهيم على أديم الأرض قادم إليها يحمل بين راحتيه لوحة رسمها منذ شهور مضت، مغطاة بقماشة بالية باهتة البياض، ابتسم لها وأعطاها ما في يده ثم عاد من حيث أتي، جلست على





الأرض وأزاحت قطعة القماش، فرأت ما رسمه نوح، كان مرسوم فيها مركب خشبي صغير في وسط البحر يتوسطه شاب في العشرين من عمره يحاول أن يستعيد توازنه الذي اختل بسبب الأمواج العاتية، الأمطار تهبط بقوة وفي الخلف رُسم القمر مكتملًا بعد أن احتجب جزء منه خلف جبل.

جلبت الأحداث من طودها القوي في العقل الباطن ليداعب العقل الواعي، مازالت عيناها تتحركان داخل مقلتيها بسرعة ككرتين يلهو بهما طفل صغير، تتنفس بسرعة كبيرة فيتصاعد صدرها إلى أعلي وإلي أسفل، ما لبثت حتى قبضت بكفيها على ذراع المقعد بقوة، لاحظت هالة ذلك فدنت منها قائلة:

- عندما أصل إلى رقم أربعة في الأعداد.. افتحي عينيك.

و ما إن سمعت الرقم حتى طفر الدمع من عينيها وهي تفتحهما فبدت كقرص الشمس عند الغروب من شدة الإحمرار، اقتربت هالة ووضعت يدها على يد سندس في محاولة منها أن تخلص ذراع المقعد من قبضتها، قالت لها باسمة:

- أتريدِين كوب مياه؟

أومأت برأسها، ما زالت عيناها شديدتي الإحمرار والدموع تنساب على وجنتيها مرورًا بنغزتين طبعت عليهما.

بعد ثوان أخذت سندس تتجول بعينيها داخل الغرفة في محاولة لتعيد نفسها إلى الواقع، قطع مسار نظرها جسد هالة القابع أمامها وهي تمد لها يدها بكوب الماء، أخذت تشرب وهي تحدق إلى عقارب الساعة التي اختفي صوتها فجأة بعد أن عادت إلى الواقع، سألتها هالة وهي تجلس خلف المكتب:

- هل تستطيعين أن تخبريني ماذا استعدت من الذاكرة؟

أجابتها سندس بصوت خفيض:





- لوحة رسمها نوح

ابتسمت لها هالة ذات الأربعة والثلاثين ربيعًا كاشفة عن أسنان بيضاء غير منسقة:

- أمن الممكن أن ترفعي صوتك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتنفس ببطء وقد بدا على ملامحها الهدوء:

- لوحة قد رسمها نوح منذ شهور مضت.. اسماها الطوفان

سألتها هالة في ود:

- من فضلك أريدك أن تصفي لي تلك اللوحة؟

شعرت سندس بالإرهاق ولكن لابد أن تقص عليها ما رأته، طفقت تصف لها ما رُسم في اللوحة وهالة تتابع ما تصفه سندس بالكلمات وتدون في دفتر المتابعة الخاص بها، أفضت سندس بحديثها عن اللوحة حتى بدا لهالة أن ما تقوله سندس يستوجب التوقف عن الحديث.

في الخارج جلس «خالد الطماوي» واضعًا ساقًا فوق الأخرى وممسكًا بهاتفه المحمول يتحدث فيه بهدوء، سيجارته لا تفارق فاهه، يدخن بشراهة ويرتدي حقيبة صغيرة يضع بداخلها محفظته وأوراق التبغ وعلبة سجائر معدنية، ما إن ينتهي من سيجارته حتى يضع ماكينة لف السجائر المعدنية على فخذيه ويبدأ في صنع سيجارة أخرى،انتهي من مكالمته مع انتهاء السيجارة، تقدم إلى مدخل العيادة ووقف يقرأ اللوحة المعلقة على الجدار المجاور للباب:

| (هالة إبراهيم أخصائي علاج بالتنويم الإيحائي) |
|---|

حك رأسه وعاد مرة أخرى يجري اتصالاته، رجع إلى مكان جلوسه وهو يتحدث في الهاتف، نظر إلى الفتاة ذات الشعر الأسود والعينين





البنيتين الواسعتين والأنف الصغيرة، كانت جالسة خلف مكتب الاستقبال تقلب في الأوراق رفعت عينيها إليه، نظر لها ثم ابتسم، فابتسمت،

كان شابًا طويلًا بشرته مائلة للسمرة، أسنانه بيضاء، وعيناه العسليتان الجريئتان وشعره الأسود الداكن ووجهه المألوف للقاءاته التليفزيونية كمخرج للإعلانات والفيديو كليب جعلت منه محط أنظار الفتيات، لذلك لم تتردد الفتاة في أن تبادله الابتسامة في غنج، عاد بنظره مرة أخرى إلى الهاتف وأخذ يقلب الصور إلى أن تصادفت عينه بصور عقد قرانه مع سندس، كان ذلك قبل الحادثة، بعد أن حدثت الفاجعة اقترح على سندس أن تذهب إلى الطبيبة والمعالجة النفسية هالة إبراهيم، حتى تساعدها فيما أصابها من صدمة جعلتها تفقد اتزانها المعتاد.

في السيارة وقبل أن يعودا أخرج لفافة التبغ وفردها على فخذه وبدأ في وضع أوراق التبغ ليصنع سيجارته.. وضعها كجثة مفتوحة أحشاؤها داخل العلبة الحديد، ضغط ضغطة قوية فخرجت السيجارة ملفوفة جاهزة للاحتراق، جلست سندس جواره وأشارت له أن يسير وهي تتابع هذه العملية المألوفة لديها، أشعل سيجارته ونفس دخانها في الزجاج الأمامي للسيارة، أخذ يتأمل الدخان وهو يسير على سطح الزجاج ثم أولج المفتاح وأدار محرك السيارة وانطلق مسرعا، مد يده وأدار محرك بحث القنوات الإذاعية حتى استقر على إذاعة نجوم إف إم، نظر في ساعته قائلًا:

- من المؤكد أن الإعلان سيذاع في برنامج أجمد سبعة الساعة سبعة.. أريدك أن تنصتي جيدا، أنا من قمت بتنفيذ هذا الإعلان في شركتي.

رنت له سندس وهي غائبة عما يقوله، تعجبت من كونه لم يسألها عما جري مع المعالجة، أردف سائلا:





- أترغبين في الذهاب إلى مكان ما؟

أجابته بضعف:

- لا أنا متعبة أريد أن أذهب إلى البيت إذا سمحت .

نفث دخان سيجارته في الهواء الطلق وهو يتابع بتركيز شديد الإعلان على أثير الإذاعـة، غرقت سندس في ظلام الذكريات، أغمضت عينيها وبدأت تحاول أن تتذكر، الأحداث تتلاحق في ذاكرتها كوميض يسرق البصر، لم تشعر بالوقت ولا الطريق، ربت خالد على كتفها قائلًا :

- سندس.. وصلنا

فتحت عينيها ببطء، اعتدلت في جلستها وأخذت تتأمل ملامحه وهي تحدق إليه بشدة ثم أدارت رأسها يمينًا ثم يسارًا تتأمل المكان، ابتسم لها وأوقف محرك السيارة، بدأت تستعيد وعيها كاملًا، فتحت الباب وهبطت إلى مدخل البناية التي تسكن فيها، صعدت درجات سلم المدخل ببطء وهي تستند بكفها على الحائط، ظل يتابعها بنظره أشعل سيجارة ثم أدار محرك السيارة وانطلق، في حين تقدمت هي إلى المصعد الكهربائي ودلفت إليه، احتضنها فاختفت وهو يصعد بها إلى الأعلى، وفي طريق المصعد إلى الطابق الخامس وقفت تتأمل ملامحها في مرآته وتمسح بكفيها على وجها، ظهر لها ما حدث وآثاره الواضحة عليها وما لبث أن ضاق صدرها بكل ما كان، فبدأت في البكاء، ثم داعبتها بعض الذكريات الجميلة كنسيم الربيع يداعب الزهور فلم تجد لها شيئًا، كل ما تحمله في الذاكرة هو مرارة الفراق والألم، انتبهت حين توقف المصعد عند الطابق الخامس، ودعت وجهها في المرآة وأدارت جسدها وخرجت من المصعد .





## - 2 -

# قبل الاختفاء بخمسة شهور...

في أحد المجمعات السكنية الجديدة بمدينة السادس من أكتوبر، أسرعت سيارة الإسعاف تدوي في الطرقات، ٦ طلقات سمعت تنطلق من مسدس عيار ٩ مللي داخل الحي الهادئ، فأسرعت امرأة إلى الشرفة فلمحت أحد الأشخاص يجري في الطريق وهو يرتدي سترة زرقاء ويرتدي قبعة على رأسه، حضرت الشرطة فوجدت رجلًا في الأربعينيات من عمره يجلس في سيارته التي توسطت الطريق وتخرج الدماء من رأسه وقد أصيب بطلقات نارية، بدا لرجال المباحث أن الرجل لم يحاول حتى أن يدافع عن نفسه أو يتحرك فقد كان جالسًا في مقعد القيادة مرتديًا حزام الأمان، ظلت المباحث على مدار الساعات والأيام تبحث عن أي دليل يقودهم إلى الجاني، وفي صباح اليوم الثالث من البحث وجدت سترة زرقاء وعلي مقربه منها وجد ثلاث مفاتيح في ميدالية واحدة، أسرع فريق البحث الجنائي وأرسل المفاتيح والسترة إلى المعمل الجنائي، اجتمع الدكتور شوقي بفريق العمل الموكل له القضية، كانت سندس وحسن مكي هما من سيقومان بتشريح جثة المتوفي ومعاينة السترة والمفاتيح وكتابة التقارير التي تفي بالمعلومات الكافية لتحديد هوية القاتل، استغرق حسن يومين كاملين لتشريح الجثة ومعرفة سبب الوفاة، بينما أخذت سندس السترة وبدأت في فحص أنسجتها، دخل حسن المعمل وهي منهمكة في فحص السترة، اقترب منها متسائلًا:





- هل توصلت لشيء؟

كانت سندس تمسك بيدها قضيبًا مصنوعًا من الألمونيوم ومزودًا بشريط كربوني على السطح، نظرت له وبدت منهمكة قائلة:

- في حالة إطلاق أعيرة نارية تتكون سحابة من الغاز .. تترسب هذه الذرات على أي سطح في المساحة المجاورة لمكان إطلاق النار.

- معنى هذا أن هذه السترة ستثبت أن صاحبها من أطلق النار

أجابته سندس مؤكدة لكلامه بحماس:

- بالظبط .

ثم أردفت قائلة:

- واستكمالًا لعملية التأكيد .. سآخذ عينات الذرات ثم أعرضها على الأشعة السينية .. إذا احتوت هذه الذرات على ثلاثة عناصر هي (الرصاص والآنتومي والباريم ) يصبح هذا الغبار قد خرج من المسدس .

بينما كان الحوار الدائر بين سندس وحسن عن السترة، كان رجال المباحث قد كونوا عدة فرق لفحص الشقق الموجودة في المنطقة السكنية ومطابقة المفاتيح التي وجدت بالقرب من مكان الحادث بأبواب الشقق، تطلب هذا تكوين أحد عشر فريقًا، الذين جالوا المجمع السكني الصغير بحثًا عن الشقة صاحبة المفتاح ولكن المحاولة باءت بالفشل، لم يعثروا على أي شقة يتطابق معها المفتاح .

أخذ رجال المباحث التفكير فيما هو أبعد من ذلك، بمعاينة المنطقة المجاورة للمنطقة السكنية اتضح أنه بالقرب منها توجد مقابر، أسرعت الفرق التي أعدت من ذي قبل للتحقق من المفتاح في المجمع السكني إلى المقابر ومداهمتها، وبينما كانت القوات تقتحم المكان في وضح النهار، كان السكون يعم المكان، وكانت الأموات في القبور راقدة بين يد الله العادل، فتجلت صورة العدل





فوق الأرض وتحتها .

استدعى قائد قوات البحث الغفير المسئول عن المقابر، بعد أن طوقت وحاصرت المداخل والمخارج، امتثل الرجل أمام قائد المجموعات، وسأله المساعدة في فحص كل الأماكن التي يسكن فيها المقابر، لم يتطرق الرجل إلى التفاصيل وأسرع لمساعدتهم، انتشرت الفرق تجوب بحثا عن الباب المراد .

وبعد أن توسطت الشمس في السماء وأرسلت أشعتها العمودية على الأرض، صاح أحد أعضاء الفريق الثالث في الجهاز اللاسلكي:

- وجدنا الباب ..

اقتحمت الفرقة المقبرة التي فتحت بالمفتاح، كان المكان عبارة عن غرفة تقيم فيها عائلة بجوار المقبرة التي تدفن فيها الأموات.

قبضت الشرطة على القاتل وكان شاب في العشرين من عمره وقادته إلى القسم.

في ذلك الأثناء كانت سندس تفحص باقي أنسجة السترة ووجدت خلايا مجهرية في ياقة السترة، ربما كانت ناجمة عن العرق، وفيما بعد أثبتت العينة من الحمض النووي مطابقتها مع عينة من القاتل.

بعد تميز سندس في الحادث السابق أصبح الدكتور شوقي يعتمد عليها في الحوادث التي يحيطها لغز صعب، استدعاها في غرفة التشريح ذات يوم، دلفت إلى الغرفة فوجدت دكتور شوقي وحسن مكي وكمال رمزي، ما إن رآها كمال حتى خرج من المكان، نظرت سندس إلى الدكتور شوقي متعجبة، هز رأسه ثم نظر إلى عظمة الفخذ الممددة أمامه على طاولة التشريح وهي ملفوفة بقماشة بيضاء بالية .

سأل الدكتور شوقي في هدوئه المعتاد هل لدى أحد أي تعليق؟

نظر كلاهما إلى بعض وقالت سندس:

- يبدو من المعاينة المبدئية أن تلك العظمة قد دفنت لفترة كبيرة

في منطقة صحراوية .

نظر الدكتور شوقي الى حسن الذي قال:

- أتفق مع سندس .

سألها دكتور شوقي قائلًا:

- وكيف عرفت ذلك؟

- إن كانت التربة طينية لظهر أثر ذلك على العظمة .

ثم أمسكت العظمة وقالت:

- يظهر عليها الجفاف والرطوبة .

ظل حسن معلقًا بصره على العظمة ثم قال:

- أين وجدت تلك العظمة؟

مط الدكتور شوقي شفتيه أما سندس سألته قائلة:

- ولماذا تريد أن تعرف المكان؟

- يجب أن نعرف المكان بالتحديد وبناء عليه سنعرف كيف نمضي قدمًا في بحثنا

قال دكتور شوقي متعجبًا:

- ما الذي ترمين إليه؟

قال حسن:

- إن وجدت في منطقة أثرية وهذا ظني الأول سنبدأ على الفور تحليل كربون ١٤

ابتسمت سندس وقالت:

- لا أظن أن تحليل كربون ١٤ سيجدي نفعًا معنا .

فقال دكتور شوقي:

- لماذا ؟

- لقد قرأت بحثا منذ فترة ناقش فيه أنه بعد الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان حدث خلل وتداخل بين كربون ١٤





وكربون ١٢ وأوصي البحث أن تحليل كربون ١٤ لن يستطيع أن يحدد بدقة متى كانت الوفاة، لذلك يجب أن نعرف أولا أين وجدت العظمة، فإن كانت المنطقة أثرية سنستعين بوزارة الآثار في معرفة صاحب تلك العظمة، أما إذا كانت في منطقة حديثة فهذا كلام آخر

نظر دكتور شوقي إلى حسن وقال:

- من فضلك تواصل مع مديرية الأمن لمعرفة أي منطقة وجدت فيها تلك العظمة

ثم نظر إلى سندس وقال:

- دائما متفوقة .

لمحت سندس حسن يتمتم بشيء ما بين شفتيه وبعد انصراف دكتور شوقي سألته عما قاله فرد عليها:

- إن قراءة التاريخ والحاضر قد لا تحتاج إلى بصر قدر ما تحتاج إلى البصيرة.

فأومأت برأسها متفهمة مقصده ثم انصرفا .

***

في أحد استديوهات التصوير جلس خالد وهو يتابع مشاهد الفيديو كليب المرسومة على لوحة كبيرة معلقة أمامه، أعد سيجارته وبدأ في نفث دخانها، وضع عامل البوفيه فنجان القهوة أمامه وانصرف، كان المكان مزدحمًا بالعاملين وغيرهم من القائمين على العمل، بينما وهو مندمج في المشاهد ؛ اقتربت منه فتاة ذات ملامح أوروبية تعمل موديل في الكليب، انتبه لها بعد أن قطعت تفكيره، نظر لها شذرا، وعاد مرة أخرى إلى اللوحة، قاطعت نظراته قائلة:

- هل سنستغرق وقتًا طويلًا لنبدأ التصوير؟

اندفعت الكلمات من فمه بقوة قائلًا :

- هل ستحققين معي أم ماذا؟؟ عندما تسمعين كلمة تصوير سنبدأ .. تفضلي

- ماذا بك يا خالد؟ لماذا تتحدث إليّ بغضب؟

- اسمعيني جيدا.. لن أضيع وقتي معك في حواديت العشاق.. انهضي واستعدي للتصوير فهناك منتج دفع ماله لكيلا تجلسين تتسامرين معي.

ثم صاح بصوتٍ عالٍ:

- أين مساعد المخرج؟؟ أين أنت يا أستاذة نيهال؟

دنا منه شاب في العشرينات من عمره في قمة أناقته، بدا متعجبا مما يحدث حوله، ما إن اقترب من خالد حتى باغته بسؤال:

- ماذا يحدث يا خالد.. لماذا نحن متأخرين في التصوير؟ .. نصف ساعة مضت وأنا جاهز في غرفتي.

- لا شيء.. فأنا أعدل في كادرات وزوايا التصوير حتى يخرج العمل بشكل يجعله يعرض على قنوات مزيكا ليل نهار .. إذا خرج الكليب كما أراه لن يتوقف عرضه في القنوات وسيحصل على أعلي نسبة مشاهدة على موقع اليوتيوب.

وضع خالد يده في جيبه ومدها إلى الشاب وأعطي له قطعة ملفوفة ثم أردف قائلًا:

- خذ- الآنتوشة - وادخل إلى غرفتك وأفرغ منها .. خمس عشرة دقيقة وسوف أصيح بكلاك.

التقطها الشاب وهم بالذهاب قائلًا:

- اتفقنا .. أرجو أن تسرع فكل هذا الوقت سيدفع له ثمن.

ما هي إلا بضع دقائق حتى بدأ التصوير وأسرع الجميع إلى عمله.

بعد أن انتهي التصوير الذي امتد حتى صباح اليوم التالي جلس خالد يحتسي كوبًا من الشاي حتى آخره ويفكر كيف سيقضي





الساعات الأولي من هذا اليوم، خرج إلى الشارع فتجلى له الطريق يخترقه الضباب وبدت معالمه غامضة كيومه هذا، تثاءب من أثر نقص الأكسجين في المخ، وتمطأ ثم فرك عينيه ودلف إلى سيارته، أعد سيجارته وانطلق يخترق الضباب وهو يدندن خلف ما يطلقه أثير الإذاعة ؛ وقف بسيارته أمام إحدى البنايات،استقبله حارس العقار بالترحاب، دخل إلى المصعد ثم صعد إلى الأعلى، طرق الباب ففتح له صديقه مجدي، دخلا سويا إلى غرفة القمار والشراب التي أعدها مجدي لتلك السهرات، تتوسط الغرفة طاولة التف حولها أربعة رجال يلعبون، انضم إليهم خالد وقد رسم على وجهه ابتسامة عريضة، قاطع مجدي اللعب قائلًا:

- أعرفكم بصديقي العزيز.. خالد الطماوي

قال أحدهم:

- كيف الحال يا فنان.. كيف تسير أعمالك الفنية؟

تأمل خالد هذا الرجل البدين ذو الشارب الكث بابتسامته السابقة، وأخذ يفكر من أين له أن يعرف طبيعة وظيفته وقد تعرف عليه للتو، أجابه خالد وهو يلتقط أوراق اللعب:

- أقوم بتصوير فيديو كليب لمغني جديد

بادره الرجل بسؤال آخر:

- وماذا عن الإعلانات؟

- يبدو أنك تدرسني جيدا .

قال مجدي:

- لا مذاكرة ولا دروس.. كل ما في الأمر أن الأستاذ عزمي يمتلك مصنعًا لإنتاج الأدوات المنزلية ويريد أن يصور حملة دعاية لمصنعه فقمت بترشيحك له لتلك الحملة.

تأمل خالد الورق الذي بين يديه ولم يرد، نظر له عزمي في تعجب

ولكن اصطنع الثبات ولم ينفعل مثلما يفعل دائما، قال له خالد وهو مازال ينظر للأوراق:

- يمكنك أن تقوم بزيارتي في مكتبي وسنتفق على كل ما تريده

وانهمك الجميع في اللعب، غاص خالد في الأوراق أكثر وأكثر وطفق يوزع أمواله على الطاولة، رأي مجدي أن صديقه لن يحتمل هؤلاء الحيتان القابعين أمامه، فمال عليه هامسًا في أذنه أن يتوقف عن اللعب ؛فما معه قد نفذ ولن يحتمل أن يقترض من أحد حتى يكمل اللعب، ورفض خالد الانسحاب بعند بعد أن تجول الخمر في دمه ليفعل فعلته، خسر خالد كل ما لديه من أموال، استأذنهم عزمي وأخذ خالد إلى الشرفة وبدأ يتحدث معه في أمور عامة، حتى تبدل الكلام، أخبره قائلًا:

- إذا أردت أن تكمل اللعب سوف أعطيك ما تريده من المال .

سكب خالد آخر ما تبقى من الكأس في معدته وأومأ برأسه موافقا . أخرج عزمي من جيبة أوراق فئة مائتي جنيه في رزمة كبيرة وأعطاها لخالد، هم خالد بالدخول فأوقفه عزمي قائلًا :

- لا أريد منك أن تعيد لي هذا المبلغ.. ضعة كجزء من مبلغ حملة الدعاية .

ودون تفكير رد خالد:

- اتفقنا .. هيا نكمل اللعب .

***

في غرفة بيضاء واسعة علقت على جدرانها بعض اللوحات الزيتية وبعض الرسومات التعبيرية، كان يقف على مقربة من لوحته الجديدة، كان شعاع الشمس قد اخترق الغرفة من بين ضلفتي الشباك فداعب عينه الخضراء، ترك ريشة الألوان ومسح بيده شعره الأسود

الناعم، ثم عاد إلى الخلف وتأمل ما رسمه، اقترب من اللوحة وانحني بجسده الطويل ليلتقط الريشة مرة أخرى ليرسم،أخرج نوح ما تئن به نفسه في لوحته المعلقة أمامه على حامل اللوحات، بجواره وضعت الألوان في أنابيب مبعثرة على الطاولة، وقف مرة أخرى يتأمل ما رسمه ويعدل في الرسم، تجلت اللوحة في ألوانها القاتمة، بدا عليه الإرهاق، فنقل نفسه إلى عالم آخر يعشقه، عالم الكتب، أخرج من مكتبته كتابًا واتجه إلى الصالة، أضاء ضوءًا خفيفًا من أباجورة وبجوارها جلس، مد ساقه على الأريكة وأخذ يبحث عن صفحته الضالة حتى وجد علامة الوقوف، ثم بدأ يتطلع إلى عالمه المنشود، أبحر في قراءة علوم الفيزياء والأحياء بشيء من التعمق، دأب في جمع المعلومات وتوثيقها، راح يسبح في عالمٍ موازٍ، في حكايات التاريخ، رأي أن الغرب يصنع أبطالًا في تاريخه ويروج لهم في أنحاء العالم من خلال الأفلام ويجعلهم قدوة للأخرى ن ؛ بينما تمتلك مصر أضعافًا من الأبطال الحقيقيين وليسوا مزيفين ولكن ذهبوا مع الأيام في طي النسيان، تعلق بالأوراق الخمسة لنظرية النسبية وقرأ عن قوانين نيوتن الثلاثة للحركة، وأخذ يبحر في عالم دافينشي الغامض.

استعادت سندس وعيها بعد نوم دام لساعات، خرجت إلى الصالة بعد أن لمحت الإضاءة، دنت من نوح ووضعت يدها على كتفه، نظر لها ثم عاد بوجهه مرة أخرى للكتاب، تركته وعادت في طريقها إلى الحمام، أوقفها قائلًا بضيق:

- منذ فترة وخالد يتصل بك.

سألته متعجبة وهي عائدة له:

- ولماذا لم تجب عليه؟

نظر لها ولم يعقب، سألته مستفسرة عن سبب تلك المعاملة من جانبه لخالد والتي ظهرت منذ عقد القران، يري من الأفضل ألا يدخل





معها في جدال لن يجدي نفعًا، أغلق الكتاب وقام من مجلسه، أمسكته وجذبته إليها، نظرت في عينه قائلة:

- خالد زوجي يا نوح .. لا أريد أن أرى في المستقبل أي عراقيل بينكما.

- لا تقلقي .. ما سوف يأتي لن يكون من جانبي.

- أراك متأكدًا من حدوث المشاكل إذا!

لم يرد نوح لكنه عاد إلى غرفته بينما ظلت واقفة تتأمل ما قاله لها، ماذا يقصد بذلك؟،، خرج نوح من الغرفة وقد أعد أدوات الرسم وجهز نفسه للخروج، سألته سندس:

- إلى أين أنت ذاهب.

أجابها وهو يفتح باب الشقة:

- سأذهب لأخرج الطاقات السلبية بداخلي

وقف الحارس الأمين منذ آلاف السنين وسط الصحراء ليحمي المقابر الثلاثة الكبيرة، وقف شامخًا يتجلى للقادم من بعيد، في جنح الليل يهاب أي كائن حي أن يقترب إلى تلك البقعة، كانت فكرة صائبة من الأجداد القدامى عندما برعوا في نحت أبو الهول بهيئته المحيرة لبعض الناس.. لكنها أبدا لم تكن محيرة لدي نوح، ففي شتاء أحد الأيام صعد نوح مع لوحته البيضاء إلى الأهرامات الثلاثة وجلس على صخرة ووضع اللوحة على فخذيه، ولكنه قام من مكانه ليختار زاوية أوضح تحاكي ما يراه في خياله للرسمة التي يرغب بها، اختار أن يرسم بزاوية أمامية بحيث يظهر أبو الهول وخلفه الأهرامات، وقف وتأمل هذا التكوين العبقري، ثلاثة أشكال هرمية بنيت بهندسة معمارية غاية في الذكاء، وعلى مسافة ليست قريبة تصدر أبو الهول مكانه هذا ليحمي ما بني من أجله.

(رأس إنسان وجسد أسد) .. تحدث نوح إلى نفسة متأملًا هذا





التمثال، رأس إنسان .. أي العقل .. وجسد أسد هي القوة المطلقة، العقل هو الذي يحمي مقابر الملوك دون تهور أو اندفاع، أو بالأحرى هو الذي يسيطر على قوة الأسد الغاشمة، يسيطر على الاندفاع والشهوة فهما اللذان يقودان قوة الأسد الجبارة، فإذا غلب العقل تلك القوة أصبحت السيطرة عليها ممكنة .

لم يكتف الفراعنة بكم العلوم التى تركت منحوتة على جدرانهم وكتبت على أوراق البردي فحسب، بل تركوا هذا التمثال ليفكر فيه من يريد أن يترجم هذا التكوين الملهم لآيات الفكر المسترسلة من العقل.

بعد أن اختار الزاوية المناسبة للرسم ؛ هم برسم لوحته فأوقفه عقله للسؤال هنا .. ماذا إذا ترك الإنسان قوته وشهوته تسيطر على حياته وعلى من حوله في غياب قوة العقل والوعي؟ الإجابة ستكون مفزعة على أرض الواقع الذي نعيش فيه، على الرغم من أننا الآن نجني ما فعلناه بعقولنا تجاه تلك الحياة التي تدفعنا دفعًا إلى ظلمات الفكر المسيطر علينا .

انتهى من رسمته قبيل دقائق من اختفاء آخر شعاع للشمس، هبط الطريق الموازي لفندق مينا هاوس، واستقل سيارة أجرة ليعود من حيث أتي.



## - 3 -

لم يكن من المعتاد لدي نوح أن يتواجد في أماكن يشعر فيها بعدم الألفة، ولكن في تلك المرة كان شغفه يسيطر عليه وعلي ما يريد أن يراه، اصطحبه خالد بعد أن ألحت عليه سندس أن يذهب معه إلى مكتبه، عرض عليه خالد أن يساعده في رسم story board لبعض مشاهد الإعلان الجديد لأحد العملاء، تردد نوح وأراد أن يسوف الأمر، ولكن أصر خالد على أن يفعل نوح ذلك، تقع الشركة في إحدى البنايات في حي المهندسين، دلف نوح إلى الشركة وأخذ يتأمل الديكور والصور المعلقة لبعض المنتجات التي قامت الشركة بعمل الحملات الدعائية لها، لمح بعض الشباب الجالسين خلف شاشات الكمبيوتر، قرأ على باب القسم الزجاجي الشفاف ( قسم الجرافيك ٢D ) في المقابل قرأ لوحة ( قسم الجرافيك ٣D والأنيميشن)، أخذ يجوب الشركة بعينه ويتأمل الأعمال المرسومة على الحائط، لم ينكر في داخله أن ما رآه اليوم قد أبهره ودفع حسه الإبداعي للرسم، دخل مكتب خالد وجلس بجوار مكتبه، كانت الغرفة واسعه بها شاشة LCD كبيرة والمكتب الذي يتوسط الغرفة صُنع من الإستيل وأنيق جدا، كانت الإضاءة هادئة، داخل الغرفة يوجد حمام صغير، استأذنه خالد وذهب إلى قسم الجرافيك ليتابع رسومات أحد المنتجات التي ستدخل المطبعة لتسلم للعميل، اقترب نوح إلى مكتب خالد وسحب ورقة وقلم رصاص وشرع في الرسم، رسم الغرفة الجالس فيها، بدت وكأنها حقيقية، عندما دخل خالد إلى الغرفة لم يشعر به نوح اقترب خالد منه دون أن يراه، رأي ما رسمه ثم صفق له، فزع





نوح وانتفض، قال له خالد ضاحكًا:

- لذلك كنت مصرًا أن تأتي معي وتقوم برسم مشاهد الإعلان

- حتى الآن لم أتخذ القرار بشأن ما تريده

جلس خالد إلى مكتبه وشرع في إعداد سيجارته انتهي من إعدادها في ثوانى ثم أشعلها ونفث دخانها في الهواء ثم قال:

- عندي في الشركة اثنان من الرسامين الموهوبين يحصلان على مرتبات جيدة .. أريد منك أن تعرف وتتعلم كيف يتم رسم المشاهد قبل تصويرها ثم بعد ذلك تصبح أنت المدير المسئول عن هذا القسم .. سوف تعمل في شركة زوج أختك وليس مع أحد غريب عنك.

- من أخبرك أنني أريد أن أعمل في هذا المجال؟

- دون أن يخبرني أحد .. نوح ... عملي هذا أكسبني خبرات كثيرة .. يأتي إلى العميل ومعه منتج رديء .. فأصنع إعلانًا يجعل منه منتجًا ذا نسبة تسويقية عالية ..أدخل عقل المتفرج وأقنعه بهذا المنتج.. أنا أعرف كيف أصنع النجوم .. هل عندك شك أنني لن أستطيع أن أصنع منك رسامًا ماهرًا ومحترفًا؟

- ما الذي تريده؟

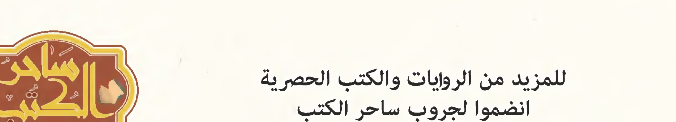
نهض خالد واتجه ناحية نوح وجلس بجواره مبتسمًا:

- اهدأ يا نوح .. الكلام أخذ وعطاء.. كل ما أريده منك أن تكون شريكي في النجاح الذي أحلم أن أحققه .. أنت موهوب .. هل تعتقد أنك لن تأخذ مقابلًا ماديًا على رسوماتك؟

- لا يعنيني المال يا خالد .. الرسم بالنسبة لي هو ارتقاء روحي أسمو به

- الموضوع غير مرتبط بالمال .. أنت ما شاء الله ماديا لا تحتاج إلى عمل والدك رحمة الله عليه ترك لك مبلغًا من المال يؤمن لك مستقبلك .





في تردد:

- اترك لي فرصة لأفكر في الأمر.

- اتفقنا.. سأنتظر مكالمتك.

نهض نوح وهم بالخروج فنزع منه خالد الورقة التي رسم فيها الغرفة ثم قال له:

- اترك لي هذا.. سأضعه في إطار وسأجعله أمامي على المكتب .

ابتسم نوح في سخرية ورحل.

***

مع معطيات الحدث، وما تقوله الجثة التي أمامه، لم يبق منه إلا أن يتجاوز الأُحجية، كانت لفتاة تجاوزت منتصف العقد الثالث من عمرها، الجثة مغطاة بقماشة بيضاء بالكامل، نزع حسن مكي عن وجهها الغطاء، وقبل أن يبدأ التشريح ؛ أخذ يتأمل ملامحها التي بدت نائمة، شعرها الأسود المجدول، لونها الأبيض الناصع، لفت نظره صغر سنها، اقترب من تقرير المعمل الجنائي الذي قام بمعاينة مسرح الجريمة وجاء فيه «وجثة الفتاة بالقرب من الحمام مسجاة على ظهرها غارقة في الدماء» لم يكمل ما كُتب وعاد مرة أخرى إلى الجثة ونظر إلى ملامحها، فتذكر ما مضى من حياته وقد نسيه، كانت الملامح بينهما قريبة إلى حد كبير؛ نفض كل الأفكار التي طرأت إلى ذهنه وبدأ في التشريح، نزع الغطاء ودب بمشرطه على جسدها من الكتف ثم سار حتى أسفل البطن يمينا ويسارًا فرُسم على جسدها حرف الـــ ٧، بعد أن تجاوز الوقت الساعة، كان قد انتهى من تشريح الصدر والقلب والبطن، وجد أن الرحم غير مستقر وبدا له أن هناك علامات القوة والدفع القوي، اتصل بضابط المباحث الذي تولي معاينة موقع





الحادث، أخبره أن الجثة وجدت في شقتها، أنهي المكالمة وعاد مرة أخرى للتشريح، أراد أن يستريح ولكن ما دفعه للعودة إلى الجثة مرة أخرى أنه لاحظ أن الجسد لا يبدو عليه أي مقاومة، وهناك ملامح للدفع القوي.

دلفت سندس إلى غرفة التشريح فلاحظت انهماك حسن فيما يفعله، سألته متى سينتهي فلم تتلق منه إجابة، اقتربت منه ثم ربتت على كتفه فانتفض، قالت له متعجبة:

- تلك هي المرة الأولي التي تنتفض هكذا وأنت تعمل .. ماذا هناك؟

خلع القناع الطبي من على وجهه:

- تلك الفتاة محيرة لي .

ابتسمت سندس قائلة:

- أنت من يقول ذلك؟ أنسيت يا فرانكشتاين؟

بدت ملامحة كما هي ولم تتغير بغد المداعبة البسيطة من سندس .. أردفت قائلة:

- يبدو أن هناك شيئًا غريبًا جعلك هكذا .

-فتاة في سن صغيرة تقتل بهذه الطريقة لماذا؟

- وما الجديد في الأمر .. كم جثة قمت بتشريحها من قبل وكانت على نفس الحال

مسكها من ذراعها برفق وجذبها إلى الجثة قائلًا:

- انظري .. هل يبدو على جسدها أي علامات المقاومة أو الهجوم؟

تعجبت سندس وقالت:

- لا .. ولكن كيف حدث ذلك .

- هذا ما سوف أعرفه .. سأتابع هذه القضية حتى أصل إلى الحل.

تساءلت سندس بتلقائية:





- هل لك سابق معرفة بها؟
- لماذا تسألين؟
- يبدو عليك الاهتمام الشديد.
- هذه هي مهنتنا يا سندس ألا تعرفين ذلك؟
- أعرف .. ولكن دون تعاطف.
حدقها قائلًا:
- أي تعاطف تتحدثين عنه.. وهل تركت لنا هذه المهنة أي عاطفة بداخلنا.. نجمع أشلاء ونقطع أناسًا؟
فتبسمت ضاحكة:
- مازالت عاطفية .. يمكنك أن تسأل خالد.
ابتسم ثم عاد مرة أخرى إلى طاولة التشريح، أفرغ المعدة بدأ في معاينة محتوياتها، ثم وجد ما جذب انتباهه.
في طريق العودة إلى البيت كان عقله الباطن هو من يتولى قيادة السيارة أما العقل الواعي فقد كان غارقًا في تذكر ملامح الفتاة القتيلة، استرجع ذكرياته منذ الجامعة، سبعة عشر عامًا أو أكثر قد مضت دون أن يتذكر يوما أحداث تلك الأيام حتى أعادت له القتيلة ذكرى ما مضى.
أشرقت بوجهها الهادئ في ساحة الجامعة من بين أصدقائها فكانت كالشمس التي أنارت ظلمة حياة ويا لها من ظلمة، تطلع إلى وجهها الحسن من بين الوجوه الواقفة الملتفة حولها، وأدرك أن القلب قد نبض للمرة الأولى، ظهرت له كسفينة إنقاذ تنتشله من تلك الأيام التي أصبحت كأمواج بحر عالية، جاءت لتأخذه إلى بر الأمان ومنه يعود إلى الحياة مرة أخرى.
اقترب في إصرار ممزوج بالخجل ليبدأ أول تعارف بينهما، كانت تقف وظهرها له، وما إن وصل إليها حتى انتابه شعور بالخوف ارتعد له جسده فعاد إلى أدراجه، ووقف يتأملها من بعيد حتى تقابلت





عيناهما في آن واحد من بين الأجسام المتراصة أمامه فبدا له أنها تنظر إليه متعمدة ولكن لم تمر ثوان حتى عادت للحديث مرة أخرى مع أصدقائها ، وأمسى لا يفكر إلا فيها ولا يري إلا ملامحها الحسنة ووجهها الصافي الجميل.

خبط مقود السيارة بقبضة أسفًا على ما حدث له في الماضي، لم يكن بيده شيء حيال ذلك الأمر لم يكن يعلم أن الظلم سيصل به إلى تلك النهاية، وصاح قائلًا:

– وبعد كل ذلك مازال يطاردني.

و جال بخاطره يفكر في حياة حبيبته وتساءل هل لازالت على عهدها القديم؟ ابتسم في سخرية من أمره وعاد يتساءل وهل تركت لها الأيام الآن لتفي بعهد أتت عليه الأيام؟ كيف لي أن أسأل مثل هذا السؤال الأحمق؟ أعلم أنها قد تزوجت ربما من أحد وكلاء النيابة أو القضاة من معارف والدها المحترم، والآن قد غرقت في بئر الأيام لترتوي منه ما يحلو لها وتركت كل ما حدث وراءها، وقد جاء صوت آخر يعلو في رأسه قائلًا أنت تحكم على الأمور بصورة ضيقة، تذكر دائما أنه لم يكن لك يد فيما حدث.

ظلت الأفكار تتصارع في رأسه مسافة الطريق حتى كاد أن يصطدم بإحدى السيارة التي وقفت في وسط الشارع بسبب تكدس السيارات، فأسرع وضغط على المكابح حتى أصدر صوت احتكاك الإطارات بالأسفلت صوتًا عاليًا انتبه له الجميع بمن فيهم ضابط الكمين، فتقدم إليه وطلب منه إظهار رخصة القيادة ورخصة السيارة، فيما بعد علم أنه طبيب في مصلحة الطب الشرعي فدعاه للرحيل وطلب منه أن ينتبه للطريق، دلف إلى سيارته وأدار مسجل السيارة وجاء صوت أم كلثوم يشدو.



في اليوم التالي ..

كانت سندس منهمكة في أحد التقارير المهمة التى سترسل إلى النيابة لاستكمال التحقيق، اندفع كمال رمزي إلى غرفتها متجهمًا غاضبًا بشدة، لم تدرك في بادئ الأمر ما جعله هكذا، ربما حدث أمر ما له في العمل، فهي لا تعتني بشيء من ذلك، جلس إلى المكتب المقابل لها وهو يحدق بها بشدة، وفجأة صاح بصوت جهور مخيف قائلًا :

- أريد أن أعرف لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك؟

نظرت له في تعجب مستنكرة تلك اللهجة التي يتحدث بها، وأجابته في هدوء:

- تستطيع أن تخفض صوتك وتتحدث بلهجة أكثر احترامًا.

زادت من انفعاله بلهجتها الهادئة فقال:

- إذا كنت تعتقدين أن ما تفعلينه سيجعلك مديرة هذا القسم فأنت بالطبع مخطئة .

- أأنت واع لما تقوله؟

- نعم

- ماذا تريد؟

- ماذا تريدين أنتِ؟

تركت جهاز الكمبيوتر واقتربت منه قليلًا، وجلست أمامه، نظرت في عينيه بقوة وهي تقول:

- أنت تعلم ما الذي تفعله.. وتعلم أن هناك حوادث قتل معينة ولأشخاص ذوي سلطة كانت تنسب إليك، وتخرج التقارير بما يرضي من يدفعون لك .

بدا على ملامحه التوتر .. أردفت قائلة:

- لكن هل تظن أن كل هذا لن يكون له نهاية؟

ابتسم ساخرًا:





- النهاية لكِ أنتِ

- أنت تهددني؟

- أنا لا أهدد أحدًا.. كل ما يجب أن تعرفينه.. أن من يدخل بيت النحل على أمل أن يلتقط العسل.. سيجد مئات من النحل يلدغ يده ويترك له آثارًا غير طيبة.. أما إذا أراد العسل فقط فعليه أن يذهب إلى المتخصص في جلب هذا إليه ولن يتعرض لأذى.. أفهمتِ؟

- فليكن ما يكون.. وأنا ماهرة في الصيد.

قام من مكتبه وتوجه إلى الباب وخرج ثم عاد بعد أقل من ثانية قائلًا لها:

- لن تستطيعِين أن تفلتِي من لدغات النحل.. كونِي مستيقظة لنفسك ولمن حولك.

ثم تركها وذهب، عادت إلى مكتبها وأكملت ما كانت تكتبه، ثم أوقفها خاطر جاء إليها، فتحت حقيبتها وأمسكت تليفونها المحمول واتصلت بنوح لتطمئن عليه.



- 4 -

## باريس – مطعم الديوان

بالقرب من نهر السين بشارع جورج الخامس وفي الليل الباهر لباريس، تجلت لافتة كتب عليها باللغة العربية واللغة الإنجليزية اسم المطعم الشهير ( ديوان ) ظهر انعكاس صورة الأشجار على اللافتة، وعلي زجاج المطعم ظهر انعكاس السيارات المارة، جلس «ديدا» على إحدى الطاولات وحيدا يأكل ما طاب له من أكلات شرقية اشتهر بها المطعم، كان بالخارج وكالمعتاد اكتظت السيارات ذهابًا ومجيئًا، اندمج ديدا بالطعام المقدم أمامه ولم يلتفت كعادته ليتأمل ملامح المكان أو يتأمل السيارات من الزجاج الفاصل بينه وبين الطريق، كان يتضور جوعًا تلك المرة، كان اليوم مليئًا بكثير من المشاوير المهلكة له، جلس ببدلته الكحلي وقميص ناصع البياض دون رابطة عنق، في منتصف الثلاثينات، خمري اللون، ذو ملامح عربية، جلس بجواره وقبل أن ينتهي من طعامه شاب يتقاربا معًا في العمر، سلّم عليه قائلًا:

- ضياء.. كيف تبدو اليوم؟

قليل من الناس من ينادونه بهذا الاسم، فهو المعروف دوما بـ(ديدا) ولكن يبقى عدنان صديق الطفولة والشباب هو من يناديه باسمه الحقيقي، كانا يسكنان في الشارع ذاته بالحي اللاتيني الذي يكتظ به ساكنو أهل الجزائر والمغرب،انتقل ديدا مع والدته من المغرب إلى فرنسا وهو دون العاشرة، عاش حياة صعبة وكثيرًا ما كان يتعرض للمضايقات بسبب أصله العربي، بدأ يعمل في سن العاشرة





في إحدى مزارع العنب، ثم انتقل إلى أحد الفنادق ليعمل في تنظيف الحمامات وهو في سن السابعة عشرة، كان عدنان يعمل مع أحد تجار الأقمشة فكان يسافر أحيانًا إلى بلاد المشرق العربي لجلب بعض الأقمشة العربية، يلتقون يوميًا بعد العمل، كان دائمًا ما يبدو على ديدا التعب والإنهاك، دوما يحرص صديقه على أن يزيح من على كتفه الهموم والتعب، يخرج من جيبه زجاجة الفوديكا ويجلسان بالقرب من الحي اللاتيني يشربان حتى الثمالة، يعود إلى البيت فيجد أن أمه قد نامت كعادتها،أم مغربية الأصل هادئة الطباع عاشت في مصر بضع سنين حتى أنجبت ضياء ثم عادت إلى موطنها في هدوء وقررت أن ترعى ابنها الوحيد حتى دعاها أحد الأقرباء للانتقال إلى فرنسا، ارتبط بها ديدا كثيرًا بعد أن تركهما أبوه ورحل، عانى كثيرًا في صغره وجاب شوارع باريس يبحث عن عمل حتى وجد بعد معاناة المقصود في أحد الفنادق.

أعاد عدنان على مسامع صديقه التحية، فالتفت له ديدا مبتسمًا، وضع عدنان أمامه ظرفًا به بعض الأوراق ثم قال له بالفرنسية:

- لك ما طلبت يا صديقي.

أنهي ديدا طعامه ومسح فمه بالمنشفة البيضاء ثم قال له:

- كيف بدت لك الرحلة تلك المرة؟

- ليست ممتعة كما توقعت.

وضع يده على كتفه قائلًا:

- أأنت من يقول هذا؟..عدنان ..أنا من اكتشفتك في هذا العالم الجديد. أنت الميلاد الحقيقي لي وليس المدون في الأوراق.. دعك من هذا الكلام الذي لا يجدي..

ضحك عدنان وأخرج من جيبه علبة سجائر وأشعل سيجارة ثم طلب النادل، بينما كان النادل يتقدم ويقترب منه ؛ فتح ديدا الظرف





وأخرج ما به من أوراق وبعض الصور، ابتسم في حماس وعاد إلى صديقه ليكمل حديثه قائلًا :

- هل أوصلت السلام إلى أجدادي الفراعنة .

نفث عدنان دخان سيجارته قائلًا :

- نعم أوصلته وقد جاءك رد من جدك الأكبر أبو الهول .

- وكيف بدت لك النساء المصريات.. ألم تعجبك إحداهن؟

- أتمزح يا صديقي؟.. أنا أقابلهم وأتحدث معهم هنا أكثر من مصر.

طوي ديدا الأوراق وأعادها مرة أخرى إلى الظرف ووضعه في جيب بدلته، تقدم النادل مرة أخرى ووضع أمام عدنان كأسًا من عصير المانجو، بدأ عدنان يشرب حتى قاطعه ديدا قائلًا :

- هاتف فرانسوا راجيك وأطلب منه أن يأتي بالقرب من مقهي Le Madrigal ويحضر معه دفاتر الرهانات التي انتهي من تحصيلها اليوم وحذره إذا وجدت الخطأ الذي فعله الأسبوع الماضي فلن أرحمه .

أخرج عدنان هاتفه المحمول وبدأ في الاتصال بينما كان ديدا يدفع حساب المطعم، خرجا من المطعم إلى شارع جورج الخامس وترجلا إلى أن وصلا إلى سيارة رينو ملك لـــــ(ديدا )، كان مازال عدنان يتحدث في الهاتف منفعلًا قليلًا، جلسا في السيارة وقبل أن ينطلق ديدا،أخرج مرة أخرى الظرف وأخذ يتأمل ملامح من كانوا في الصور .

Cest etrange

Je nsais pas ce qui marrive ce soir

Je te regarde comme pour la premiere fois

Encore des mots toujours des mots

Les memes mots

Je nsais plus comme te dire

Rien que des mots





جاء صوت داليدا يخترق أذنيه وهو يتابع المارة في الطرقات، كان يدور في ذهنه أمور عديدة، ربما أهمها هي زيارة عدنان لمصر، تصارعت بعض الأمور في نفس الوقت، فتارة يفكر في أعماله بصالة المراهنات التي يمتلكها في باريس، وتارة أخرى تأتي صورة وجه حبيبته التي خضبها الدماء بعد أن أطلقت الشرطة الأعيرة النارية عليهما منذ سبع سنوات مضت وهما يلوذان بالفرار من إحدى الحانات بعد أن تشاجر مع أحد رجال صامويل الذي يملك أكبر صالات القمار والمراهنات في باريس، سُمع دوي إطلاق نار، فما كانت من إحدى دوريات الشرطةإلا أن اقتحمت الحانة، أسرع ديدا وأمسك يد حبيبته وهرب بعد أن أطلق النار على الرجل، تتبعه رجلا الشرطة وأطلقا عليه الرصاص فأصابت حبيبته في عنقها من الخلف فانطلق الدم يخضب وجهها، سقطت وفُرش شعرها الأسود الحالك أديم الأرض، لم ينس ولو يومًا واحدًا عينها وهي تستنجد به أن يساعدها في إنقاذ حياتها، اقترب رجلا الشرطة ورأيا هذا المشهد، اتصلا بسيارة الإسعاف، كان يحتضنها وقد غرق في دمائها، وضع يده على بطنها وبدأ في البكاء، وبعد ثوان علم أن كليهما قد رحلا عن دنيته، حبيبته وطفله الذي لم يتعد ثلاثة أشهر في بطن أمه.

أُجريت معه التحقيقات وعلي أثرها حُكم عليه بالسجن سنة، قضي منها تسعة أشهر ثم خرج إلى عالمه، كان قد تغير تماما، شعر عدنان أن صديقه لم يعد كما كان فيما مضى، وبدأ ديدا رحلته في عالم المراهنات حتى وصل إلى ما هو عليه، لم يترك شيئًا إلا وقد فعله، داعب رجال المخدرات في تجارتهم، وأسهم في تجارة السلاح؛ ولكن كان يختفي عن الأعين ولا يعرف أحد من هو وسط تلك التجارة فقد كان عدنان هو من يتواجد في كل هذه الأمور.

ربت عدنان على ساقه وأشار إلى مقهي Le Madrigal حيث يقف





فرانسوار هناك، كان قد قطع شروده عما كان فيه، وقد انتهت للتو أغنية داليدا المفضلة لدية، هبط عدنان من السيارة وترجل حتى وصل إلى فرانسوار، جذب من يده دفتر المراهنات وتركه بعد أن صفعة برفق على خده وابتسم، كان عدنان يفعل دائمًا هذا معه حتى أصبحت عادة بينهما، من بعيد رفع فرانسوار يده ليحيي ديدا، فرد له ديدا التحية، تركه عدنان عائدًا إلى السيارة، أدار ديدا المحرك وانطلق، شرع عدنان في استطلاع أوراق دفتر المراهنات حتى وجد بين صفحاته الصغيرة ورقة قرأها عدنان بصوت مسموع وقد كُتب فيها «لم يعد لك مكان هنا يا ديدا..فقد اقترب الرحيل».



- 5 -

- لم أتخذ القرار النهائي حتى الآن..

كانت تلك هي الجملة الذي افتتح بها نوح الحوار مع سندس عندما دخلت غرفته بعد أن عادت من العمل، كان جالسًا على مكتبه يراجع إحدى المواد الدراسية الجامعية ويستمع إلى موسيقي عمر خيرت التي يعشقها، تقدمت سندس وجلست أمامه على طرف السرير، قرأ في عينها ما تريده، هو لا ينكر أنه فكر كثيرًا في ذلك الأمر ربما لأن مجال الإعلان يجذبه ولا أيضا لأنه يحب الرسم ويرى أن الوقت قد أتى لكي يطلق لنفسه العنان ويرى الناس فنه، ولكن ما يمنعه أنه لا يشعر بالارتياح مع خالد ربما لطريقة المعاملة التي تدفع خالد إلى العصبية والجنون مع أخته عندما يحدث بينهما أية مشاجرة حتى ولو كان السبب بسيطًا.

- لن تخسر شيئًا إذا ذهبت وعملت معه.

تعجب من إصرارها .. وتعجبت هي من رفضه المستمر ..

- أنا لم أرفض.. ولم أقبل.

قالها وهو يعدّل من جلسته على كرسي المكتب المتحرك، لاحظت سندس في عينه رغبة في أن يلقي على مسمعها أمرًا آخر، ظلت جالسة بينما عاد هو مرة أخرى إلى أوراق الكتاب الذي أمامه، أمسك بقلمه الرصاص وداعب حروف الكتاب راسمًا بها تكوينًا أعجبه، شرد بذهنه قليلًا وتذكر عندما أتى خالد إلى البيت ليتقدم إلى أخته، كانت في غاية السعادة والفرح، بدا له خالد الشاب الوسيم صاحب وجه مألوف يدخل القلب دون استئذان.





مع الوقت بدا لنوح أن خالد ينقلب على عقبيه في مرات عديدة، تارة يعنف أخته أمامه وأحيانا كان يفعل ذلك أمام والده، وتارة يعاملها بحسن ولين، راقب نوح تصرفاته وردود أفعاله وبدأ يجنح بعيدًا عنه، لاحظت سندس ذلك وبدأت تنبه خالد أنه قد يخسر نوح وهي لا تريد حدوث هذا الأمر، بعد وفاة والدهما تغير أسلوب خالد مع سندس فبدأ في الاهتمام بها وظهر عليه حُسن المعاملة معها، وأيضا حاول مصادقة نوح واجتذابه إليه، تعجب نوح لهذا التغير، وكأنه أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا، سعدت سندس لما رأته وأدركت أنه فعل هذا مراعاة للظروف التي ألمت بها، بينما نوح أخذ يفكر في هذا التغير الذي لم يرق له.

رن هاتف سندس المحمول، فتركت الغرفة أسرعت إليه، حيث كانت النغمة المخصصة لخالد، جلست في غرفتها وبدأت تتحدث معه في حنو وحب، كان يلقي على مسامعها كلمات الحب والاشتياق، فرحت لما تسمع فمنذ فترة لم يفعل هذا، ففي بعض المرات كانت تشعر من ناحيته بالغضب وأنها لابد وأن تأخذ موقفًا ناحيته، ولكن قلبها الطيب وحبها الشديد له يجعلها تلين عندما تسمع منه كلمات الغزل والحب.. قال لها بصوت عذب:

- طوال اليوم كنت أفكر فيكي .. وصورتك لم تفارق خيالي.

- وأنت .. لم تفارق صورتك عيني.

ضحك خالد بصوت عالٍ .. أردفت سندس متعجبة.

- وما الذي يضحك في كلامي؟

أجابها خالد وهو مازال يضحك:

- هل كنت تشرحين إحدى الجثث التي تشبهني؟ ( ثم أكمل ضحكاته).

- لقد قلت لك فيما سبق أنك لا تملك حس الدعابة.. سخيف !!





- لا تنزعجي مما قلت فربما تكونين على صواب .
- تقول هذا بعد فوات الأوان.. أنهي المكالمة من فضلك .
ضحك ثم قال:
- لاا!.. سوف أصالحك اليوم .
ابتسمت ولكنها تصنعت نبرة حادة..
- لن تستطيع أن تصلح ما أفسدته.
- سأصلح.. نتراهن؟
صمت قليلا قبل أن تجيبه:
- لا .. فقط أريد أن أري ماذا سنفعل .
- حسنا .. انتظري ساعة من الآن وسوف ترين ماذا سأفعل .

كانت سعيدة بما قاله خالد حتى وإن لم يفعل فيكفيها أنه يحاول أن ينال رضاها، أغلق خالد الهاتف ثم عاود الاتصال بها مرة أخرى بعد دقائق معدودة، كانت جالسة على السرير نصف جالسة وممددة ساقيها أمامها، تذكرت تلك المرة الأولى التي رأت فيها خالد، قطع ذكريتها رنين الهاتف، نظرت إلى الشاشة فوجدت صورة تجمعها من حفل عقد القران بأحد المساجد الشهيرة، أمسكت الهاتف وأجابت برقة قائلة:

- هل تتصل لتعتذر عما سوف تفعله لتصالحني؟
كانت نبرة صوته جاده قليلا:
- لا .. ولكني كنت أريد أن أسألك هل أقنعتي نوح بالعمل معي؟
اعتدلت في جلستها وهي تجيبه:
- حاولت معه اليوم .. هو لم يوافق ولم يرفض حتى الآن .. دعني أسألك سؤالًا ..
- تفضلي .
- لماذا أنت مصّر كل هذا الإصرار أن يعمل معك نوح في شركتك؟

أخذ ينفس دخان سيجارته في الهواء ثم قال:

- سيدخل معي أحد الأفراد شريكًا في الشركة .. لن أخفي عليك أنني متعثر ماديًا وأريد أحدًا يضخ من ماله في رأس مال الشركة.. أريد أن يأتي هذا الشريك ويري نوحًا وهو جزء من هذا الكيان .. عين أخرى غير عيني في الشركة.

- صدقني يا خالد حاولت معه اليوم .

- حاولي مرة أخرى... ستركك الآن لأن الشريك يتصل بي من الخارج.. مع السلامة .

- فليعينك الله على ما تفعله .. أحبك .

- أحبك .

***

ما زالت تشغل باله، سيطر وجهها وملامحها على أفكاره، رأى شبح موتها يحف به في جوانب غرفته، أخذ يتوقع كل السيناريوهات المسببة لقتلها، ما السبب الرئيسي لذلك وما هي الدوافع، أحضر معه الملف الخاص بها، استعرض تقارير البحث الجنائي وكيف وجدوا الجثة ورسم تفصيلي لمكان الجريمة والحالة الاجتماعية لها، تدعى حنان رأفت أربعة وعشرون عامًا، سيدة منزل وزوجها يعمل سمكري سيارات تزوجا منذ ثلاث سنوات، ليس لديها أطفال.

سحب هاتفه المحمول من موضعه واتصل بحاتم عز الدين ضابط المباحث التي حدثت تلك الجريمة في المنطقة التابع لها القسم، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة، في أول مرة لم يجب حاتم على هاتفه ولكن في المرة الثانية جاء صوته وقد شابه الأرق قال له حسن في خجل:

- هل كنت نائمًا؟





- لا أنام الآن .. ولكني كنت في حملة اعتقال لأحد تجار المخدرات في المنطقة وقد تم القبض عليه .

- كان الله في عونك ..

- هل يمكنني مساعدتك د . حسن؟

- نعم.. أريد زيارة موقع حادث مقتل السيدة حنان رأفت .

- ولماذا ؟

- أنا أقوم بتشريح جثتها والنيابة في انتظار التقرير النهائي .

أجابه بشيء من الحزم قائلًا :

- وما علاقة تشريح الجثث بزيارة مكان الحادث ؟

أُلجم لسانه لثوانٍ ثم قال حسن:

- إذا أردت أن تحل لغز هذه القضية فمن الأفضل أن تساعدني لكي أساعدكم.. كل ما أريده أن أذهب إلى موقع الحادث وأنت من سيحضر لي تصريح النيابة لأتواجد هناك .. سأنتظر مكالمتك لي والتصريح معك .. أشكرك على وقتك وأتمنى لك التوفيق في عملك .. مع السلامة

لم يعطه أي فرصة حتى يرد عليه السلام وأغلق الهاتف ..

تعجب حاتم من رد فعل حسن .. وأخذ يفكر هل من الممكن أن يساعدنا أي شيء في مسرح الجريمة على كشف لغز القاتل؟ ولكن كيف؟ ففريق المعمل الجنائي قام بمعاينة موقع الحادث جيدًا..!! ربما لدى حسن رأي آخر، سأفكر فيما طلب وسأعاود الاتصال به .

جال حسن الغرفة وهو يفكر، هل من الممكن أن يسمح له بمعاينة موقع الحادث؟ هل من الممكن أن يترك فريق المعمل الجنائي أي دليل قد يقوده إلى الحقيقة؟

جلس إلى مكتبه وأخذ يداعب الأوراق التي أمامه وهو يفكر ثم





خطر إلى ذهنه أمر ما، فتح درج المكتب وأخرج صورة وأخذ يتأمل ملامح كل من فيها من أشخاص، ظهر في وسط الصورة في الصف الثاني من الواقفين بينما كانت منة تقف على مقربة منه، تذكر هذا اليوم، كانت الصورة لبعض أعضاء فريق التمثيل بكلية طب قصر العيني، وكان حسن متواجدًا بعد أحد العروض التي كانت تعرض ضمن فاعليات مهرجان المسرح الجامعي، بعد العرض ذهب حسن لكي يصافح صديقه على أدائه المميزة، فتصادف أن كانت منة واقفة بين أصدقاء صديقه ثم دعاهم أحدهم لالتقاط صورة تذكارية، أصر بعد ذلك أن يحتفظ بنسخة منها .

في أحد الأيام لاحظ جلوسها مع صديقة له على سلم أحد المدرجات، لم يتردد ثانية واحدة وتقدم إليهما وبدأ التعارف .

تبدل الحال، وأصبحت أيامه أكثر إشراقًا بعد أن عاش أيامًا حزينة سوداء، أصبح الربيع يسكن كل أيامه بعد أن كانت الغيوم هي سيدة الموقف، تحمس في الدراسة وأضحى مميزًا في مادة التشريح، أما هي فقد كانت تزداد جمالًا في نظره وتعلق بها، صارت هي محور حياته، لاحظ كل من حوله هذا التغير الذي طرأ عليه وبدأ أقرب الناس إليه يتساءلون فيما بينهم، هل يعوضه الله عما مضى؟

في يوم ما بعد مرور أربعة أشهر على علاقتهما، دلف إلى الكلية وهو يبحث بعينيه عن حبيبته، حتى وقع نظره عليها فابتسم لها، أخذ يقترب منها وهي جالسة مع صديقتها ولاحظ في كل خطوة وهو يقترب أن هناك أمرًا ما غير طبيعي، حتى أصبحت المسافة بينهم قريبة جدًا، رأي أن أسفل محجر العين منتفخ وبدت وكأنها لم تنم سواد الليل، رأته صديقتها فقامت استعدادًا للرحيل، جلس بجوارها يحدق في ملامحها المتغيرة، تساءل عن سبب تورم العين، فلم تجبه

في بادئ الأمر، زاد شعوره أن هناك أمرًا ما، سألها عن العائلة فأجابه باقتضاب أن كل الأمور جيدة، لم تترك له المجال في سؤال آخر، أدارت وجهها له ثم قالت:

- لماذا لم تخبرني؟ لماذا لم تكن صادقا معي؟

قطع شروده اتصال من نوح، أخبره أنه يريد أن يقابله غدًا لأمر ما،، اتفقا على الساعة الخامسة في وسط البلد عند مقهى البستان.

***



# الفصل الثاني

## حسن

ظل ضوء الصباح يتسلل إلى السماء كنت جالسًا على التبة أمسك بجهازي المحمول وأكمل تسجيل كلماتي قلت معلقًا بصري على السماء «بدأ كل شيء حولي يزداد سوءًا وأصبحت الحياة كصفيحة من النفايات لم يستطع أحد أن يحتمل تلك الرائحة القذرة وتمنيت لو أن تهطل الأمطار وتنشق الأرض لتخرج ماءها لتغسل هذا المكان، فالحياة هنا هي درب من دروب الجنون، كل المعايير اختلفت وانقلبت رأسًا على عقب، كنت أرى حولي أن النهاية لابد وأن تقترب، انقلب ميزان العدل فماذا يبقى يا صغيري؟

كنت دوما أحذرهم أن ما يحدث قد يهلكنا كما أهلك قومًا قبلنا، ولكن ما الذي يفيد وأنت تتحدث إلى آذان صماء؟

حتي عندما جاء إليّ نوح ليخرج ما يضيق به صدره، أخبرته أن، الطريق الصحيح لكل ما يحيط بنا هو طريق الخلاص، وإن أدركت يا صغيري مركب النجاة فلا تتردد في أن تلحق به ولا تلتفت خلفك حتى لا يصيبك الموج العالي فتغرق».

***

## - 6 -

شركة خالد..

جلس عزمي الرجل البدين ينتظر خالد في مكتبه، أخذ يتأمل الديكور، مد يده والتقط بروفة بعض المطبوعات قبل أن تنتهي، تأمل المرسوم بداخلها، كان خالد مازال في قسم الجرافيك يتابع بعض الأعمال التي ستسلم عما قريب، عندما علم بحضور عزمي أمر عامل البوفيه أن يدخله إلى مكتبه ويحضر له مشروبًا وينتظره حتى يأتي له، مرّ من الوقت ما جعل عزمي يترجل في الغرفة ذهابًا وإيابًا وقد شعر بالملل كعادته، عاد ببصره مرة أخرى إلى سطح المكتب وأمسك المطبوعات وتأمل ألوانها، قال متحدثًا لنفسه:

– ألوانها جميلة.. يبدو أن خالد يتقن عمله جيدًا.. لابد أن أوضح له كل ما أريده.. وأيضًا أوضح له أن الثلاثين ألف جنيه هي عربون لما أريد أن أفعله كدعاية للمصنع وشركتي.

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط قد تجاوز انتظاره المدى، انفعل داخليًا وظهر اللون الوردي على وجهه الأبيض، عاد وجلس مرة أخرى، في تلك اللحظات اندفع خالد كعادته واقتحم الغرفة معلنًا عن وصوله بكلمات الترحيب والتهليل، نظر له عزمي بامتعاض، لاحظ خالد فحاول ببعض الابتسامات أن يلطف الجو، جلس إلى مكتبة في مقابل عزمي، لاحظ خالد أن عزمي يمسك ببعض المطبوعات، سأله بلطف:

– ما رأيك في ما أصنعه هنا؟

أجابه عزمي بصرامه:







- خالد .. أنا لا أنتظر أحدًا.. من يعمل معي هو الذي ينتظر .

بدا الأمر لخالد أن ذلك الرجل لن يكون عميلًا هينًا أو بالأحرى شعر أنه فخ كبير، فملامح وجه وطريقة حديثه وكلامه الخارج من أسفل شنبه الكث يوحي بأنه شديد الانفعال الداخلي ويشعر دائمًا أنه أهم شخص في الوجود، تأمل خالد حركات يده وطريقة كلامه، كانت الابتسامة لا تفارق فاهه، بينما كان عزمي يوجه له كلمات شديدة اللهجة، يشعر أن بماله يستطيع أن يضع الأخرين تحت ضرسه وعندما تتاح له الفرصة للضغط يفعل ذلك دون رحمة، يستغل كل نقاط الضعف أمام خصمه ويبدأ في اللعب عليها، لا مانع عنده أن يتخذ الطرق الملتوية للوصول إلى مقصده، يملك قصرًا كبيرًا في طريق المنصورية وثلاث عمارات في فيصل والهرم، بنى مصنعه بعد سنين عمل في دول الخليج حيث كان يعمل مراقب إنتاج في أحد المصانع، اكتنز من المال ما جعله يقيم ذلك الصرح، حاول خالد أن يخرجه من الطاقة السلبية التي تحيط به قال له:

- هل مازلت تذهب إلى مجدي؟

وضع عزمي المطبوعات على المكتب ثم قال:

- لست هنا لكي انتظرك كل هذا الوقت حتى تسألني هذا السؤال !!

- أعتذر لك عن التأخير.

- لن يفيد .

قال خالد محاولًا إذابة جبل الثلج قائلًا:

- دعنا نتحدث عن الحملة الإعلانية التي تود أن نقوم بها .. في بادئ الأمر أريد أن أشرح لك ما يمكن عمله.. أولًا حملة دعائية مرئية في التليفزيون في جميع القنوات الفضائية.. حملة إعلانية بالراديو.. إعلانات معلقة في الشوارع في الأماكن المزدحمة مثل كوبري أكتوبر .





قاطعه عزمي قائلًا:

-حدثني أكثر عما سوف أجنيه من تلك الإعلانات؟

تعجب خالد من كلامه، لم يجبه وقام من مكتبه ثم وضع أسطوانة مدمجة في جهاز لاب توب متصل بالتليفزيون LCD معلق على الحائط المقابل لمكتبة، ضغط زر التشغيل بجهاز التحكم عن بعدُ وبدأ في عرض مقاطع فيديو تعرض أهم أعمال وأشهر الدعاية الإعلانية التي قامت بها الشركة وقائمة بالعملاء الذين تعاملوا مع خالد.. ظهر الإعجاب على ملامح عزمي، لمح خالد ذلك بطرف عينه ولم يبد أي شيء وأكمل استعراض وشرح ما جاء في الفيديو، اعتدل عزمي في جلسته فظهر مسدس معلق في جانبه الأيمن، لمحه خالد، بدأ يعرف مع من يتعامل، لن تكون المقابلة الأولى عند مجدي في منزله هي التي تؤخذ في الاعتبار إنه الانطباع الأول فقد ظهر عزمي على أنه الرجل الهادئ الذي يحب التقرب إلى الناس، اليوم قد اختلف كل هذا، فلماذا يحمل السلاح؟ وحتى لو كان ذلك لممتلكاته لماذا أتى به اليوم؟، استمر خالد في عرض أعماله بينما عقله شارد مع هذا الرجل الرابض أمامه، انتهي من عرض الفيديو ثم جلس مرة أخرى إلى مكتبه، أومأ عزمي دون أن ينبس بكلمة، ابتسم خالد ثم باغته بسؤال:

- أحضر لك العقود للتوقيع؟

ضحك عزمي بصوت عالٍ ثم قال:

- من أين لك بهذه الثقة؟

اقترب خالد بجذعه وهو مازال جالسًا على المكتب، ثم نظر مباشرة في عينه قائلًا:

- قدرتي أن أجعل الناس يختارون ما أريده أنا أن يختاروه، تلك الرسائل الموجهة في الإعلانات التي أقدمها تجعل الجميع يتصارعون لاقتناء كل المنتجات التي رأيتها منذ دقائق على الشاشة، من يمتلك





الحديث يريد أن يمتلك الأحدث، من لا يملك المال يذهب إلى الغير ويقترض حتى يحصل على ما أريده أن يحصل عليه، بنسبة تسعين بالمئة من المنتجات التي أعرضها عليك لاقت رواجًا كبيرًا فاقت مبيعاتها الحد غير المتوقع، أنا أدخل إلى العقول وأفعل بها ما أشاء .. هل مازلت متعجبًا من ثقتي هذه؟

ابتسم عزمي قائلًا :

- يبدو أنني سأعيد تقييم بعض الأمور مرة أخرى .

عاد خالد بظهره إلى الخلف ثم قال:

- أعطني دقيقة أجلب لك العقود لتمضيها .

قام خالد واتجه إلى باب المكتب بينما وهو يهم بالخروج قاطعه كمال قائلًا :

- أعتقد بعد المبلغ الذي ستحصل عليه اليوم مني .. لن أراك مرة أخرى تقترض المال وأنت تلعب معنا عند مجدي .

أدار خالد جسده إليه ثم قال:

- لا تقلق فأنا مثلما أعرف كيف أنفق المال أعرف أيضًا كيف أجلبه.. أخرج أنت دفتر شيكاتك واكتب فيه مئتي ألف جنيه كعربون للحملة.. أنا لم أنس مبلغ الثلاثين ألف جنيه الذي اقترضته منك سيخصم من المبلغ النهائي.. دقيقة واحدة وسأعود لك بالعقود .

***

اندفعت سندس إلى مكتبها وهي تلهث وبدأت تقلب في أوراقها، كان العرق يتصبب إلى جبينها وكلما مسحته زاد أكثر وأكثر، لاحظت أنها لم تغلق باب الغرفة فعادت وأغلقته، بدت وكأنها تائهة في وسط غابات كثيفة لا ترى أمامها شيئًا، تتصاعد أنفاسها ويندفع الأدرنالين في الدم، يزداد معدل حرق الأوكسجين في الجسم، يزداد العرق تصببًا،





تساءلت فيما بينها هل ما حدث كان مدبرا، خرجت من بيتها كعادتها في صباح يوم روتيني، قادت سيارتها إلى طريق العمل، كان الطريق ميسرًا وغير العادة لم يكن مزدحمًا، اتخذت طريق صلاح سالم في طريقها إلى العمل، انحرفت سيارة بجوارها واقتربت منها، تعجبت ولم تبد أي رد فعل من جانبها غير أنها تفادت السيارة المسرعة، وتابعت السير وهي تفكر في يومها الروتيني، وإذ فجأة تتقدم نفس السيارة مسرعة من شارع جنبي وتنحرف عن الطريق وتصطدم بها من ناحية اليمين كان وقع الاصطدام عليها مفزعًا إذا أنها لم تستطع أن تتحكم في عجلة القيادة وانحرفت إلى ناحية اليسار بالقرب من نفق الأزهر، وقفت السيارة ولم تصطدم بشيء، تجمع المارة ولاحظوا أن سندس ما زلت مستيقظة ولم تفقد الوعي، كان الباب الخلفي قد تحطم ولكنه لم ينفصل عن السيارة، ظهر أثر الحادث على وجهها، لم تصب بشيء خرجت من سيارتها سليمة، ترجلت لترى ماذا حدث للسيارة، سألها أحد المارة هل تريد إحضار الإسعاف فقالت إنها طبيبة وسوف تذهب إلى المستشفى بنفسها، تركت السيارة وهاتفت حسن لكي يرسل سيارة إنقاذ ليحمل سيارتها إلى المعمل الجنائي لإثبات الحالة، استقلت سيارة أجرة في طريقها إلى العمل.

أسرعت إلى مكتبها وعندما وجدت ضالتها من الورق، جلست على الكرسي وقد بدا عليها الإعياء الشديد، دلف حسن إلى الغرفة مستفسرًا عما حدث، قصت عليه الواقعة، تجمع باقي الزملاء بعد أن عرفوا، حاولت أن تطمئنهم لكي تتخلص من كلامهم وأسئلتهم، طلبت من حسن أن تظل بالغرفة بمفردها، طلب من الجميع أن يرحلوا، خرجوا وكان آخرهم حسن، هم بالخروج إلا أن سندس أوقفته، عاد مرة أخرى إليها متسائلا إذا كانت تريد شيئًا أن يحضره لها، أشارت بالرفض، لاحظ مجموعة من الأوراق بيدها فسألها:

- ما تلك الأوراق التي بيدك؟
كانت تحاول أن تسيطر على ما تبقى لها من أعصاب قالت وهي تحدق في الأوراق:
- تقارير.
تسأل في تعجب:
- لمن تلك التقارير؟
- الملعون.. كمال رمزي.
حدجها حسن وقد شعر أن هناك شيئًا ما، دنا منها وجلس وبدأ يهتم لما سوف تقوله، أردفت سندس قائلة:
- كان قد توعد لي أن..
قاطعها حسن بشغف مغلف بتعجب:
- ما الذي تحتويه تلك التقارير؟
مد يده لالتقاطها إلا أن سندس وضعت الأوراق بداخل حقيبتها، لم يغضب حسن من ذلك وراعى ما تمر به، حاول تهدئتها ببعض الكلمات فما كان منها إلا أن بدأت تلتقط أنفاسها وتكمل حديثها.
- كانت توكل له كل القضايا المتعلقة بأشخاص ذوي نفوذ أو ممن يدفعون الرشاوى لتغير التقارير.
- ماذا تقولين؟
ابتلعت ريقها الذي جف وقالت:
- لقد اكتشفت أنه يزور تقارير الطب الشرعي لبعض الجثث التي تتعلق بقضايا لأشخاص متهمين، اكتشفت هذا الأمر مصادفة.
زاد من فضوله أن يسمع ما تقوله فاقترب بكرسيه إليها متسائلًا:
- أكملي يا سندس..
- كنت قد تأخرت عن موعد انصرافي في تلك الليلة.. وكنت أنت في هذا اليوم إجازة عن العمل.. عندما هممت بالذهاب عدت مرة





أخرى وقد تذكرت أنني تركت جهاز الكمبيوتر مفتوحًا وأنت تعلم التقارير الهامة به، عدت مرة أخرى وإذا بصوتٍ غريب يخرج من غرفة التشريح.. صوت مكتوم أو ما شابه ذلك لا أتذكر، تحركت ببطء إلى مصدر الصوت ..نظرت من النافذة الخلفية للغرفة فتكشف لي كمال وهو يشرح إحدى الجثث التي جاءت من يومين إلى المشرحة .. كان الدكتور شوقي قد وكل إلى تشريح الجثة الا أن هناك أمرًا ما حدث فوكلت إلى كمال .. وهذا ما جعلني أتعقبه .

- أتقصدين أن كمال يعمل لمصلحة أحد؟!!

قالت وهي تشد على الأوراق بداخل حقيبتها:

- بالتأكيد !!

- لتكن النار مأوى له .

قالت في حماس:

- بل ما فعله معي عندما كنت أحاول أن أكشف ألاعيبه وتزويره للدكتور شوقي ..

- ماذا فعل؟

- دخل إلى الغرفة وهددني .. وهدد كل ما يخص حياتي .. قلقت على نوح فهاتفته لكني لم أكن أتوقع منه ذلك .

ضم حسن شفتيه وهز رأسه قائلًا :

- أهو من فعلها؟

- لا أعلم .. لست متأكدة .

قال وهو يقف:

- لا تقلقي فأنا بجوارك.. أما عن السيارة فقد اصطحبتها إلى المعمل الجنائي لمعاينتها .. هيا بنا الآن .. ستعودين إلى بيتك اليوم .

وقفت وأخرجت الأوراق من حقيبتها ومدت يدها إلى حسن:

- لن أجد من هو آمن منك للاحتفاظ بتلك الأوراق .

نظر إلى عينيها الخضراوين وابتسم في حنو، دنا منها والتقط الأوراق، ثم صافحها وهو يربت على يدها، بدت له هادئة قالها في هدوء:

- تلك الثقة لست أهلًا لها .

- لعلك مخطئ.. فأقرب الناس إلىّ يثق فيك .

علم ما ترمي إليه .. نوح .. الآن فقط شعر بأن سندس هي من أقرب الأشخاص في حياته، أستأذنها لينصرف وطلب منها أن تكون مستعدة فقد تستدعى للإدلاء بأقوالها .



## - 7 -

## Le Bistrot des Dames Bar باريس

مدّ يده والتقت كأسًا من النبيذ الأحمر الفرنسي، من عادته أن يشرب كأسه المفضل في هذا المكان، فإذا ذهب في أوقات الظهيرة جلس في الساحة الخلفية للبار حيث الأشجار المتدلية فروعها والمناضد والكراسي الخشبية التي تشبه كراسي البحر، أما في المساء عادة كان يجلس في الداخل عند الأريكة الجلدية ومن خلفه علقت بعض البوسترات المرسومة التي تشبه بوسترات الأفلام الأجنبية في الستينات، أخرج من جيبه دفترًا صغيرًا وأخذ يقلب فيه ويكتب بعض الأمور الخاصة بالعمل، كان يفكر دائمًا في مشروعه الذي بناه، ويفكر كيف الحفاظ عليه وسط كل التهديدات والوعيد الذي ينتظره، هل لأصله العربي يد في ذلك؟ هو يعرف كثيرًا من الناس أصولهم عربية ولكنهم نجحوا في اقتحام مجال البزنيس والأعمال، ولكن ما فعله في الماضي ظل يطارده، لم يكتفوا بقتل حبيبته وطفله ؛ بل يطاردونه الآن، تساءل لما لا يهجمون عليه ويقتلوه بيد رجلٍ واحدٍ؟، أم أن الموت البطيء هو غايتهم، يعلم أن نرديه يريد أنْ ينتقم لسيده الذي قتله ديدا منذ فترة، ولكن ربما نرديه يتبع أسلوب القتل البطيء كما يشعر ديدا، لن يقف ينتظرهم وهم يفعلون ذلك به، لا يكفيه أن يرى نرديه وهو يركع على ركبتيه ويتوسل إليه أن يتركه ولا يقتله، ما ألذ القتل برغبة الانتقام القوية، هل شعر قابيل بتلك اللذة؟، قال لنفسه «إن ما يثير حفيظتي دائمًا تلك الشعارات الرنانة





التي تحث على الإنسانية وحقوق الإنسان ومثل ذلك.. إذًا أين كانت حقوق الإنسان والإنسانية المعذبة عندما انتزع رجل أحمق جزء من أحشائي، هل فكر في حقوق الإنسان هنا؟ هل فكر في حقوقي كولد له؟ وهؤلاء الفرنساويون ولاد الكلب الذين نبشوا في صحتي وطاقتي عندما استعبدوني عاملًا في مصالحهم وأعمالهم؟ والآن يضايقني فرنسي حقير مخنث يعبث بأنفه مثل الأطفال المشردين، يريد أن يقتلني ويسلب عرشي مستعينا على ذلك بهؤلاء الرعاع الذين يقبضون المال في مقابل قبض الروح، يرسل لي هذا الغبي بورقة تهديد، لو أراد حقًا هذا الأحمق أن ينفذ تهديده لكان فعل ذلك ولكن مجرد أحبار على أوراق وما أبخسها ثمنا، فإذا استمر العبث معي هكذا فسوف أعبث في جثته وهي تتدحرج أمامي من فوق التل الأخضر هناك».

قطعت شروده يد امتدت إلى يده في حنو، جلست بجواره، كانت في هذا اليوم مثيرة للغاية، ارتدت تنورة قصيرة وقميصًا قصيرًا، داعبت أنامله وهو ممسك بالدفتر همست في أذنه قائلة:

- ألم تشتق إلى اليوم؟

كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف مساءً، نظر لها ثم ابتسم، مدت يدها وطوقت عنقه بذراعها ووضعت قبلة على خده، سكب ما تبقى في الكأس في جوفه ثم سحب كفها لتقف وجعلها تجلس في الكرسي المقابل له، نظرت إلى الرسومات المعلقة خلفه علي الحائط وقالت:

- ألا تبدو هذه اللوحة مثل أفيش فيلم كازابلانكا؟

كان يحفظ المكان عن ظهر قلب فقال بصوت خفيض:

- على ما يبدو ذلك.

داعبت بأناملها الدفتر الصغير أمامه فقبض عليه بكفه الكبير، حدقته بتعجب وسحبت يدها ووضعتها أمامها، نادت على النادل





وطلبت كأسًا من النبيذ، داعبت خصلات شعرها وقالت له:
- يبدو عليك أنك منشغل بأمر ما .
أجابها وهو يشعل سيجارته:
- نعم.. وهو كذلك .
مد إليها بعلبة السجائر فسحبت منها واحدة وأشعلتها، نفثت دخنها في وجهه بغضب واحمرت عينها قليلًا فعرف أنها ليست على ما يرام فقال محاولًا أن يهدئها:
- لانا .. أنتِ تعرفين جيدا أن عملي لا أحب أن يتدخل به أحد .
قاطعته قائلًا:
- ألم تأمن لامرأة آمانت لك وأعطتك قلبها؟
- إن مثلي لا يفكر بتلك الطريقة .
خرج الدخان من فاهها وهي تطلق كلماتها:
- إن من أمثالك هم فقط من يستمتعون بتلك الحالة.. حب ضائع وبجواره امرأة ضائعة.. ألم تفكر في مرة ما فعلته من أجلك؟ .. هل هي فعلت ذلك؟
- التي تتحدثين عنها ماتت دفاعا عني .
- وأنا أيضا كنت سأموت لو انكشف ما فعلته لك .
بدا عليه الغضب ولكنه تماسك:
- لانا .. أعتقد أن ما حصلتِ ليه كان كافيا .
- إنني لا أرغب في المال.. إنني أحبك ديدا .
أطفاء السيجارة قائلًا :
- وأنا لم أقل أنني لا أحبك .. ولكن لي طريقة في الحب أنت لا تستوعبين هذه الطريقة .
- إذًا قل لي ماذا أفعل .
- كل ما أريده ألا تتدخلي في عملي .. أهذا صعب؟





سحبت نفسا معبأً بالسجائر لتملأ به رئتيها وثم قالت وهي تزفر به:
- لك ما تريد ديدا.

مرت ثوان قبل أن يدخل عدنان مسرعًا إلى المكان، جال ببصره بحثًا عن صديقه، رآه ديدا فرفع يده، أسرع إليه عدنان، ألقى السلام على لانا ثم اقترب وهمس في أذن ديدا قائلًا عبارة ما، كم تتضايق لانا من تلك الحركة المتكررة بينهم فأشاحت بوجهها عنهم، لم يكمل عدنان جملته فهب ديدا مسرعًا إلى سيارته وفي أثره عدنان، ترك لانا تجلس بمفردها، لم تنظر فخرجت بعدها بثوانٍ وهي تلعن وتسب أنساب وأسلاف ديدا وصديقه.

***

«إن كنت مخطئًا فسوف أتحمل نتيجة قراري هذا، أما إذا لم أكن مخطئًا ؛ فقد وجدت طريقًا لفهم ما تقوم به شركات الدعاية والإعلانات ..فهو مجال غني بالإبداع».

تحدث نوح إلى نفسه وهو في طريقه إلى شركة خالد، كان هذا اليوم ثقيلًا على قلبه، فبعد الحادثة التي تعرضت له سندس كان يشعر بالقلق حيالها، أما خالد فكل ما فعله هو أن زارها لكي يطمئن عليها، لم تتجاوز الزيارة الخمسة دقائق، قضى منها أربع دقائق في المكالمات الهاتفية قامت سندس من مجلسها وذهب إلى غرفتها وظل خالد مع نوح يحاول أن ينهي مكالماته إلا أن الأمر باء بالفشل فاعتذر عما حدث وانصرف وأكد على نوح عندما كان يودعه أن يأتي في الغد إلى الشركة ؛ دخل إلى غرفة أخته ونظر لها في تعجب، أومأت برأسها قد فهمت ما يريد أن يقوله، ثم سألته هل فعلًا سيذهب للعمل مع خالد، كان نوح لا يملك خيار آخر في ظل الحالة النفسية التي كانت تمر بها أخته فوافق على مضض.





هبط من «الميكروباص» أمام عمارة شاهقة تقع على النيل، دلف إليها فستوقفه حارس العقار متسائلًا إلى أين سيذهب، تعجب نوح فتلك هي المرة الثانية التي يأتي فيها، قال له مؤكدًا أنه سيعمل هنا في شركة (يور ديزاين) وأنه يتمنى ألا يسأله مرة أخرى عندما يحضر.

صعد به المصعد إلى الدور التاسع، ودخل إلى الشركة، تمني ألا يندم على تلك المرحلة من عمره، أستقبله عامل البوفيه بالسلام الحار، اصطحبه إلى مكتب خالد، ثم جلس لينتظره، دقائق ودخل خالد المكتب ورحب بنوح واصطحبه وهو يضع ذراعه على كتفه، ودخلا إلى قسم الجرافيك ٢D، عرّف خالد نوح على اثنين من المصممين في القسم، تبادلا السلام ثم جلس نوح على مكتب وضع أمامه لوحة كبيرة من لوحات الرسم، قال له خالد مداعبًا:

- الآن وقد أصبحت موظفًا في الشركة.. سأكون لك مديرًا عسيرًا.

ابتسم نوح بينما ظل خالد يقهقه بصوت عالٍ، تعجب نوح فتلك لم تكن دعابة.

انقضي اليوم وهو لا يفعل شيئًا، كل ما فعله بينه وبين نفسه أن رسم الشخصين زميلاه في المكتب، لاحظ أن الموظفين ينصرفون فهم بالانصراف، استوقفه خالد ودعاه إلى مكتبه، جلس نوح وهو يتأمل ملامح خالد وهو يشعل سيجارته، بدأ خالد كلامه في السؤال أن أخته وغيرها من الأسئلة التي لا ينصت لها نوح ويترك عقله الباطن يجيب عنها، تختصر أجابته على ( الحمد لله- بخير- ماشي الحال) وهكذا، حتى باغته خالد بسؤال لم يكن يتوقعه نوح:

- هل ترغب في السفر إلى أوروبا؟

جالت في خاطر نوح كل الأسباب التي تدفع خالد لطلب مثل هذا الطلب ولكن كان لابد أن يسأله:

- لماذا ؟





- أفكر في أن تتعلم حرفيات الجرافيك والمونتاج حتى تتعمق أكثر في هذا المجال .

- ألم تلاحظ أن هذا هو اليوم الأول لي في هذا المجال؟

ضحك قائلًا :

- بالتأكيد .

- إذا من أين فكرت في تلك الفكرة .. أنا لم أقرر حتى أنني سأستمر في هذه الشركة

قال خالد في ثقته المعهودة:

- ستستمر

- ولماذا أنت واثق بذلك؟

قال مستمرًا في ثقته:

- هكذا هو المجال .. جذاب .. ساحر .. يشد من يعمل به شدًا فلا يتركه .. كدوامة البحر التي تسحب من يعرف ومن لا يعرف العوم.. القدرة على الحشد وسيطرت العقل .. هذه هي الإعلانات .. الرسائل الموجهة للناس .. ولك أنت أيضا .. صدقني يا عزيزي ما زلت صغيرا حتى تفهم ما أعنيه

- أنا أفهم كل ما ترمي إليه .. لم تكن يومًا بالأعمار.. من يقرأ يعرف ويمتلك خبرات الغير

قام نوح متجهًا إلى الباب فقاطعه خالد قائلًا :

- سأدعك تفكر

قاطعه في حزم:

- لن أفكر في شيء .. لن أترك سندس هنا بمفردها

ابتسم خالد كاشفًا عن أسنان متسخة:

- بمفردها؟ .. ألم أكن زوجها على ما أعتقد؟

- ما زلت زوجها علي الورق .. وأنا لا آمن عليها مع أحد غيري .





- صدقني يا نوح لابد وأن تتأكد أنها أختك وليست أمك.

- وأنت لا بد وأن تتأكد أن ما بينكما هو حبر على ورق .. فأختي ما زالت في بيت والدي.. سلام يا خالد

- سلام .. لا تتأخر غدًا.

***

وقف في مدخل الصالة وكعادته عندما يتأمل شيئًا ما في تركيز؛ وضع قبضتي يديه على خصره متأملًا المكان، كان قد تلقى حسن مكالمة من الضابط حاتم يدعوه إلى موقع الحادث كما طلب منه، أخذ يتجول بحذر وحاتم ممسك بيده مصباح نور كبير، كلما اقترب حسن من مكان ما طلب من حاتم أن يقترب بالإضاءة حتى أصابه الملل وأخذ منه المصباح، وبدأ يسلط الضوء على الأماكن المراد رؤيتها، تقدم في خطوات معدودة، ثم دون عدد الخطوات التي تقع بين غرفة النوم والصالة، كانت الشقة مكونة من غرفتين مفتوحتين على الصالة ومطبخ وحمام ضيقين، بدت الشقة متوسطة الحال، كباقي الشقق في المنطقة.

تركوا الصالة ودخلوا إلى غرفة النوم، كانت على حالها، بعض الملابس المتناثرة بجوار الدولاب، بدا له أن أحدا كان يبحث عن شيء ما هناك؛ لف حسن رأسه إلى حاتم متسائلًا:

- هل لاحظ البحث الجنائي تلك الملابس المتناثرة؟

مط حاتم شفتيه قائلًا:

- ربما ..

أكمل حسن بحثه، ارتدى قفازًا طبيًا وارتدى أيضا أكياسًا على نعليه، ومدّ يده إلى الدولاب الذي كان أحد دلفتيه متساقطًا، وأخذ يسلط الضوء على جزء الملابس وبدأ في فحص بعض ملابس القتيلة،





سأله حاتم:
- هل تبحث عن شيء بعينه؟
لم يجبه وانهمك في البحث، صادفت يده ملابس داخلية خاصة بالقتيلة فوضعها في شنطة سوداء وجدها في الغرفة، أخذ يعبث بالأرفف وتحت الجرائد حتى وجد كارت ذاكرة صغيرًا، نظر إلى حاتم مبتسمًا ثم قال له:
- خيط بألف شبكة خيوط.
تركه حاتم يفعل ما يشاء لعل وعسى قد يجد شيئًا يكمل الدائرة المفرغة وتحل القضية، سأل حسن:
- أين زوجها وما هو وضعه حيال تلك القضية؟
- الزوج أخذت أقواله ومُنع من العودة إلى الشقة حتى ينتهي التحقيق، أكدت التحريات أنه كان في عمله أثناء وقوع الجريمة، فتم إطلاق سراحه.
أكمل حسن بحثه، فعاد إلى الحمام مكان وجود الجثة، وأخذ يبحث في المكان بدقة متناهية ممسكًا في يده بملقاط صغير أخرجه من جيبه، وجد على باب الحمام خيطًا من ملابس مبتلًا بالماء، فاحتفظ به في كيس صغير، دخل إلى الحمام وتأمل الحوض وأيضًا تأمل المرحاض، لاحظ وجود نقاط من البول على طرف المرحاض، انتزعها بكيس واحتفظ بها، نظر إلى حاتم ثم قال:
- هل لي زيارة أخرى؟
- لا أعلم.. سأحاول.
- سأفحص ما أخذت اليوم وسأعود للاستكمال قريبا... أشكرك لمساعدتي.
- الشكر لك طبعا.. يبدو أنك متمرس ممتاز.
- أشكرك.. دعنا نخرج من هذا الجحيم.

## - 8 -

في غرفة التشريح، كان الجو معتمًا إلا من ضوء خفيف أزرق، ترقد على سرائر التشريح أربع جثث مغطاة الوجوه، فتحت سندس الباب برفق فظهرت من خلفها باحة كبيرة، دخلت وهى تتابع بعينها الغرفة، كانت ترتدي جيب وقميص وفوقهما بلطو أبيض، تقدمت في خطوات محسوبة، كان صوت نعلها يحدث جلبة في المكان، من أعلي الأسرة هناك شباك صغير ظهر منه الضباب الذي كان جليًا، القمر مكتمل في السماء، اقتربت من الأسرة التي كانت متجاورة بانتظام، لم تعط فرصة لأفكارها أن تمنعها من التقدم، سمعت دوي رنات هاتفها المحمول في جيبها، كان الصوت في بادئ الأمر مكتومًا إلا عندما أخرجته من موضعه بدا وكأنه يصم الآذان، ضغطت على الزر الأخضر وقالت «ألو» لم تسمع شيئًا، أغلقت الهاتف واقتربت من السرير الأول، كانت الدماء تخضب الملاءة البيضاء، ارتعشت يدها وهي خائفة من يكون هذا الذي يرقد هنا، نزعت الغطاء فإذا بها ترى خالد وقد غرق في دمائه حتى أصبحت ملامحه لا ترى، ارتعدت وعادت إلى الخلف مسرعة فارتطمت بمنضدة عليها بعض الأوراق، فتناثرت الأوراق على الأرض، وقفت مرة أخرى وعادت إلى السرير الثاني، كان الرعب يجتاح جوانبها، اقتربت بيد مرتعشة ونزعت الغطاء، كان نوح ممدًا ويبدو نائمًا، صرخت ولكن لم يسمع صوتًا، طفقت تلتقط كل ما تطوله يدها لتسعفه، عادت ووضعت يدها على صدره وبدأت في عملية إنعاش القلب، حتى انهمكت ولم تستطع أن تكمل، وأدركت أن نوح قضى نحبه، انبجست الدموع من عينيها،

لا تصدق ما تراه، متى حدث كل هذا؟ انهارت وجلست على الأرض بجوار السرير الثالث تبكي وتصرخ، حتي سقطت على يدها نقطة دماء، رفعت عينها فكان السرير الثالث هو مصدر الدم، وضعت يدها على طرف السرير وهي تحاول النهوض، رأت ورقة مربوطة في قدم الجثة الثالثة، كتب عليها «مقتول»، تحسست الغطاء ورفعت فوجدت والدها وقد ظهرت على جثته علامات الزرقة الرمية، صرخت ولكن دون سماع صوت لها، اتجهت مسرعة إلى السرير الأخير، وجدت شابًا في الثلاثينات عينيه مفتوحتين نظر لها ثم ابتسم، رفع يده فإذا بسكين غارق في الدماء، أسرعت إلى الخارج، دفعت دلفتي الباب بيدها بقوة، فإذا بها تقف وسط طريق صلاح سالم فى وضح النهار، نظرت يمينًا ويسارًا فلم تجد أحدًا، ولا أي سيارة تمر، أخذت تصيح بصوت جهور «أين الناس؟ أليس هناك أحد يسعفني؟ .. نوح يا نوح أين أنت؟ ثم تذكرت أنه ميت، سمعت صوت سيارة مسرعة باتجاهها فنظرت إلى مصدر الصوت فإذا بسيارة يقودها كمال رمزي تتجه إليها أغمضت عينها ولم تشعر بشيء.

استيقظت في غرفتها وهي تشعر بالخوف، سمعت صوت هاتفها يدوي في المكان، كانت جالسه وأرجلها ممددة على السرير، التقطت الهاتف من جوارها، نظرت إلى الشاشة لتعرف من المتصل، فلم تجد رقمًا ووجدت كلمة «غير معروف» ضغطت على الزر وهي تبتلع ريقها، قالت متسائلة من أنت؟، لم تسمع شيئًا حتى أتى صوت سيارة مسرعة ثم اصطدمت بسيارة أخرى ثم سمعت صوتها وهي تصرخ .

استيقظت فزعًا وأخذت تحدق في غرفتها، أسرعت إلى المرآة ونظرت إلى نفسها، كانت عيناها حمراوين، والدموع تنساب منها، نظرت إلى هاتفها وأسرعت إليه واتصلت بنوح جاء رنين الهاتف من الحجرة المجاورة،أسرعت إلى غرفة نوح فوجدته نائمًا، هاتفت خالد





وقد بدأت تستوعب ما يدور حولها، كانت تتقدم إلى الصالة حتى جاء صوت خالد مرهقًا، سألها في تعجب لماذا تتصل في تلك الساعة من الليل فسألته عن الوقت فأخبرها أن الساعة تجاوزت الثالثة صباحًا، اطمأنت عليه وأغلقت الهاتف، جلست على الأريكية في الصالة والتقطت جهاز التحكم الخاص للتليفزيون وضغطت زر التشغيل، فأضاءت الشاشة، كان أحد الأفلام المصرية القديمة التي تحبها سندس، فتركت نفسها لأحداث الفيلم حتى غلبها النوم.

***

في الصباح الباكر كان حسن مكي في غرفة المعمل وأول من وصل إلى المصلحة، جلس إلى جهاز اللاب توب ووضع ذاكرة التخزين التي وجدها في غرفة القتيلة داخل الجهاز، أستعرض الملفات التي تحتويها الذاكرة، فوجدها خالية، تعجب كيف ذلك، فحص مساحة التخزين بها فوجدها ممتلئة، أيقن أن هناك بعض الملفات المخفية، وقد كان، وجد ملفين أحدها يحتوي على بعض الأغاني، وملف آخر يحتوي على مجموعة صور للقتيلة، أخذ يستعرض الصور فكانت بعضها وهي مع أقاربها في المناسبات وبعضها مع أمها وأبيها، أخذ يتجول وسط كم الصور الكثيرة، ابتسم متعجبًا حتى هي تحب التصوير، ليس التشابه في الملامح فقط ولكن التشابه في الأشياء المفضلة لديهما، فعندما انتهى من تصفح الصور وجد ملفًا آخر مخفيًا، نقر مرتين عليه ففتح له الملف وبداخله صورة، كانت في غرفتها، تقف أمام المرآة شبه عارية، ومن خلفها ظهر الدولاب وأحد دلفتيه منزوعة، لم يظهر وجهها، كانت عارية من النصف الأعلى فقط من جسدها، لم يكن هناك صور أخرى أو ربما كان هناك وقد مسحت وتركت تلك الصورة، فكر حسن ما هو السبب الرئيسي لتركها هذه





الصورة دون غيرها؟، لعل كان يوجد صور أكثر عري من ذلك ولكن اختارت هذه الصورة لأنها أقلهم، هل ترددت في إرسالها لشخص ما قبل أن تزيل الصور الأكثر عريًا؟ لماذا فعلت ذلك؟ هل هي على علاقة برجل آخر؟

ترجل في المعمل متجهًا إلى عينة البول التي وجدها بمسرح الجريمة وقبل أن يعود إلى مكانه، هاتف الضابط حاتم وطلب منه أن يستدعي الزوج لأخذ منه عينة بول، ترك العينة في موضعها السابق ودلف إلى غرفة التشريح، أخرج القتيلة من ثلاجة الموتى، وبدأ في أخذ عينات من الأمعاء الطحال الكبد والمثانة البولية، لمقارنة العينة بهم ومعرفة لمن كانت؟

***

وسط الأغصان المتدلية يفوح شذا الياسمين في المكان، فملأ الرحيق الأنف بعطره، وأخذت تتذكر أعذب الكلمات التى ترامت على مسامعها في الماضي القريب، لولا العمل الجديد الذي التحق به نوح لما كانت سلمى تركت غيابه يطول عن جنتهما التي جمعتهما أيام الدراسة والتي شارفت على الانتهاء، وقفت بعينين يملؤهما الشوق والانتظار تلتقط صورة نوح من بين المارة، لم تمل من عقارب الساعة البطيئة التي تسير وكأنها تحمل على رأسها أثقال الزمان، وما أقوي الأثقال التي حملتها سلمى على رأسها منذ الصغر.

لم تبرح غرفتها في تلك الليلة إلا عندما سمعت صوت طلقات النار تدوي في الشقة، لن تعتاد على سماعها في الواقع غير أن أذنيها قد ألفت هذا الصوت عندما كانت تشاهد الأفلام الأجنبية وهي تضجع بجوار والدها، أما الآن مع الهزيع الأخير من الليل كان الصوت حقيقًا لا محالة من ذلك، ثوانٍ أخرى وأطلقت طلقة أخرى وكانت الأخيرة،





قامت من مخدعها مفزوعة، كان ضوء خافت يتسلل من أسفل باب الغرفة، علقت بصرها عليه ورأت أقدامًا تسير بسرعة، بأنفاس سريعة مختلطة برعب تقدمت سلمى بنت السادسة لتخرج من غرفتها متجهة إلى غرفة والديها، وقد رأت المشهد الدموي الخالد في ذاكرتها.

ذابت شمعة الذكريات الحزينة عندما أتى نوح ليقف بين يديها وهي تنظر إليه، جمعها عشق الرسم وخصوبة الخيال، فزينت حياتهما بألوان من الحب، كان اللقاء الأخير منذ أسبوعين، شغله العمل الجديد فألحت أن يتقابلا في مكانهما المفضل، لم تتردد في مصارحته بحبها، وقتها كانا في الفرقة الثانية، هو لم ينكر إعجابه بجمالها الأخاذ وشخصيتها القوية، كان مترددًا في بادئ الأمر، إلا أن القلب بدأ يدق، فحملت الشرايين رسائل الحب بينهما، كانت على ثقة أنه مختلف تمامًا عن كل من رأتهم في حياتها، لم تر فيه تفاهة من هم في سنه، ورأته رجلًا يافعًا تخطى الثلاثين في أفكاره، أما هو فكان معها يطلق لجام تفكيره وتأملاته ويستسلم لكلماتها العذبة، خططا لمستقبلهما، لم يتوقف حبه لها بعد أن عرف أنها ترعرعت في دار أيتام، هكذا هي الدنيا لا تعطي كل شيء.

ما إن لمحت نوح وقد ظهر في الأفق البعيد حتى تجلت ابتسامتها العذبة، ظهر نوح هو يرتدي قميصًا أزرق وبنطال بني ويمسك في يده حقيبة بها رسوماته، جلس بجوارها، ظلت تنظر إليه وهو يتحدث عن يومه في العمل، أفرغت محتويات الحقيبة ورأت ما رسمه، كانت رسومات لأحد الإعلانات الجديدة، طافت بخيالها وهي تراه وقد حقق جزءًا من حلمه، ظلت عيناها معلقة معه حتى أمسكت يده وقالت له في عذوبة وحنان:

- لكم اشتقت إليك

ابتسم نوح وقال بصوت رخيم:





- أن ما دفعني إلى الإبداع هي تلك نظراتك وابتسامتك الصافية
- فليشهد الله أنني أنتظر اليوم الذي يجمعنا معا
- عما قريب ..

ثم أغلق دفتر الرسومات وشرد، علق بصره على إحدى الأزهار المترنحة في الحديقة النضرة كان حفيف الأشجار يسمع الآذان، اقتربت بأناملها الناعمة وجذبت وجهه إليها سألته في حنان قائلة:

- لماذا تلك النظرة الحائرة بين أوراق الزهور؟
- كل ما يشغلني أمور أختي سندس
- سندس في عصمة رجل .

تشدق نوح سخرية ثم قال:

- أعمل معه الآن قرابة الأسبوعين.. ولقد رأيته عن كثب

فتساءلت بفضولها المعتاد:

- ماذا رأيت فيه؟
- أناني .. يسعى وراء مصلحته فقط
- ولماذا إذا أصر على أن تعمل معه؟
- لعل يحمل في ثناياه ما لا نعرفه

قالت وهي تعدل من حجابها:

- أنت يا نوح دائمًا ما تركز فيما وراء الأشياء .
- هكذا تعلمت ممن قرأت لهم .. سارتر وروسو ونيتشه .. أبحث ما وراء الأشياء .. عن السببية ومعطيات الحدث
- ليست بنظرية حتى تفكر في معطيات.. أنت الآن تعمل معه حاول أن تتعلم وتطور من نفسك لتصل إلى مرادك
- لا أنكر أن هذا المجال ساحر.. نحن نلعب برغبات المشاهدين ..ندخل إلى عقولهم فنحول كل ما يريدهم إلى احتياجات أساسية.. ولكم من الرسائل اللا إدراكية تحملها الإعلانات التي ننفذها.





فتساءلت في فضول كطفلة:

- وما هي الرسائل الإدراكية؟

اعتدل في جلسته وقال:

- في عام ١٩٣٠ قام الباحث الأميريكي جيمس ميكري بتجرب في أحد دور العرض السينمائي عندما قام بعرض لقطة سريعة تحمل (اشرب الكوكاكولا) و(كل الفشار) في أثناء عرض أحد الأفلام، وكانت النتيجة لذلك زيادة معدلات استهلاك الكوكاكولا والفشار بعد هذه التجربة .

وثبت متسائلة:

- إذن جميع الإعلانات التليفزيونية تداعب عقلنا الباطن؟

- بالطبع.. الأفلام.. الأغاني.. كل المؤثرات المرئية والمسموعة تداعب عقلنا الباطن

- حتى الرسوم المتحركة؟

- طبعا.. هناك أحد الفيديوهات على موقع اليوتيوب يعرض كيف ترسم بعض الشخصيات الكارتونية وقد ظهر أن بداية رسم كل شخصية عبارة عن عضو تناسلي للرجل أو الأنثى

فزعت لما قاله نوح وقالت:

- حتى أطفالنا يلعبون بعقولهم

- هكذا تخزن تلك الرسومات في عقول الأطفال.. والآن ما يفعله خالد هو مداعبة عقول المشاهدين والسيطرة عليها .. أنا لا ألومه تلك هي الطريقة المتعارف عليها في هذا المجال

فقالت باهتمام بالغ:

- يحولون كل شيء إلى عادة، تصير الأمور الخاطئة هي الأمور الصحيحة، يربون الأطفال على الخطأ حتى يصبح هو الصحيح .

- أصبت التعبير

أردف حديثه وظهر وكأنه دكتور يلقي بمحاضرة عليها، ابتسمت وظلت تستمع إليه هكذا كان نوح بالنسبة لها .. رجل يتجول حول العالم بين أوراق كتبه.

***

صاح خالد وهو يتحدث مع عزمي عبر الهاتف قائلًا عزمي:

- يا مولانا .. أنت تعرف أن تلك الأمور تأخذ مننا وقت طويل

في تلك اللحظة دخل نوح إلى المكتب دعاه خالد بيده إلى الجلوس وأكمل حديثه قائلًا :

- عزمي باشا.. يوجد بيننا عقود.. كل ما أحتاجه هو الوقت فقط.. نع..نع.. الوق..

عض على شفتيه من الغيظ وهو ينقر على المكتب بإصبعه السبابة، قاطعه قائلًا :

- يا باشا.. لقد بدأت في تصميم الإعلانات التي ستعلق على واجهة العمارات وفوق الكباري.. أعطني فرصة لأنجز ما اتفقنا عليه

ثم أردف قائلًا :

- شهر مدة قليلة جدًا.. أحتاج أكثر من ذلك .. ( متعجبًا ) نعم؟؟ لماذا هل في يدي عصا موسى؟.. دعني أنجز لك ما تريده أراك لاحقًا.

أنهى المكالمة منفعلًا، رمى الهاتف بعنف على المقعد الذي أمامه، كان نوح منصتًا إلى المكالمة في اهتمام، جلس خالد على كرسيه وقد احتضن وجهه بكفيه ثم مسح وجهه فظهر أحمر اللون من العصبية المفرطة، نظر إلى نوح قائلًا :

- كنت أتحدث مع وحيد القرن .

فابتسم نوح ولم يعقب، أكمل حديثه:

- لا يفقه شيئًا، زكيبة من الأمـوال متحركة لا يعرف ما هي





الإعلانات وكيف يتم الإعداد لها

- هل اتفقت معه ومضى العقود .

- حدث ذلك بالطبع ودفع مبلغًا من المال .

- كم المال دفع ؟

- مائتين وثلاثين ألف جنيه

فحدق نوح متعجبًا ثم قال:

- كيف لم تبدأ في العمل .

تنهد خالد وقد بدا عليه الضيق:

- لقد صرفت تلك الأموال في أعمال أخرى

وضع نوح يده على جبينه:

- وهل كنت متوقعًا أن يتركك دون أن يلح عليك؟

- هذا ما حدث

هز نوح رأسه ثم قام واتجه إلى الباب فناداه خالد متسائلًا:

- هل كنت تريد مني شيئًا؟

التفت إليه نوح:

- لا شيء ..في وقت آخر إذن.. حاول ألا تغوص أكثر داخل الوحل فقد تخضبك الطين من رأسك لقدمك فتدفنك وأنت رابض مكانك .





- 9 -

# باريس

بسيارته المسرعة بين الطرقات، يتفادى المارة بحرفيه سائق متمرس، كل ما كان يفكر فيه يوم أن ماتت حبيبته، تذكر هذا اليوم بكل تفاصيله، لم يرد على أسئلة عدنان الذي كان جالسًا بجواره يتابع الطريق بقلق، صاح أن يهدئ من سرعة السيارة ولكن لم يجد كلامه نفعًا، كانت المسافة بين البار ونادي المراهنات الخاص لضياء تستغرق نصف ساعة بالسيارة إلا أن تلك السرعة الجنونية قلصت الوقت إلى خمس عشرة دقيقة، صوت احكتاك الإطارات بالأسفلت جعل أعين المارة تعلق على سيارته عندما وقف أمام النادي ، كانت ألسنة النيران تتصاعد من المكان، فقد احترق كل شيء، سيارات الإطفاء تحاول جاهدة أن تخمدها ولكن استغرق الأمر ساعة ونصف الساعة حتى استطاعوا السيطرة عليها، في تلك الفترة لم يفعل ديدا شيئًا غير أنه أسند جسده على سيارته ووقف يتابع ما حدث للمكان وما تفعله المطافي، كان عدنان يتابع الأمر باهتمام، أما ديدا فكانت الذكريات تداعب خياله، لم يعترض طريقها داخل عقله، رأى كل ما حدث خلال السبع سنوات الماضية عندما بدأ في بناء هذا النادي وحلمه هو حبيبته، سنوات من العمل والتعب، أصبح ناقمًا على كل شيء حوله، منذ بداية حياته وقد رحل هو وأمه إلى بلد آخر وتركهما والده، وجاء إلى فرنسا فعمل وتعب حتى بدأ يضع قدميه على أول الطريق ثم ماتت حبيبته وطفله، والآن يتخلص منه رينيه ببطء، تذكر





وجه أمه وهي تبكي بعد حادث القتل، وتذكر ملامح أبيه التي بالكاد يحددها، أمطرت الذكريات بأمطار رعدية قوية لا يتحملها إلا هو، اقتحمت أغنية (جيسوي مالاد) بصوت داليدا أذنه، رفع عينه إلى لافتة النادي فوجد النار وقد اقتربت منها، كانت تحمل اسم حبيبته ( ايليت) كان الاسم محفورًا داخل جزع خشبي كبير بعرض واجهة المكان، وما إن رأي ذلك حتى أسرع إلى أحد السلالم المعلقة على عربة المطافئ وحمله، ناده أحدهم بصوت جهور:

- Faites attention ( كن حذرًا )

لم يبال بما يقولون، أسرع ووضع السلم على الحائط المجاور للمدخل، وبدأ في الصعود إلا أن رجال الإطفاء أسرعوا إليه وحملوه بعيدًا، اقترب منه عدنان قائلًا :

- ما الذي تفعله يا ديدا؟

- لا داعي لكل الخطب الذي ستلقيها على مسامعي .

تركته ديدا وعاد إلى السيارة، التقطت هاتفه المحمول وأجرى اتصالا بأحد رجاله، قال له دون تردد:

- فلتتحرك الآن .

نزل من السيارة وتحرك باتجاه عدنان الذي كان واقفا بجوار رجال الإطفاء أخذه إلى السيارة عائدًا وقال له:

- فلتكن مصر هي قبلتك من اليوم

***

جلس في ركن المقهى يدخن النارجيلة، القهوة تختفي في أحد الشوارع الجانبية بشارع قصر العيني، بطوله الفارع جلس واضعًا ساقًا فوق الأخرى فظهر حذاؤه الضخم، يرتدي قميصًا مخططا وبنطال قماش، يتدلى كرش كبير كهضبة تتوسط الصحراء، يرص له الصبي

الفحم الملتهب ويسحب بأنفاسه الدخان ويطلقه في الفراغ، يداعب بيده سحاب الدخان كطفل يلهو خلف عربة الدخان بالشارع، يحظى بشعبية جيدة في ذلك المقهى، فهو الدكتور الذي يقطع الجثث ويأتي اسمه أحيانًا في صفحات الجرائد في قسم الحوادث، تقدم أحدهم وهو يدخل إلى القهوة فألقى عليه التحية قائلًا:

- السلام عليكم يا دكتور كمال

جاء رده مختصرًا:

- وعليكوا يا خويا.

انتهى الصبي من وضع الفحم وقال له وهو يؤدي له التحية العسكرية:

- هل لك طلبات أخرى يا دكتور؟

أشاح له بيده أن يذهب، فأسرع الصبي إلى رجل آخر ليبدل له الفحم.

كمال رمزي رجل أربعيني غير متزوج، حياته روتينية إلى حد كبير، يعشق المال ويكتنزه، حريص جدًا ويحتفظ بكل شيء في شقته، كل شيء من قصائص الورق، العملات والجرائد القديمة، يتصيد الفرص ليصل إلى الأمام، يكتسب ثقة مرؤوسيه ولا يحبه أحد من زملائه، يصطنع التعجب من أخبار يسمعها وقد كانت له يد في تلك الأحداث، يشترى الصحف الحكومية ليري اسمه في أخبار أهم الحوادث التي وقعت والتي تدخل في حل جزء من ألغازها، يلقي بالجريدة جواره، لا ويسكب ما تبقى من المشروب في جوفه ثم يلتفت إلى القهوة بجزعه لينادي على الصبي ليدفع الحساب، ويقوم ليذهب بعيدًا يعدل بنطاله، عندئذ يقف أمامه رجل يرتدي قميصًا وبنطال وفي يده أوراق، يدعوه إلى الجلوس مرة أخرى فيتعجب كمال من رد فعل الرجل، أخذت عيناه تتفحص الرجل بشدة في تعجب، بينما يرسم الآخر ابتسامة على شفتيه وهو يقدم له الكارت الشخصي، أخذه بطرف أنامله وقرأه

«عاطف رشدي.. محام»





علي مدار خمس دقائق كانت سندس تذهب وتجيء في غرفة الاستقبال وهي تفكر بملامح قلقة بينما جلس خالد يتابع خطواتها وهو يدخن بشراهة، طلب منها الجلوس، كانت أفكارها تدور في عالم آخر، جلس نوح صامتًا يتأمل ما يدور حوله ويمسك في يده ورقة ويرسم ما يمليه عليه خياله، هكذا كانت عادته عندما يحيط به جو من التوتر، دارت الأسئلة بينهم ولا إجابة واضحة أو معلومة تدل على شيء، فقد كانوا خمس أوراق وضعوا في ظرف وألقوا أمام باب الشقة، رن جرس الباب ففتحت سندس ولاحظت الظرف وهو يسقط والذي كان معلقًا في فتحة الباب، التقطته ودخلت إلى غرفتها وأفرغت محتوياته، سطرت عيناها ما كتب بداخل تلك الأوراق، لم تصدق ما تراه عيناها، أو صدقت بدليل أنها تقرأها الآن، وتساءلت فيما بينها «من ذا الذي أحضر تلك الأوراق إليّ؟ ما غرضه في ذلك؟» شعرت بالخوف الشديد، المصائب لا تأتي فرادى، بدأت بحادث السيارة والذي قيد ضد مجهول، والآن أحدهم يريد أن يشركها في لعبة جديدة لا ترغب أن تكون طرفًا بها.

ناداها خالد بحدة قائلًا:

- اجلس.. ماذا حدث بالضبط؟

حدقته قائلة:

- لن تجدي معي طريقتك هذه.

نظر له نوح متعجبًا، قال لها خالد بنبرة أقل حدة يشوبها القلق:

- أنا آسف ولكن أنت لم تتحدث عن شيء منذ أن جئت إلى هنا

قال نوح بود وعطف:

- احك لنا يا سندس ماذا حدث جعلك تبدين هكذا؟

دخلت إلى غرفتها وعادت حاملة بين يديها الأوراق ووضعتها بجوارها على المقعد، نظر لها خالد مستفسرًا:





- بما أنك لن تتكلم فلماذا أحضرتني إلى هنا؟
أشار له نوح أن يصمت ثم قال لسندس:
- هل الأمر متعلق بالأوراق التي معك
- نعم يا نوح؟
- ما تلك الأوراق؟
أمسكت الأوراق ونظرت فيها مرة أخرى، ثم رفعت عينيها إلى نوح وقد انفجر الدمع منها، قالت بصوت وهن:
- الأوراق تتعلق بشيء...
ثم صمتت
قطع خالد صمتها متسائلًا:
- أي شيء يا سندس؟!
- إنه لأبي.

# - 10 -

## مقهي زهرة البستان – وسط البلد

جلس نوح منفعلًا، حاول مكي تهدئته ولكن دون جدوى، لم يكن أمامه شيء إلا أن يترك نوح يقول ما بداخله، كان المقهى غير ممتلئ بالزبائن، جلسا في ركن خلف قهوة ريش الشهيرة، لن يسمع أحد ما سيقولانه لبعضهما، اقترب منه حسن مكي بكرسيه قائلًا :

- حتى الآن لم أعرف لماذا أتيت بي إلى هنا.. اهدأ وتحدث يا نوح ما الأمر؟

- التمس لي العذر .

- سألتمس ولكن إذا عرفت ما هو العذر؟

لم يكن من السهل على نوح أن يتحدث عن أمور حساسة في العائلة ولكن مكي هو أقرب الأشخاص إليه، كان يفكر كيف يبدأ في الحديث، كان يحاول أن يجد مدخلًا للكلمات التي ستنساب من فمه ليلقيها على مسامع مكي، طلب من صبي القهوة عصير ليمون، أما مكي فقد طلب نسكافيه، وبدأ نوح في الحديث عما يحمله بين ثناياه قال:

- منذ أسبوع وجدت سندس ظرفًا به خمس ورقات أمام باب الشقة... وجدت الأوراق معلقة بين فتحة الباب والحائط.. أدركت أن هناك أمرًا ما فاستدعتني أنا وخالد بعد أن قرأت محتويات الأوراق

- ثم ماذا بعد؟

- كانت سندس متوترة وأخذت تذهب وتجيء في الصالة.. وما إن ضغط عليها خالد حتى بدأت في الحديث عن الأوراق التي وجدتها ..ثم بدأت في البكاء.. أخذنا وقتًا حتى تتحدث.. قالت أن





تلك الأوراق تخص أبي

اعتدل حسن مكي في جلسته أسند رأسه على كفه ثم سأله:

- ماذا تحتوي تلك الأوراق؟

-صمت نوح لبرهة،كان مترددًا بين نفسه أن يقول هذا، سأله حسن مرة أخرى عن الأوراق فقال نوح:

- لم يكن أبي يحصل على دخل من عمل شريف

حدقه مكي متعجبًا ثم قال:

- ماذا تقصد بذلك؟

- كما قلت لك.. كان والدي قد دخل في شراكة مع أحد الأطباء في أحد المستشفيات في منتصف التسعينيات مع بداية المستشفيات الاستثمارية.. نجح في إقناعه ولكن بعد عامين اكتشف والدي أنه تورط في لعبة لم تكن في الحسبان.

- أي لعبة؟

أخذ نوح رشفة من عصير الليمون ثم قال:

- تجارة الأطفال

- ماذا تقول؟

- هكذا.. كان شريك أبي في بعض الحالات يبلغ أهل المولود أنه مات ويحضر جثة رضيع ويبدلها ومع صدمة العائلة يقوم بكتابة تقرير سبب الوفاة وفي اليوم التالي يدفن، واستمر على هذا النحو حتى شعر شريك أبي أن الأمر قد يكشف فتحول إلى تجارة أسهل

قاطعه حسن قائلًا:

- تجارة الأعضاء

- للأسف كان والدي قد دخل جحر الثعابين ولن يستطيع أن يخرج منه.. كانت البداية بعد مرور خمس سنوات من الألفية الجديدة.. استسلم أبي لهم ولقذارتهم.. وفي تلك الأيام تعرف أبي





إلى الدكتور شوقي حافظ

- الدكتور شوقي؟! مديري في العمل؟!!

أومأ نوح برأسه، عاد حسن مكي بظهره إلى الخلف وعقد ذراعيه وهو لا يصدق ما يسمعه، أكمل نوح ما يقوله:

- رفض الدكتور شوفي الاستمرار داخل المستشفى بعد أن عرف ما يحدث وبالرغم من صداقته بأبي إلا أن الدكتور شوقي كاد أن يبلغ الشرطة إلا أن والدي مرض بداء السرطان كما تعرف .. فحذره الدكتور شوقي أن يكمل في هذا الطريق.. حتي رحل أبي عن عالمنا .. وتلك الأوراق تثبت أن أبي أكمل العمل في تلك التجارة المشبوهة ولم يتنح عنها

- وماذا كان رد فعل الدكتور شوقي .. هل علم لذلك؟

- أعتقد أنه لم يعلم .. تنحى جانبًا بعد أن علم بمرض أبي .. وترك مصير أبي لله

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد مرور ستة عشر عامًا من إعلان وفاة أحد الأطفال لأهله ... حدث أن جد هذا الطفل قد توفاه الله.. نزل والده إلى المقبرة ليدفن جثة أبيه جد الطفل .. كانت جثة ابنه راقدة ..فخرج متأثرًا من هذا المنظر.. لم تفارقه الأحلام يومًا واحدًا حتى بدأت الشكوك تدب إلى قلبه.. فسعى إلى إجراء تحليل DNA لتلك الجثة.

- وما علاقة أحلامه بكل ذلك؟

- كان يرى فيها طفلًا يتقدم إليه ثم يحضنه ويقبله في خده..ويقول له بصوت هامس في أذنه.. لا تتركني وحيدًا هكذا.. لا تتركني وحيدًا هكذا.. بعد أسبوع من تلك الأحلام شعر أن هناك أمرًا ما.. فاقترح عليه أحد الأشخاص أن يفعل ذلك وبالفعل أخذ تصريحًا باستخراج الجثة وتحليلها.

- بالتأكيد وجدوا أن عينة الـ (دي إن إيه) غير متطابقة.
- ليس ذلك فحسب
- وماذا وجدوا أيضًا؟
- وجدوا أن الطفل كان يحمل مرضًا وراثيًا؟
- مرض وراثي؟ أي الأمراض التي تتحدث عنها؟
- الشقة الأرنبية والحلق المشقوق.
- يا الله.. كيف حصلت على هذه المعلومات؟
- لم أستطع صبرًا بعد أن قرأت الأوراق.. كان من ضمنها صورة من شهادة وفاة هذا الطفل فبحثت عن والده حتى قابلته بالأمس وحكى لي كل هذا.

أكد حسن على كلام نوح قائلًا:

- هذا المرض وراثي وقد ينتج عن زواج الأقارب بنسبة كبيرة. من بين سبعمائة مولود في العالم يولد طفل بشق الشفة.

قال نوح في حماس:

- وهذا الرجل لا يوجد صلة قرابة بزوجته.. مما أكد شكه.. وكشف الأمر بعد ذلك.

أردف نوح قائلًا:

- لماذا أرسلت لنا هذه الأوراق؟
- ربما هناك مساومة أو أن أحد الأشخاص يريد أن يدخلكم في قضية ما... أو ربما يريد أن يزعزع صورة والدك أمامكم وأمام خالد.

ملأ نوح رئته بالهواء ثم زفر قائلًا:

- وما العمل إذا؟

ربت حسن على كتف نوح قائلًا:

- لا تخف من شيء.. والدك مات.. وأنتم ليس عليكم مساءلته قانونًا لما فعله

قاطعه نوح:
- ليس هذا ما يهمني.. المهم لماذا فعل أبي ذلك؟ ولماذا أرسلت لنا تلك الأوراق.. هناك أحد يريد أن يلعب معنا لعبة كبيرة .. وأنا له بالمرصاد.
- كما قلت لك .. أما المساواة أو يريد أن يغير صورة والدك أمامكم
هل هناك أصعب من الرحيل؟..
ربما نرسم في خيالنا أن الرحيل هي المحطة الأخيرة لكل شيء في دنيانا، ولكن تبقى الحياة كما هي، الكرة الأرضية تدور حول نفسها، تعاقب الليل والنهار، صراخ الأطفال، حوادث القتل، لا شيء يتغير.. لا شيء يعود إلى الخلف.. نقف عند الموت صامتين متأملين معنى أن نفقد أحد قريب منا.. ندرك بعد ذلك أن هناك حياة ولابد أن نتعايش معها ..وتمر الأيام تلو الأخرى فتبدأ دورة الحياة تعود بنا كما كانت.. ولا نتذكر من ماتوا إلا عند اقتراب ذكرى الفراق.. أو عندما تلتقي أعيننا بأشياء تعلقنا بها معه.. أو كلمات قيلت لنا منه..تتحرك المشاعر فتدفع الدموع لتنساب.. ونقف لحظة يمر فيها الزمن عمر ..نتذكر..ثم..نغمض أعيننا لنلتقي مع من فارقنا.. نترك أروحنا مع روحه يتفاعلا في عالم افتراضي داخل الأحلام..
نفتح أعيننا لندرك .. أنه قد رحل....
مسحت سندس دمعها بعد أن قرأت تلك الكلمات على أحد صفحات موقع فيس بوك، جلست وحيدة في غرفتها المظلمة، وضعت جهاز اللاب توب على فخذيها وأسندت ظهرها إلى ظهر السرير، عاد بها الزمن إلى الوراء وتذكرت المواقف التي جمعتها بوالدها ولكن ما قرأته منذ أسبوع جعل بداخلها ما يمحي تلك الذكريات الجميلة، بعد أن تأكد نوح من كم المعلومات التي قرأتها أيقنت أن الحياة مازالت تخفي لها ما يجعلها غير آمنة .






رن هاتفها المحمول..

سحبته من مرقده على الكيمود بجوار السرير، امتلأت الشاشة بصورتها مع خالد يوم عقد القران، مسحت دموعها وأجابته:

- ألو

حاولت أن تخفي صوت الحزن والألم في نبرات صوتها، تحدثت بثبات مصطنع، جاء صوت خالد تغلفه السعادة والفرح قال:

- أحدثك لأبلغك خبرًا سعيدًا

أغمضت عينيها فنزلت آخر دمعة كانت تسكن العين، قالت:

- لعل الله قد وفقك في أمر ما .

- هل تتذكرين ما أخبرتك به عن الشركة؟

كانت تمسح دمعتها الأخيرة حينما قالت:

- لا أتذكر

- جاءني اليوم بريد إلكتروني من أحد الأشخاص الذي أرسلت له موقف الشركة المالي وقد وافق على عقد الشراكة

أخذت سندس نفسًا عميقًا فتشبعت رئتها بالأكسجين وزفرته قائلة:

- الحمد لله

قال خالد وهو يلتقط سيجارته الملفوفة:

- قال إنه في القاهرة وسوف التقي به خلال يومين

لحظة صمت... قاطعها خالد متسائلًا:

- سندس.. هل مازلت معي على الهاتف

- نعم يا خالد

- ولماذا الصمت؟

عدلت من وضع الهاتف على أذنيها وقالت:

- لا شيء.. كنت أفكر في أمر ما





- هل لي أن أشاركك هذا الأمر ؟
- لا عليك يا خالد.. ركز أنت في شركتك
- لك ما تريدين.. سأتركك الآن ..
- مع السلامة
تساءلت بعد أن وضعت الهاتف بجوارها، هل ما عرفه خالد عن أبي سيؤثر على علاقتهما سويًا أم لا؟.. لابد أن تترك الأيام فهي من سيجيب عن هذا السؤال.

***



## - 11 -

# مكتب عاطف رشدي المحامي

تقدم في خطوات واثقة وهو يتأمل مدخل المكتب القابع بإحدى البنايات بجوار قصر عابدين، كانت الجدران متسخة، المكتب ضيق المساحة غرفتان وصالة صغيرة، يجلس عاطف خلف مكتبه، يرتدي نظارته ويحملق في الأوراق التي أمامه، لاحظ دخول كمال رمزي إلى المكتب فقام من كرسيه وعدل من بنطاله،حياه بحرارة ودعاه للجلوس في غرفة مكتبه،غرفة مليئة بالكتب المتناثرة والأوراق، تكييف متهالك في الغرفة يطن بصوت مزعج، نظر عاطف إليه وابتسم وقام من مكانه متجهًا إلى جهاز التكيف، أغلقه وعاد إلى كرسيه وقام بتشغيل المروحة الصغيرة الرابضة بجواره، فتح علبة السجائر ومد يده إلى كمال معطيًا إياه بواحدة، أخذها كمال وابتسم، أشعل قداحته وصوب لهيبها إلى سيجارة كمال، حياه كمال، سأله عن شرابه المفضل، أجابه.. قهوة، استدعي عامل البوفيه وطلب منه القهوة، استبدل عاطف الأوراق التي أمامه بملف آخر بعد أن أخذ ثواني للبحث عنه، وضعه أمامه وأخذ يقلب في أوراقه، أخرج أحد الأوراق ووضعها أمام كمال، أمسكها كمال بطرف يديه محاولًا قراءتها ولكنه عاد ببصره إلى عاطف متسائلًا عنها فقال له وهو يرسم ابتسامة صفراء:

- دكتور كمال أنت مشهود لك بالكفاءة وحسن التعامل مع القضايا المهمة .

- أشكرك

- كل ما أريده منك أن تمد لي يد المساعدة





- من الذي أوصلك لي؟

ابتسم عاطف وخلع نظارته وحدق في كمال قائلًا :

- أعمل في هذه المهنة منذ ما يقرب من ثلاثة وثلاثين عامًا.. أحاول ألا أترك كبيرة ولا صغيرة دون معرفة.. ألم تسمع عن قضية قتل رجل محلات الملابس الشهير منذ خمسة عشر عامًا .. كنت أنا من ترافع عن القاتل واستطعت أن أحصل له على البراءة .

- يبدو أنني أمام محام محنك

- ليس كما تتوقع وحسب

أطفأ كمال سيجارته واعتدل في جلسته كان عامل البوفيه قد دلف إلى الغرفة ووضع فنجانين من القهوة أمامهم أمسك كمال بأحدهم وبدأ في شرب قطرات من القهوة قال وهو يعيد الفنجان مرة أخرى على المكتب:

- لا أريد أن تطيل على بأحاديثك.. لقد جئت إليك بنفسي.. ربما لشعوري أنك في ورطة ما

- اختصرت الكثير.. كل ما أريد يا دكتور تقريرك فقط.. هو مربط الفرس في القضية

عقد ذراعه ووضع الساق فوق الأخرى قائلًا:

- مائتين وخمسين ألف جنيه .

ضحك عاطف وأشعل سيجارة أخرى .. قال له وهو ينفث دخانها:

- أليس من الأفضل أن تستمع إلى القضية أولًا؟

- لا أريد أن أضيع وقتي ووقتك.. موكلك يحتاج مني هذا التقرير ..ربما سأعيده مرة أخرى إلى الحياة

- أنت بارع .. ولكن هل ترى أن ما تطلبه مبالغ فيه؟

قام وأغلق زر بدلته وهم بالانصراف، بدا ظله ضخمًا وهو يغطي على الأوراق المتراصة على المكتب.. أسرع خلفه عاطف وهو





يناديه ويجر كرشه المتدلي أمامه، وقف ووضع ذراعه أمامه ليغلق عليه الطريق قبل أن يخرج من المكتب، قال له وهو يمسكه من ذراعه عائدًا به إلى الكرسي:

- لم أكن أعرف أنك لا تمتلك الصبر الكافي للحديث

- أنت ما تفعله هو مضيعة للوقت صدقني.. أنت تعرف جيدًا ما معنى أن تعدل من سبب الوفاة أو توقيت الوفاة، سطر ..لا بل كلمة من الممكن أن تغير مسار قضيتك

- موافق على ما طلبته.. المجني عليه قتل برصاصة في الرأس من مسافة قريبة..... موكلي ينتظر المثول أمام النيابة

- متى؟

- منذ يومين أرسلت النيابة طلب تقرير الطب الشرعي في القضية

أخرج كمال من جيبة ورق صغير وقلم .. سأل عاطف وهو يدون إجابة سؤاله التالي:

- ما اسم المقتول وما اسم القاتل؟

نظر عاطف إلى الأوراق التي أمامه بعد أن ارتدي نظارته قائلًا :

- اسم القتيل .. محمود بيومي عوض .. اسم القاتل ..

قاطعه كمال:

- لماذا لم تقل لي في البداية عن اسم القتيل؟

- أنت لم تعط لي فرصة

- سيحتاج الأمر إلى مجهود لأن تلك القضية مع زميل لي آخر يحمل لواء الشرف والأمانة

طقطق أصابعه قبل أن يسأله عاطف قائلًا :

- وما العمل إذا؟

- سأتصرف .. عمومًا لا تقلق .. جهز أنت المال وسوف أهاتفك من رقم غير رقمي .. أمامك ثلاثة أيام





- سيكون نصف المبلغ جاهزًا قبل تسليم صورة من التقرير معتمدة

هز رأسه ثم انصرف

***

شركة خالد ..

وقف عدنان وهو يتأمل الرسومات المعلقة على الحائط عند مدخل الشركة، كان بجواره الوسيط الذي أتم الاتفاق بينه وبين خالد، جلسا في انتظار قدوم خالد بعد أن إبلاغ الوسيط عامل البوفيه الذي أستقبلهم، لم تمر ثوان حتى تقدم إليهم خالد بالترحاب المعهود لدية، سلم على الوسيط، ثم على عدنان الذي قدمه له الوسيط قائلًا بالفرنسية:

- مسيو عدنان nouveau partenaire

نظر له خالد متسائلا عن المعنى فأجابه الوسيط وهو يضحك:

- سوري مسيو خالد .. مسيو عدنان الشريك الجديد

اقترب منه خالد متسائلًا:

- هل يتحدث العربية

أجابه عدنان:

- نعم.. أنا فرنسي من أصول مغربية

ابتسم خالد قائلًا :

- يبدو ذلك من الاسم.. تعجبت عندما رأيته يتحدث معك بالفرنسية فتوقعت أنك لا تتكلم العربية

- أعرفها.. فقد هاجرت إلى فرنسا وأنا دون الحادية عشرة

مد خالد ذراعة باتجاه الرواق المؤدي إلى غرفة مكتبه قائلًا :

- فلنتحدث في مكتبي هذا أفضل .. تفضلا

في المكتب، بعد بعض الأسئلة العادية ودخول عامل البوفيه



بالمشروبات بدأ الوسيط في الحديث قائلًا :

- حضر مسيو عدنان ليوقع معك العقود ويدفع جزءًا من المبلغ المتفق عليه في المراسلات الإلكترونية

قال خالد مجاملًا:

- بالطبع هذا شرف لي أن يشاركني مسيو عدنان

قال الوسيط:

- حسنا .. دعنا نتحدث عن طريقة العمل فـ..

قاطعة عدنان مبتسما:

- لقد أرسلت لك شروطي لقبول الشراكة أود أن أتأكد أنها تمت بجميعها

قال خالد بحماس وهو يمد يده بسيجارة ويعطيها للوسيط وعدنان:

- تمت ( ثم أشعل سيجارة ) ولكن هناك سؤال يلح على

أشار له عدنان وهو ينفث الدخان:

- تفضل

- هل كان لك السبق في العمل في مجال الإعلانات؟

قاطعة الوسيط قائلًا :

- مسيو خالد لقد اتفقنا على كل شيء قبل أن يأتي مسيو عدنان من فرنسا.. أنت على دراية بكل الأمور

قال عدنان:

- من حقه أن يسأل.. أنا هنا كشريك لك .. أعمل معك بمالي الذي جمعته في سنوات عديدة.. يدخل ضمن المال.. أموال أخرى لشركاء لي ليس لك دخل بهم... أنا أنوب عنهم وليس لك أي تعامل قانوني أو غير قانوني معهم.. لقد أخترتك أولا لأن المبلغ المطلوب ليس كبيرا فأستطيع أن أشاركك .. ثانيا لأنك وافقت على شروطي.. هي مغامرة بالنسبة لي مسيو خالد .. أما أجابة سؤالك.. ليس لي خبرة





في مجال الإعلانات ولكن لدي خبرة كبيرة في مجال التجارة
ابتسم خالد ثم عقب قائلًا :
- أرجو أن نحقق ما نريده سويا
قال عدنان:
- لي سؤال
- تفضل
أطفأ عدنان سيجارته في مطفأة السجائر التي أمامه ثم قال:
- هل نفذت البند قبل الأخير من شروط الاتفاق .. لقد أخبرتني أن الأمر قد يأخذ وقتًا
فتح خالد جهاز اللاب توب الخاص به وتفقد البريد الإلكتروني ليراجع هذا البند، قرأه ثم عاد ببصره إلى عدنان:
- نعم .. تم بحمد لله بعد عناء كبير .. هذا كان ثاني شرط كنت أريد أن استفسر عنه .
قال الوسيط:
- مسيو خالد أسئلتك كثيرة .. أليس لك رغبة في إتمام الصفقة
- لا تقلق سيدي الفاضل ستتم الصفقة وستأخذ عمولتك ولكن هذا الشرط أخذ مني مجهود كبير .. وكان لي رغبة في معرفة لماذا هذا الإصرار لتنفيذ هذا البند؟
في تلك الأثناء دخل نوح الغرفة وفي يده ورق كارتون مقوي مرسوم عليه بعض الكادرات، نظر إلى الجالسين ثم نظر إلى خالد الذي دعاه إلى الدخول.. قال خالد مشيرا إلى نوح:
- أود أن أعرفك يا نوح على مسيو عدنان .. شريكي الجديد
حياه نوح قائلًا :
- أهلا وسهلا ..فرصة سعيدة
مستر عدنان أقدم لك نوح بهي الدين نوح من أفضل الرسامين





الموهوبين بالشركة والأخ الصغير لزوجتي سندس
قام عدنان من مكانه ومد يده بالسلام وهو مبتسم قائلًا:
- أهلا بأهل الموهبة والفرص الجيدة

***

جلس في سيارته شاردًا كالعادة، حضر إلى ذهنه نوح، كان في اتجاه منزله، أدار مسجل السيارة على أثير الإذاعة وتركه ليؤنس وحدته في الطريق، «هل من الممكن أن يخفي أقرب الناس لنا جزءًا كبيرًا من حياته»

حاول مكي أن يجد الجواب المنطقي ليقنع عقله بذلك، فلم يجد وترك الأمر ورحل بذهنه إلى قضيته الأولى، ما أن طاف بعقله في مفردات قضية القتل حتى رن هاتفه المحمول، كان يحمل اسم كمال رمزي، ابتسم حسن مكي قبل أن يجيب قال محدثا نفسه «دائما تأتي في الأوقات السعيدة»، تركه أول مرة دون رد، ثم أجابه في المرة الثانية، جاء صوت كمال هادئًا وواثقًا متسائلًا عن الحال وكيف تسير الأمور، كانت إجابات حسن مقتضبه بعض الشيء، استرسل كمال متسائلًا:

- حسن.. هل قمت بتشريح جثة القتيل محمود بيومي عوض؟
- الصوت غير واضح

زاد كمال من مستوي صوته وأعاد عليه السؤال مرة أخرى، فقال له حسن:

- استلمت طلب النيابة اليوم وبدأت في التشريح ولكني لم أكتب التقرير بعد
- هل الدكتور شوقي على علم بذلك؟

ابتسم ساخرا:





- بالطبع.. وهل أحد منا يعمل دون علمه؟
- بالتأكيد.. أريدك أن تؤجل كتابة التقرير يومين
سأله حسن متعجبًا:
- ولم إذا؟ هل الدكتور شوقي على علم بما تقوله؟
- نعم .. على علم وهو الذي طلب مني أن أحدثك ..
أجابه حسن بكل ثقة:
- أرجو أن نتحدث في هذا الأمر غدا، أنا أقود سيارتي الآن ولا أستطيع التحدث بأريحية وتركيز
- لك ما تريد .. مع السلامة
أنهي حسن المكالمة معه وهو يفكر لماذا وافق الدكتور شوقي بهذه السهولة على إعادة تشريح الجثة من قبل كمال؟!، قطع سيل أفكار رنات هاتفه مرة أخرى ،كان المتصل الضابط حاتم عز الدين، تحدث حسن بحماسة، سأله حاتم:
- أين أنت الآن؟
أجابه حسن:
- في طريق عودتي إلى المنزل
- أمن الممكن أن تغير طريق عودتك الآن وتحضر إلى مديرية الأمن؟
تعجب حسن من طلبه ولكنه لم يتردد قائلًا :
- سآتي لك حالًا .. هل هناك جديد؟
- بالتأكيد

***





## - 12 -

أدار مقود السيارة في الاتجاه المعاكس لطريقه عائدًا إلى مديرية الأمن، كان ما يشغل تفكيره هو ما الذي توصل له الأمن في تلك القضية، مسح بكفه على شعره القصير المجعد وهو يمحو تصارع الأفكار بداخله، وتساءل هل استطاع الأمن أن يجد القاتل ويعرف حل الأحجية؟، حتى الآن لم يرسل لهم التقرير النهائي ولكن أوضح في تقرير أولي أسباب الوفاة، كانت الساعة قد اقتربت من الثمانية مساء، الطريق مزدحم قليلاً والهواء قد توقف، أخذت تجوب الذكريات في ذهنه.

بعد أن تحدثت معه منة وهي تبكي وأنه كيف أخفي عليها حقيقة والده وما مر به، خرج من باب الكلية حزينًا يحمل أثقال الأسى على كتفيه، انطلق في طريقة إلى شارع عبد العزيز آل سعود بمحاذاة نهر النيل، ومن عادته إذا شعر بالغضب أو الحزن يسير بخطوات سريعة، تذكر ما حدث لوالده في مطلع التسعينات أبان الحوادث الإرهابية التي كانت تحدث في مصر آنذاك، وقف على ضفة النهر ليتأمل صفحة الماء وانعكاس الشمس عليها، وتساءل هل أعماني الحب عن تلك الحقيقة في حياتي؟ كيف لي أن اتجاهل هذا الأمر وأن أكون على يقين أن منة لن تعرف بالحقيقة في وقت قريب ووالدها رجل قاض يستطيع أن يعرف تاريخ عائلتي بمجرد رفع سماعة تليفون مكتبه، نظر بجواره فالتقطت عيناه برجل يطعم ابنه الصغير في حب وحنان، تساءل مرة أخرى .. بأي ذنب قُتل أبي؟!

قتل أبيه على يد رجال مباحث أمن الدولة من أثر التعذيب، في وقت كانت مصر تشتعل بحوادث إرهابية طالت الأبرياء، خرج والده





في فجر هذا اليوم ليصلي في المسجد، كان قد ترك لحيته بعد أن خرج من العمل في سن المعاش، وأهتم بالصلاة في المسجد في أوقاتها، بعد فترة من التزام أبيه بالصلاة بالمسجد استطاعت قوات الأمن القبض على بعض العناصر الإرهابية كانت تسكن بالقرب من المنطقة التي يعيش فيها حسن مع عائلته.

في هذا اليوم لم يستطع والده أن يستيقظ عند أذان الفجر لشعوره بالإرهاق حيث اعتاد أن يستيقظ بمفرده إلا أن والدة حسن كانت قد استيقظت لتشرب القليل من الماء وعادت وقد لاحظت أن زوجها مازال نائما، فهمت لإيقاظه،اعتدل وجلس على طرف السرير يستغفر ويستعيذ بالله من الشيطان الذي أنامه وجعله كسولًا،

قام وذهب ليتوضأ ثم نزل إلى الشارع ولم يعد إلا بعد شهرين وهو جثة هامدة.

تساءل حسن وهو يتابع السير متجهًا إلى ميدان الجيزة قائلًا :

– لو أن أمي لم تقم من النوم لتشرب الماء، ولو أن أبي لم يستعذ بالله من الشيطان، ولو أنه صلى في البيت كسلًا، لو أن الضابط الذي ضل الطريق المؤدي إلى كردون الأمن ما كان ليسأل أبي ويشك في أمره ثم يصحبه إلى القسم ليعود إلينا ميتًا،لظل كل شيء كما هو.

نفض تلك الأفكار من عقله وآمن بالقدر فقد قضى الله أمرًا كان مفعولًا، وبعد كل هذا كان من الطبيعي أن تبتعد عنه منة، وتساءل الأصدقاء كيف القصة انقلب إلى خصام وهجر، إلا أن كلا منهما التزم الصمت معللًا أن الأمر بيد الله وكل شيء نصيب.

تفاجأ حسن برجل حضر اليه الى الكلية وطلب منه إلا يحاول الاتصال بابنه المستشار، كان أحد رجاله، فهم حسن الرسالة جيدا وقرر أن لن يخوض معركة خاسرة من البداية ليس هربا من شيء أو خوفا ولكن اعتاد ألا يخسر الجزء الأكبر في حياته.

وهكذا ظلت ذكراها معلقة على جدار الذكريات حتى جاءت اليه جثة القتيلة في يوم ليزيح الشبهة بينهم تراب الماضي، ليطوف بين الأيام السابقة يتذكر ويتذكر.

أعاده إلى الطريق مرة أخرى إضاءة إحدى السيارات العالية التي اخترقت عينه وقد جاءت مسرعة من الاتجاه المعاكس، كان قد اقترب من مديرية الأمن، هاتفه مرة أخرى حاتم فأكد له أنه قد اقترب وفي غضون دقائق سيكون أمامه.

دلف إلى المكتب بعد أن ألقى عليه التحية، جلس حاتم بمفرده في مكتبه، دعا حسن إلى الجلوس، وبدأ في الحديث قائلًا:

- عند تتبعنا للصورة التي وجدتها على ذاكرة الهاتف الخاص بالقتيلة وجدنا أن أحد الأشخاص قد وضعها على أحد المواقع الخاص للأفلام الصور الجنسية وبتتبع الحساب الخاص له استطعنا تحديد هويته والقبض عليه

- وماذا بعد؟

- عند استجوابه اعترف أن أحد الأشخاص قد أرسل الصورة له وقال إنه يعرف القتيلة وعلي علاقة بها

- هكذا .. دائما نسيء استخدام التكنولوجيا.. مثل هذه الأشياء وجدت في حياتنا لتسيطر على عقولنا لا لنسيطر عليها

- متفق معاك .. هل توصلت لشيء؟

- في بعض الحالات المشابهة لتلك القضية يخرج البول من القتيلة نتيجة الخوف الشديد والرعب أثناء الهجوم، ولكن في تلك الحالة كانت نقطة البول موجودة على المرحاض ولم نجد شيئًا في المكان الذي وجدت فيه الجثة.. للتأكيد من عينة البول قمت بتشريح الأمعاء والكبد والطحال واستخراج عينة من المثانة البولية وبمقارنة العينة المستخرجة من القتيلة بالعينة التي وجدت في موضع الحادث





تبين عدم التطابق.

- هل ستقودنا تلك العينة إلى القاتل من وجهة نظرك؟

- ربما نعم وربما لا

أشعل حاتم سيجارة ونفس دخانها وهو يكمل ما تبقى من القهوة التي أمامه ثم قال باسما:

- يبدو أن القتيلة كانت على مستوي عال من الخبرة في التعامل مع الرجال

لم يُظهر حسن أي تجاوب على تعليق حاتم وأكمل حديثه قائلًا:

- أرجو استدعاء الزوج إلى مصلحة الطب الشرعي لأخذ منه عينة للمقارنة

اعتدل حاتم في جلسته وقال في صرامه:

- سيحدث ذلك عما قريب

لمح حسن تلك النبرة فابتسم قائلًا:

- أشكرك على مجهودك للوصول إلى الحقيقة

- لا شكر على واجب

- هل سيتم استدعاء صديق الرجل الذي قام برفع الصورة على الإنترنت؟

أطفاء سيجارته ثم قال:

- نعم .. غدا

قام حسن من مكانه وهو يمد يده ليصافح حاتم:

- أرجو أن تطالعني بالمستجدات.. أشكرك على اتصالك بي لحضوري إلى هنا.. سأذهب الآن.

قام حاتم وبادله السلام ثم انصرف حسن.

***

جلس خالد وسندس في أحد المطاعم الفاخرة بالمهندسين يتناولون وجبة العشاء، دعاها خالد بمناسبة أمضاء عقود الشراكة التي ستغير مجري الأمور في الشركة بحسب وصفه، كان أنيقا يرتدي بدله كحلي ويعطر ملابسه بعطر تحبه سندس بينما هي كانت ترتدي فستانا أنيقا ظهرت فيه وكأنها إحدى ملكات عصر النهضة في أوروبا. كانت متعجبة في بادئ الأمر عندما هاتفها لدعوتها على العشاء، تعجبت من دعوته فمنذ عقد القران ولم يحدث ذلك ولو مرة، كانت سعيدة بتلك الدعوة، جلسا يتحدثان عن الأمور العادية في الحياة وعن العمل ونوح، بدا لها أنه شخص آخر، فربما هو كذلك عندما يكون سعيد يرغب في أن تراه سندس سعيدًا وبالعكس عندما يغضب يخرج لهب الغضب في وجهها، طيبة قلبها هي التي تجعلها تصبر على ذلك.

نظرت اليه وأخذت تتأمله وهو يأكل الطعام، ابتسمت ثم عادت ببصرها إلى الصحن الذي أمامها وأخذت تقلب الطعام بالملعقة التي في يدها ثم نظرت له مرة أخرى وسألته:

- هل لي أن أعرف شيئا منك؟

ابتسم وهو يمضغ الطعام قائلًا :

- تفضلي .. بالتأكيد يا حبيبتي

أسندت ظهرها إلى الخلف وتركت الملعقة ثم قالت:

- هل ما عرفته عن أبي قد يجعلك تتغير من ناحيتي؟

ابتسم قائلًا :

- أجلس معاكي في أحد المطاعم الفاخر نأكل سويا ونتحدث مثلما لم نتحدث من قبل وتسألينني هذا السؤال؟ .. بالطبع لا يا سندس ... لا شيء سيتغير ..نحن بشر نخطئ وقد نتدارك ذلك أو لا





.. لا أحد على وجه الأرض لم ولن يخطئ
هزت رأسها في رضا وقالت مداعبة خالد :
- وما هي أخطاؤك إذا .. اعترف؟
- أنا؟؟ ( ثم يضحك )
- وعلام تضحك؟
- يا سندس .. أنا جبل من الأخطاء يمشي على الأرض
قطبت جبينها:
- أخاف من ذلك
- لماذا لا أخاف أنا منك .. كيف سأعيش مع امرأة في الصباح تقطع في لحم الموتى وفي المساء ستحضر لي الطعام.. (يضحك بصوت عالٍ)
ابتسمت ضاحكة:
- وفي أثناء النوم أقوم وأقطعك إربًا
مرَ الوقت وهم يتسامرون حديثًا رقيقًا وآخر مشوقًا، ثم علق بصره على إحدى الشاشات التي كانت معلقة أمامه وكانت تعرض على إحدى القنوات إعلانًا عن العلاج بالتنويم الإيحائي نظرت إلى حيث علق بصره فسألها :
- بما أنك طبيبة هل تعرفين شيئا عن العلاج بالتنويم الإيحائي؟
تعجبت من السؤال ولكن كانت إجابتها أسرع:
- نعم .. ولكن لماذا تسأل؟
- لفت انتباهي هذا الإعلان وخصوصا أنني أدخن بشراهة ويبدو أنه قد يساعدني في الإقلاع عن التدخين
- لقد قرأت فيه كتابًا .. دعني أطلعك على ما أعرفه.. التنويم الإيحائي هو حالة استرخاء ذهني تقوم على فكرة التواصل الواعي مع العقل الباطن ويعرف أيضا بالعقل اللاواعي بعد تشتيت العقل الواعي

وفي هذه الحالة يكون العقل الباطن منفتحاً على الأفكار المقترحة والإيحاءات التي تطرح عليه ويباشر بتنفيذهاً ولذلك سمي بالتنويم الايحائي وهو لا يعتبر نومًا وإنما حالة تفصل بين الوعي واللاوعي وأقرب إلى الوعي منها إلى النوم

أعتدل في جلسته وهو يتناول بعض قطرات المياه من الكأس الذي أمامه ثم قال:

- إذا ما نشاهده في الأفلام غير حقيقي

بدا عليها ملامح الجد وكأنها تقوم بالشرح لأحد التلاميذ:

- بالطبع .. كل ما يعرض في الأفلام غير حقيقي.. لا يوجد شخص ينظر إلى عينيك ويجعلك تنام تماما هذا خطأ فادح .. لا يفقد الشخص المنوم وعيه أو شعوره كاملا بل يظل محتفظا بقدر من الوعي وقسط من الإدراك تجعله يدرك ما يحيط حوله أثناء العملية التنويمية. والقول بأن المريض يفقد إرادته تحت التنويم أمر غير حقيقي خطأ شائع وغير علمي.

نظر لها بتعجب من كم المعلومات التي عرضتها قال لها متسائلًا:

- هل يستطيع أن يعالج من الإدمان أو التدخين كما يقول هذا الإعلان؟

- بالتأكيد

ثم أردفت متسائلة:

- ألم تلاحظ أننا نجلس في مطعم ونتناول عشاء رومانسي؟

بدا على ملامحه أنه تدارك ما يفعله فابتسم قائلًا :

- أنا آسف..

ثم أردف:

- هل تودين أن نغادر المطعم؟

- كما تشاء؟ إلى أين سنذهب إذن؟





بينما كان يستعد للإجابة على السؤال رن هاتف سندس فظهر اسم حسن،فأجابت مسرعة، تعجب خالد من سرعتها في الرد ورفع حاجبه الأيمن كعادته، تبدلت ملامح سندس وقطبت جبينها محدقة في الحائط الواقع على مرمى بصرها وهي تركز جيدًا فيما يقال لها.

***

مرَ أسبوعان داخل الشركة والرجل الثاني هو من يسيطر على مقاليد الأمور، أو بالأحرى أضحي هو الرجل الأول، كان في بادئ الأمر يتوقع نوح أن عدنان سيصبح شريكًا بماله فقط ولكن لم يدرك أنه قد أصبح هو المدير الفعلي في الإدارة، يتدخل في كل كبيرة وصغيرة، يتجنب خالد وينفرد هو بالقرارات، أثار ذلك الوضع دهشة نوح الذي رأي خالد لأول مرة وهو يقف بين يدي عدنان لا يعرف كيف يجيب على أسئلته التي بدت أسئلة في أمور عادية، ويتعامل مباشرة مع العملاء، ظهرت بوادر أولي المشكلات عندما أتى عزمي إلى الشركة وأخذ يصيح وهو يتحاور مع خالد عن المبالغ التي دفعت ولم يتم تصوير الإعلان أو حتى إصدار المطبوعات والإعلانات المعلق في الشوارع، كان الأمر قد يصل إلى حتى التطاول بالأيدي إلا أن تدخل عدنان في اللحظة الأخير واللحظة التي أخرج فيها عزمي مسدسه من جرابه الأسود المعلق على كتفه شاهرًا إياه في وجه خالد الذي أسرع ودفع عزمي في صدره فسقط أرضا بجسده الثقيل، وهنا كان لحضور عدنان أمر آخر، كان نوح يتابع ما يحدث أمامه دون أن يتدخل لا خوفا على نفسة ولكن كان يري أن خالد لابد أن يتعلم درسا في حياته وأن ما يفعله متسرعًا في قراراته قد يضيع كل ما يملكه، هدأ الجميع وبدأ الحديث، جلسوا جميعا ملتفين حول طاولة الاجتماعات في إحدى الغرف، جلس عدنان في المنتصف بينما جلس خالد يمينًا وجلس





عزمي يسارًا،حدقه عزمي وعينه تنبعث منها كراهية وعدوانًا بينما نظر له خالد نظرة عند وقوة، بدأ عدنان كلامه مستفسرًا عن تفاصيل القصة وهنا قام عزمي بسرد كل الوقائع منذ أن أقترض منه مبلغا من المال أثناء اللعب حتى آخر مكالمة بينهما ووعد خالد له بأن يستعجل الأمور وينتهي من الحملة الدعائية، حدَج عدنان خالد بنظرة معبره عن ما يفعله هو الخراب بعينه، عقد يده وهو يوجه كلامه إلى خالد:

- هل تعي ما تفعله؟

أعتدل عزمي في جلسته وهو يستمع إلى السؤال، أجابه خالد وهو يطرق على الطاولة بأصبع السبابة:

- ما الذي حدث؟ كل ما في الأمر أن هذا العمل لا ينتهي في يوم وليلة

- هل تعتقد أنك تدير الأمور بذكاء وخبرة؟

- وما الذي ينقصني إذا؟ هل أتيت هنا ووجدت الأطلال وأنا أبكي عليها؟

ابتسم عزمي سخريه، حدجه خالد وقال له بنبرة قوية:

- وعلام تضحك يا وحيد القرن؟

انفعل عزمي وكاد أن ينقض على خالد إلا أن تدخل عدنان مرة أخرى وأنقذه من الفتك، تساءل عدنان:

- كم هو المبلغ المدفوع؟

أجابه خالد وهو يعرف حاجبه الأيمن وينظر إلى عزمي:

- مئتا ألف جنيه

فصرخ عزمي مصححًا الرقم:

- ومبلغ القمار أيها السكري

فعدل خالد الرقم قائلًا :

- مائتان وثلاثون ألف جنيه

قال عدنان:





- متى يستلم حملته؟
- عندما أنتهي
قال عدنان بعصبية:
- أريد ميعادًا محددًا
فقال خالد:
- شهر من اليوم
قام عزمي من مكانه ثم نظر إلى خالد وهو يضع يده اليمني على مسدسه المعلق على كتفه:
- إذا لم تلتزم بالميعاد.. ستخسر روحك ولن أسجن يومًا واحدًا، فأمثالك من السهل جدًا أن تصدق الشرطة أنك حرامي وقد تهجمت على فيلتي
ثم أشار بأصبعه إليه محذرًا:
- ثلاثون يومًا تفصل بين حياتك ومماتك.
رحل وقد صفق الباب خلفه

***





## - 13 -

هل استوعب كل منا ما يحيط بنا في عالم واسع كبير أصبح بضغطه بسيطة من أصبع السبابة عالم صغير؟

الدوامة كبيرة ما نمسي عليه نصبح فيه، أصبح التحكم في كل شيء بين يديك، أصبح عالمنا معروضا مرئيًا ومسموعًا، خطواتك معروفه، أصبحنا في الحصار العظيم، هل من الممكن أن ننفض كل هذا بأيدينا محاولين الهروب من هذا الحصار؟

السيطرة سهله، أسهل مما نتخيل، والرسائل تصل كما يريدها المرسل، وأنا وأنت نقف مستمتعين داخل دائرة مصمتة تحفنا من جميع الجوانب ولا مخرج منها إلا بشيء واحد..

الإدراك..

و إن أدركنا ماهية الحصار ..

أدركنا النجاة ..

كانت الألوان تنساب من بين أنامله معبرة عن الحصار الذي كان يسيطر على تفكيره وعلى ما يدور حوله، كل هذا الوقت داخل الشركة وفي هذا المجال جعله يعرف ويفهم ما لم يفهمه من قبل، أخرج كل هذا في لوحة لونت بألوان الزيت، تداخلت الألوان مع بعضها البعض، الأحمر تجاوز المدي في اللوحة، وتشعب منه البرتقالي وأحترق الأخضر في أسفل التكوين المرسوم، وضعت سلمى اللوحة على كرسي خشبي في الحديقة وابتعدت قليلا للتأمل ما رسمه نوح، ابتسم نوح لذلك وتذكر أول تعارف بينهما عندما اقتربت من لوحة كان يرسمها في إحدى قاعات المحاضرات، سحبتها من تحت يده





ووضعتها على أحد الكراسي وابتعدت قليلًا ثم حيته على إبداعاته، كانت جريئة طيبة القلب ذات ابتسامة جميلة تلفت الأنظار، لم يتعجب تلك المرة من طريقة عرضها للوحة فقد مرَ أربع سنوات وقد حفظ كلا منهما الآخر.

اقتربت مرة أخرى وقد سألته عن اسم اللوحة، فقال:

- الحصار

كانت تلك الكلمة هي المفتاح الذي أولجه نوح في مزلاج الحياة السابقة لسلمى لتتذكر ما حدث، حُصرت سلمى في حياتها حصارا مريرا، وتمنت لو أنها لم تولد أو لو أنها قتلت مع والديها، فقدت حنانهما، لم تلقي في الحياة بعدهما أي نوع من الحنان أو الإشفاق، انتقلت للعيش مع عمتها، وما إن هبت رياح البلوغ واشتد جسدها قوامًا أنثويًا حتى حُصرت من قبل أولاد عمتها الاثنين، فصارا يتقربان منها تقربًا وحشيًا كفريسة سهلة المنال، إلا أنها أبت ذلك، رغبة عمتها في أن تزوجها أحد الولدين ولكن رفضت سلمى الفكرة تماما، وما إن علم أولاد عمتها رغبة الأم حتى هبت بينهما رياح الشجار والعراك، فرأت الأم أن وجود سلمى بالبيت قد يحدث شقاقا بين الأخوين فأودعتها في دار رعاية، كانت في الثالثة عشرة من عمرها، ظلت أعواما لم يسأل عنها أحد من أهلها، عاشت وحيدة تداولها الأيام وأسرعت بها حتى التحقت بالجامعة والتقت بنوح الذي أصبح بالنسبة لها دينا جديدة عرفت من خلاله أن الحياة ليس بها الخبيث فقط.

ربت نوح على كتف سلمى قائلًا :

- هل سمعتي ما كنت أقوله؟

لم تجاوبه وابتسمت، حملت اللوحة ووضعتها بجوارها على الأريكة الخشبية، ومدت يدها لتعانق يد نوح، الذي بدا سعيدا من





عناق الأيدي، ابتسمت له في حنو وود كعادتها، وحاولت أن تبعث في داخله الطمأنينة، قالت بصوت رخيم:

- أي حصار تشعر؟

لأقل من ثانية لم يعرف بماذا يجيب، نظر إلى عينيها والتي يحيطهما كحل أسود جعلهما كإطار أبدع الخالق في خلقه، حك رأسه قبل أن يجيب، ثم نظر إلى اللوحة الرابضة جوار سندس وقال:

- بدأت أراقب كل شيء حولي.. مع سندس..في العمل.. في ما أقدمه للناس.. في كل شيء..

- وماذا وجدت؟

- وجدت حصار خالد لسندس في كل شيء.. وجدت حصار لعقل المستهلكين عبر الإعلانات.. وجدت حصار البشر لبعضهما البعض

- سندس كبيرة بما يكفي لتخرج من هذا الحصار

هز رأسه بالنفي وهو يطوي شفتيه ثم قال:

- الحصار تحت مسمى الحب .. هو الاندفاع داخل أحضان البئر من أجل التخلص من العطش ..ثم تغرق.. فلا تشرب ولا تنعم بشيء

قالت وقد تأثرت قليلا بكلامه:

- تشبيه قاتل

- لا.. تشبيه واقعي

بمشاعر الأنثى قالت متسائلة:

- وهل حبي لك حصار؟

- ما دمت تشربين الماء وتروين عطشك دون الموت.. فهذا ليس حصارًا

- وهل عرفت ما هو الملاذ؟

قال وهو يتكئ بيده على الأريكة:

- لن نعرف الملاذ إلا إذا تخلصنا من الحصار الأكبر



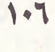


- وما هو الحصار الأكبر؟
- التحكم في العقول
شعرت أن الحديث سيذهب إلى طريق غير مرض وسيزيده تفكيرًا فأخذت بيده وترجلت معه داخل الحديقة سألته بعفوية:
- هل تحبيني؟
- أنتِ المأوى لشريد مثلي..
ظهرت حمرة الخجل على وجنتها التي كانت ناصعة البياض قبل هذا الكلام الشجي بثوان، عدلت من حجابها الأسود والتفتت إليه وقالت:
- أنت الطريق المنير عندما أفقد نور الحياة.

***

**مكتب حسن مكي**

جلس حسن وهو يحاوط رأسه بكفيه، كان مندمجًا مع بعض الأوراق التي أمامه في تركيز شديد، لم يسمع بوقع خطوات سندس وهي تدخل المكتب وتجلس، انتبه لها عندما سحبت من أمامه الورقة التي كان يحدق فيها، مجموعة أوراق وصور وسط ملف مفتوح على مصراعيه، قرأت ما دوّن بها ثم نظرت إليه، هزت رأسها متعجبة مما قرأت، سألته:
- كيف حدث ذلك يا حسن؟ .. لم أصدق عندما أخبرتني في الهاتف
- ولماذا تتعجبين وشيء من هذا القبيل متوقع
أعادت عليه السؤال مرة أخرى :
- كيف حدث ذلك؟
بدا عليه الضيق الشديد وانفعل قائلًا:
- لا أعرف يا سندس.. كنت في تلك الفترة مهتمًا بقضية المرأة






التي وجدت مقتولة في شقتها ولم أتمم التقرير لهذه القضية

فأكملت له الحديث قائلة:

- فأسرع كمال وأخذها لصالحه .. وبالطبع نحن نعلم ماذا سيحدث

- الغريب في الأمر أنه عندما تحدث معي في الهاتف كان واثقًا أن تشريح هذه الجثة ( قلب الملف ليقرأ اسمه) لمحمود بيومي عوض ستؤول إليه

- ومن أعطاه الموافقة إذن؟

- هل هناك شخص آخر له الحق في ذلك القرار؟

صاحت متعجبة:

- الدكتور شوقي حافظ؟!! .. هل تعتقد أنه على دراية بما يفعله كمال؟

- وأن لم يكن على دراية.. فتوقيعه هذا موافقه على ما يحدث

- أريد أن أعرف ماذا كنت ستكتب في التقرير الخاص لهذه القضية؟

قام من مكانه متجها إلى أحد الأرفف التي تحمل دوسيهًا به أوراق كثيرة وضعه على المكتب وفتحه وأخرج أوراقًا كتبت بخط اليد فتحها وبدأ في قراءتها:

- التقرير المبدئي من المعاينة الأولى أنه أصيب بطلق ناري في منطقة الصدر مما أحدث تهتكًا في الرئة والقلب ومات على الفور، اخترق مقذوف من عيار ٩ مللي الصدر وخرج من الظهر.

التقطت سندس الورقة مرة أخرى من على المكتب وبدأت تقرأها سريعا:

- ما قرأته في تقرير كمال أن سبب الوفاة هو ارتطام الرأس بالأرض نتيجة الدفع

ثم أردفت متسائلة:

- من أين حصلت على ذلك التقرير؟

- أحد أوصله لي





حدجته بتعجب:

- أحد؟؟ من ذا الذي يرسل لنا أوراق بطريقة غير مفهومة؟

- يبدو أن هناك أمرا ما يجعلنا نسير على هذا الدرب سويا

**باريـــــس**

لم يعد يفكر في الأمر الذي يخص العمل في مصر بعد أن أرسل عدنان إلى هناك، ترجل تاركا سيارته مبتعدا عن الأطلال المحترقة، مرَ من الوقت الكثير ولم يشعر به حتى لاح في الأفق البعيد قوس النصر، كان المغيب يداعب الطرقات بأشعتها الوردية، وقف ونظر إلى قوس النصر من ناحية اليسار ظهر بناء ضخم عال على يساره، تحرك قليلا إلى الأمام وهو يتأمله، انتصفت الشمس في وسط القوس وهي تغادر سماءها، أخذ يتأمل هذا المشهد الرباني وهو يتذكر ما حدث، وتساءل ما هي القوة التي تمكنه من القفز أعلي القوس والعبور إلى الجهة الأخرى، قد أمتلك قوة المال وفي ثوان راح كل شيء، هناك أمور أخرى لابد أن يسرع في تحقيقها حتى يصل إلى مراده، سنوات مضت وهو يؤجل قراره هذا حتى حدث ما لم يكن في الحسبان أن يصل انتقام رينيه إلى ذلك الأمر، الآن هناك أمور يجب إعادة تقييمها مرة أخرى، ما يفعله عدنان في مصر هو أمر هام جدا، سيعوض ما فقده ويعيطه الرضا الكافي، تجلي التضاد في عقله متسائلًا «وكيف لي أن أحصل على الرضا الكامل دون حبيبتي وطفلي» وكم من التضاد يصاحبنا عند التفكير في أمور حياتنا اليومية وعند اتخاذ القرارات، وسط ضجيج الأفكار اختفت الشمس عن أرض قوس النصر وبدأت إضاءة السيارات المسرعة تزعجه، إلا أن ما زاد إزعاجه عندما التفت ليرى حكيم أحد رجال رنيه وقد بدا وكأنه يراقبه، تحرك في خطوات ثقيلة وهو يتابع خيال حكيم خلفه، تعالت أنفاسه وتدافع





الأدرنالين في الدم، بدأ يسرع في خطواته حتى عبر الطريق مارا بأسفل قوس النصر بينما أسرع حكيم وراءه، وفجأة ظهر ديدا وجهًا لوجه أمام حكيم، لم يتوقع حكيم أن يباغته ديدا بلكمة على وجهه أسقطته أرضًا أسفل القوس، رفع حكيم عينه إلى ديدا وقام سريعًا حتى عاد ديدا مرة أخرى لكي يلكمه ولكن أمسك حكيم قبضة ديدا التي كانت موجهة إلى وجهه وصاح فيه قائلًا :

- اهدأ يا ديدا ولا تخف ..

- سوف تندم على ما تفكر فيه يا حكيم

ترك حكيم يده قائلًا :

- أتيت إليك محذرًا لا معتديًا

رماه ديدا بنظرة تعجب، هز حكيم رأسه قائلًا :

- لم آت لكي أقتلك أو أفعل ما تفكر فيه يا ديدا .. جئت كما قلت لك محذرًا

قال مستهزئًا:

- أرسل الذئب رسولًا يحذر ضحاياه

- لم يرسلني رينيه يا ديدا .. ولكني أتشوق لرد جميل لك

باغته ديدا:

- لا تلاعبني يا حكيم.. وإن كنت تعتقد أنني قد كُسرت فتذكر السفينة التي تواجه الإعصار ولا تنكسر

ابتسم حكيم:

- كلنا أتينا من على ظهر السفينة .. ربما أجدادنا تقابلوا هناك

- لا تطل وأجبني ماذا تريد؟

- أريد أن أساعدك .. رينيه يجهز لك أمرًا مؤلمًا .. اعتن بوالدتك جيدًا

لم يلبس أن يكمل جملته حتى أطلق النار عليه وأودت بحياته،

أسرع ديدا هربًا واختبأ خلف الأشجار، وفي جنح الليل عاد إلى الحي اللاتيني كشبح يعبر الطريق.

***

أنهى نوح عمله وكعادته ترجل متأملًا اللوحات الإعلانية المعلقة على أسطح المباني، تذكر ما طلبته سلمى منه أن يأتي لها بأولى لوحاته التي رسمها، هاتف سندس وسألها هل لوحاته القديمة انتقلت معهم إلى الشقة الجديدة بمدينة نصر، أخذت ثواني لكي تتذكر فهي التي اتخذت مسئولية إعداد الأثاث عند الانتقال إلى الشقة الجديدة، أجابته أن اللوحات ما زلت في غرفته في شقتهما القديمة، اتخذ طريقه إلى هناك إلى منطقة سراي القبة، اقترب من الشارع وتذكر أيام الصبا والأصدقاء واللعب، أخذ يتأمل العمارات الجديدة التي بنيت على أطلال الفيلات القديمة والسرايات التي أُنشئت أيام الملكية وكيف أثرت تلك السرايات الرائعة في حسه الفني.

دلف إلى الشارع القديم ووقف أمام العمارة التي كان يسكن بها، لم يصعد إلى الشقة منذ أن توفيت أمه، كانت العمارة في أحد الشوارع الضيقة والتي تطل على فيلا كانت لوقت صباه يسكن فيها أحد أحفاد الباشاوات من العصر الذهبي، تذكر كم من المرات الذي اعتلى فيها السور لكي يحضر الكرة أثناء اللعب مع أصدقاء في الشارع، نظر إلى شرفة الشقة وتذكر صوت أمه التي كانت تنادي عليه لكي يصعد إلى أعلى ليأكل، دخل إلى العمارة، شعر ببرودة تجتاح جسده، صعد إلى الطابق الثالث، وقف أمام باب الشقة وتأمله قليلًا، كم من الأتربة التي علقت عليه، نظر إلى الحائط المجاور للباب ورأي إحدى رسوماته عندما كان صغير ولكن الألوان أصبحت باهتة، ابتسم ثم وضع المفتاح في مزلاج الباب ليفتح محدثًا صريرًا عاليًا بفعل صدى الصوت في





المكان الفارغ، قابلته الصالة في المدخل وعلى اليمين كانت غرفته بجوارها غرفة سندس،دخل إلى غرفة أمه وتذكر كم من المرات التي كان يجلس بجوارها في أيامها الأخيرة قبل الوفاة يحكي لها ما فعله في المدرسة، ويرسم ثم يبكي عندما يخرج متجهًا إلى غرفته .

وجد داخل الغرفة أربعة صناديق كبيرة، تعجب كيف لم يحملوهم معهم إلى المسكن الجديد، اقترب من أحد الصناديق وفتحه، مد يده إلى الداخل فوجد مجموعة من الأوراق، ولأنه يكره التراب فكان يخرج يده وينفض التراب من عليها، ولكن الفضول جعله يمد يده مرة أخرى، فوجد أسفل الصندوق كيسًا ممتلئًا، أخرجه ليرى محتوياته، وجد بداخله مجموعة كبيرة من الصور، أخذ يقلبها، الصور لأبيه منذ أن كان شابًا حتى وقت قريب، أخذ يشاهد مجموعة كبيرة من الصور حتى ظهرت له صورة، دقق النظر فيها فهي لأبيه ولكن من التي معه؟





- 14 -

# شركة خالد

علي أنغام موسيقي عمر خيرت الرائعة جلس نوح أمام لوحته يرسم Story board لأحد الأعمال التي سيتم تصويرها عما قريب، كان مندمجًا في تفاصيل الحركة للشخصيات، دلف إلى الغرفة عدنان وجلس بجواره،خرج أحد العاملين بالقسم ففرغت الغرفة إلا بوجودهما، اندمج نوح مع تفاصيل بطل الإعلان فأخذ يعيد رسمه مرات عديدة حتى يتلاءم مع زاوية الكاميرا المتفق عليها مع خالد، اقترب برأسه الى اللوحة في تركيز شديد، عاد مره أخرى ومسح جزء من الرسمة، زاد انفعاله لعدم قدرته على إخراج اللوحة كما يريد، كان عدنان يراقب كل هذا دون أن يشعر به نوح، مرت ثوان حتى فرغ نوح من صنع ما يريد، قاطع تركيز عدنان قائلًا :

- ماذا كنت تفعل؟

نظر نوح له دون أن ينبس بكلمة، أعاد عليه عدنان السؤال مرة أخرى فاعتدل نوح في جلسته وهو يحدقه قائلًا :

- اعمل

ثم أشار له بيديه حتى يلقي بنظره على اللوحة، ابتسم عدنان وعاد ببصره إلى نوح قائلًا :

- وهب الله لك حسًا فنيًا عاليًا
- أشكرك
- هل حلمت في مغادرة مصر إلى أي دولة أخرى تقدر فنك؟

هز نوح رأسه بالنفي وعاد مرة أخرى ليستمع إلى موسيقى خيرت ويرسم،أردف عدنان قائلًا وهو يشعل سيجارة:

- في بلادي يقدرون ما تقوم أنت به

أجابه نوح وهو يكمل رسمه:

- أي بلاد تقصد؟

جاءت إجابة عدنان سريعة:

- فرنسا

ابتسم نوح قائلًا:

- أعتقد أن هذا البلد هو فقط المدون في جواز سفرك ليس إلا

- ماذا تقصد بكلامك؟

- لا شيء قد تغير، فلغته العربية جيدة واسمك عربي النشأة،حتى طباعك لم تتغير في شيء، أنت عربي بكل ما تحمله الكلمة

ثم ضحك نوح، تعجب عدنان من رد نوح، اقترب منه ووضع يده على كتفه وقال:

- أقدر ذكاءك

فقال نوح مازحًا:

- فالخير لك ألا تعبث معي

- الخير لنا أن نكون أصدقاء

- لا أرى أن وجودك هنا يحمل الخير للجميع

أطفأ سيجارته قائلًا:

- صدقني .. وجودي هنا هو الملاذ الأخير

أردف عدنان متسائلًا:

- لقد لاحظت أنك تتعامل مع خالد بنوع من الحذر .. فلماذا ؟

دار نوح بجذعه ناظرًا إليه متأملًا ملامحه قائلًا:

- هل لسؤالك هذا علاقة بالعمل هنا؟

قال عدنان مبتسمًا:
- لقد اتفقنا أن نكون أصدقاء
فكر نوح قليلًا قبل أن يجيبه، أمسك القلم وبدأ يرسم ثم قال:
- هناك اختلاف في وجهات النظر بيننا
- أتمني أن تزول
- إن شاء الله
وقبل أن يخرج عدنان من الغرفة سأله نوح قائلًا :
- هل لك أن توافق على إجازة لي الأسبوع المقبل؟
دون تردد قال عدنان:
- بالطبع لك ما تريد.. ولكن أين ستقضي إجازتك؟
- سأسافر إلى شرم الشيخ
- أتمني أن تقضي وقتًا ممتعًا
خرج عدنان من الغرفة وهو يشعر أن الجدار الذي كان بينهما قد تقوض وأنه يسير على الخطى السليمة، فلعل صداقته مع نوح قد تجعله يملك زمام الأمور بشدة .

***

علي امتداد نهر النيل ووسط الأغصان المتدلية، النخيل قطوفها دانية ، والسماء كانت زرقاء صافية، على صفحة الماء تتحرك أشعة الشمس كلآلِئٌ، كان النسيم يداعب أوراق الأشجار وكانت عينها تنظر له في اشتياق، جلسا بالقرب من الشاطئ حيث تدلت أوراق أشجار التوت بالقرب منهما، كانت عيناه تتأمل أمواج الماء الهادئة الناتجة عن تحرك المراكب، وكأنما تعبر تلك الأمواج عما بداخله وهو جالس يراقب، كانت تتأمل نظراته وتتساءل أيفكر في مستقبلنا؟، عادت إلى الواقع الذي يحف بحياتهما، فتغير السؤال إلى ما الذي




يفكر فيه الآن؟، كانت ترتدي تنورة سوداء وقميصًا أبيض وطرحة سوداء فتجلى جمالها، نظر لها وابتسم، تجول بأفكاره داخل عينيها ؛ فقرأت ما يريد أن يقوله واتسع ثغرها بالابتسامة، تلمست أنامله وقالت وهي على دراية كاملة بما يجوب في عالمه :

- سيمر كل شيء على ما يرام

هز رأسه والهواء يداعب شعره الناعم الأسود قائلًا :

- ارسم أسوأ السيناريوهات لكل شيء

فقالت:

- هل ما زلت مضطربًا؟

و قد لمحته وهو يحك كفيه ببعضهما، فبدا على غير العادة من أمره، نظرت إلى النهر فرأت سيدة تجدف بمركب خشبي صغير وقد اتخذته بيتًا ويلتف حولها ثلاثة أطفال يلهون في الماء بأيديهم ويقذفون الماء على بعضهما، وجدت هذا المشهد مخرجًا جيدًا لاضطرابه فقالت بصوت رخيم وهي تشير إلى السيدة :

- انظر .. صورة تدفعك لكي ترسم .. أليس كذلك؟

فحدجها على غير العادة وقد تجلت في ذهنه فكرة لاقت ترحيبًا من خياله الخصب، قال بحماس:

- الجبل .. الجبل يكمل اللوحة

فقالت في تعجب:

- أي جبل تقصد يا نوح؟

- منذ أسابيع وأنا أحاول أن أرسم لوحة ما والآن قد وجدت العنصر الذي يكملها

نظرت في عينه قائلة:

- فليوفقك الله

- سوف أسافر إلى شرم الشيخ





قالت بنبرة حزينة:
- متى ستعود؟
قرأ في عينيها الحزن فأمسك بيدها وقبلها ثم قال لها:

- لا تقلقي سأعود قريبا
- لا تتركني وحدي يا نوح
- سأخبرك بكل شيء
عاد من جنتهما إلى الشارع الرئيسي ليعبراه، احتضنها بكفه حتى عبرا إلى الجهة المقابلة للطريق.

***

قال عدنان في حسم:
- لم تف باتفاقنا حتى الآن
أشعل خالد سيجارته ثم أمسك بجهاز التحكم عن بعد للتكييف ليضبط درجة الحرارة ثم قال:
- لقد أتممته على أكمل وجه يا مسيو عدنان
فهز عدنان رأسه وهو ينظر اليه:
- هل أنت على يقين من ذلك؟
فتعجب خالد من السؤال فقال:
- عجبا .. فأنت تجلس الآن بمكتبي وقد أصبحت شريكي
- وماذا عن باقي الاتفاق؟
- ليس لي شأن به
أمسك بقلم أمامه وبدأ يعبث بورقة أمامه قائلًا :
- أأنت واثقا مما تقول؟
بدا على نبرة صوته العنف والتحفز فحاول خالد أن يتجنب ذلك



في حديثه قائلًا :

- لم توضح لي ما تريده من البداية ولكن من الآن وصاعدًا قد أصبحنا شركاء في كل شيء

ابتسم عدنان وقال:

- لقد بدأت تفهم ما أريده

- ستجدني رهن إشارتك..

- إذن ستجد ما يسعدك

- أتمني ذلك



# - 15 -

## باريس

أدركته الأيام فأسرعت في خطواتها بين رغباته الدفينة في تحقيق ما يتمناه وما يمليه عليه الماضي، وما لبث حتى قفز بالأيام إلى ما يريده فأرسل أمه إلى المغرب لتعود إلى أخواتها، وتفرغ تماما لهدفه فأعاد بناء ما هدمته الأيام وتواصل مع عدنان ليتابع ما زرعه في مصر ليحصده في الأيام المقبلة، أما عن (رينيه) فقد فكر مليا فوجد الطريق لتحقيق مكاسب تعود له بالمصلحة، تواصل مع (باستين ) أحد أصدقائه وقد تزاملا في العمل داخل مزرعة العنب، دارت الأيام دورتها الكاملة فعقدت من السنوات عقدين، تجول بين شوارع الحي اللاتيني فرأى صورة (باستين) وقد ملأت الجدران، تأمل ملامحه، لم تتغير تلك العينين الزرقاوين الجريئتين وابتسامته الصافية المعهودة، كل ما تغير هو أن المشيب بدأ الزحف إلى شعره، وقف ليقرأ ما كتب تحت صورته وهو يرتدي بدلته الرمادية ورابطة عنق فرنسية أنيقة، وعرف أنه عما قريب سيصبح أحد رجال البرلمان، ولكن كيف وقد كان في يوم ما أحد رجال ( ديور) الذي يدير تجارة السلاح في فرنسا؟!.. لا وقت لسؤال غبي لا ينتج عنه سوى إضاعة الوقت.

وثب بسيارته بين الطرقات مترفلًا في بدلته الأنيقة معطرًا جسده بأزهى العطور الفرنسية، قاده عقله إلى بيت ( باستين)، أمام فيلته الأنيقة وحدائقها الغنية ؛ وقف بسيارته، هبط منها وتقدم بخطوات ثابتة يملأها الخوف وتحفها الذكريات،





كان النسيم يداعب أطرافه عندما اقترب إلى البوابة الأمامية للفيلا فقد كانت تحت حراسه أربعة رجال أشداء يحملون السلاح، وقفت سيارة رينو فخمة في مدخل الطريق المؤدي إلى الباب الرئيسي للفيلا، ترجل حتى اقترب منهم وسأل عن ( باستين) فتعجب أحد الحراس وسأله من أين لك أن تأتى إلى هنا دون سابق إذن، ابتسم ديدا وطلب منه أن يبلغ ( باستين) أنه ينتظر في الخارج، وقد فعل الرجل هذا على مضض، وقف ديدا يتأمل البناء المستوحى من فن الباروك وتذكر كم كان يعشق ( باستين) هذا الفن وكيف كان يتجمل في لوحاته عند زيارته للمتاحف، تركيبة غريبة لرجل أدرك الحياة من أبوابها ولم يكن ناقما على بدايته وأصر على أن يصل إلى مراده، كانت الأوراق تتدلى من أشجار العنب من الجانب الأيمن من الحديقة الكبيرة، فتبسم ديدا وهز رأسه رأى أمام عينيه ذكرى مزرعة العنب وسهراتهم في الحانات لساعات متأخرة من الليل، كان ( باستين) يسبق ديدا سنا فتخطاه بخمس أعوام، كان يساعده في بادئ الأمر في العمل ووقف بجواره عندما تعرض للاضطهاد على يد أحد المزارعين الجنوبيين، فتصدى له ( باستين) كان صاحب نفوذ داخل المزرعة فعمل على حماية ديدا قدر المستطاع، ولما سأله لماذا يقف بجواره في المحن، أدركته الإجابة دون أن يفهم ما يرمي إليه ( باستين) قال أنا لا أنظر إلى ما أنت قادم منه فقد وجدتك مقدامًا وشجاعًا وذكيًا وهذا ما أحبه في الرجال، ومرت الأيام حتى رحل ديدا إلى عمل آخر وتعرف ( باستين) على ( ديور) وأصبح من رجاله، أخلص له (باستين) فصعد سلم البزنس وتجارة السلاح، ولم يتعجب ديدا عندما وجده على مشارف البرلمان فقد كسب حب ومودة الجميع في باريس وأصبح الكل يتقرب اليه فملك السلطة والمال، لم يضايق ( ديور ) من ذلك واعتبره حصان كسبان سيعود عليه بالنفع في المستقبل القريب، وما كان منه إلا أن

دعمه في حملته الانتخابية فاقترب من مقعده في البرلمان.

أدار جسده ليرى الجانب الأيسر من الحديقة الفسيحة، كم كان يحلم مع حبيبته أن يسكنا في مثل هذا القصر، وتلعب الأطفال على الحشائش ويجرون ليل نهار فرحين، ما من أحد الا وقد كسر بداخله حلم ولم يدركه، ولكنه أيقن أن الأحلام لها أبواب كثيرة سيفتح باب في يوم ما.

استغرق الأمر بضع دقائق حتى عاد الرجل ليصطحبه إلى داخل الفيلا، تقدم في خطوات واثقة يستقبله بابتسامة ملؤها الأمل والتفاؤل والحنين إلى الأيام الخوالي والكفوف التي خضبتها الأعناب.

دلف إلى الفيلا وقد كانت كما توقع فقد فرشت بالكامل من أثاث مستوحى من فن الباروك، تلفت يمينًا ويسارًا ليتأمل ملامح المكان فوقعت عيناه على لوحة رسمت بألوان زيتية زاهية، لرجل يرتدي حلة عسكرية ويحمل رجل نصف عارٍ من أعلى ويقف بجوارهما طفلتان داخل قصر وفي خلفية اللوحة حريق لأحد المباني، اقترب ديدا من اللوحة وتعجب فكم يشبه ديكور بيت باستين تلك اللوحة، اقترب من اللوحة وقرأ أسفلها (تروي) بتوقيع فريدريك بوريك ١٥٩٨، كانت معلقة على أحد حوائط قاعة استقبال الضيوف التي فرشت بأثاث فخم من نفس ذات العصر وقد تدلت ثريا في المنتصف اتسمت بالفخامة والرقي.

جلس في انتظار (باستين) الذي أنتهي من ارتداء ملابسه وهبط من درج عالٍ كان ترابزينه مجوفًا نحت بداخله أشكال أسطوانية تشبهه إلى حد كبير عساكر كرة البولينج ، اقترب منه ( باستين) ذا البنيان الضخم فاتحًا ذراعه ليحتضنه ديدا في ود وصداقة، قال له وهو يربت على كتفه:

- لم تتغير ملامحك العربية

فتبسم ديدا قائلًا :





- وأنت ما زلت ضخم الهيئة وكريم الضيافة
- أجلس يا صديقي
منذ أن أتخذ ديدا قرار بزيارته قد كان يخشي أن يتجاهله ( باستين) ولكن يبدو أن الأيام لم تغير ذلك الرجل،كان لاستقباله الودود أثر في اختصار السنين التي مرت عليهما دون أن يتقابلا، دعاه (باستين) للجلوس في ساحة الشرفة المطلة على الحديقة وتتوسطها نافورة مياه على هيئة سيده عارية ويقف بجوارها رجلين وينهمر من نهديها مياه النافورة، جلس ديدا وبدأ يقص عليه ما حدث له في كل السنين التي مضت، تأثر (باستين) لموت حبيبته وطفله وما فعله (رينيه) معه قال ( باستين) أنه يعرف (رينه) وقد تعامل مع ( ديور) في أحد المرات في إحدى صفقات السلاح ولكن لم يرتاح (ديور) في العمل معه ولكن كان هذا في بداية طريقه، قال له ديدا:
- يريد الانتقام لسيده
- لن يحدث شيء كهذا
سكت مليًا وداعب جبهته، ضحك ديدا وتذكر تلك الحركة التي دائمًا ما يفعلها ( باستين) ليتذكر شيئًا ما، فعرف (باستين) ما سبب ضحك ديدا وأدركه بسؤال فقال:
- هل لازلت على عهدك في الماضي؟
فقال ديدا:
- لا تزول العهود بقدم السنين
فقال (باستين) وهو يشعل غليونه:
- وهل أقدمت على ذلك؟
- نعم.. منذ وقت قريب
- وماذا فعلت؟
- أرسلت صديقي عدنان إلى مصر وبدأ فيما أعددت إليه





ضحك ( باستين ) قائلًا :

- عدنان هذا هو نصفك الشيطاني الذي يجسد أفعالك وأفكارك

ضحك ديدا وهو يعلم ما يرمي إليه .

فصمتا قليلًا حتى قطع صمتهما هاتف (باستين) المحمول فنظر إلى شاشته وتجاهل المتصل فقال مبتسمًا:

- هكذا يلاحقني الأغبياء

فشعر ديدا ببعض من الحرج، فأدركه ( باستين) قائلًا :

- أنت اليوم من رجالي ولن تعمل مرة أخرى مع أحد

- ولكني أريد أن أعود لعملي مرة أخرى

- لك ما تريد .. من الغد سأرسل أحدًا ليعيد ما حُرق وأنا أريدك بجواري في تلك الحقبة

فتمهل ديدا قليلًا قبل أن يجيبه فقال:

- سأكون سعيدًا إذا أصبحت معك ولكن يجب أن أنتهي من عهدي القديم وأعود

- ومتى ستذهب؟

- في غضون أسابيع

- إذا ابدأ معي واذهب وقتما تشاء

أدار دفة الحوار فجأة وقال:

- أريد أن أتخلص من (رينه)

فعقد (باستين) حاجبيه وقال:

- لا أستطيع الآن أن أدخل نفسي في أمور كهذه

- أنا أعلم ذلك أنك لا تفضل الدم ولكن ليس التخلص منه هو القتل فقط

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن أقضي على أعماله وتجارته وأن يصبح لا شيء في فرنسا






قام ( باستين ) وترجل بالقرب من ديدا، علق بصره على النافورة ثم التفت إليه وقال:

- انتظر حتى أنتهي من معركة البرلمان وسأنظر في هذا الأمر

- سأنتظر ذلك .. وسأقبل العمل معك

قام ديدا وصافحه وتحرك إلى خارج الفيلا، سعد بتلك المقابلة وكان على يقين أن ( باستين ) سيساعده في تلك الأزمة كما كان يساعده في الماضي، قاد سيارته بأريحية، شغل باله في طريق العودة ما يفعله عدنان في مصر، فقرر أن يتواصل معه.

***

يمشي كمال ببطء، بطوله الفارع يتفحص وجوه الناس بعيون يملأها الشغف، يشرح أجساد وجوه الآخرين بعين ذئب شغفها تقطيع اللحم لتغيير الحقائق وتضليل العقول، امتلأت بطنه بكافة اللحوم العفنة بسبب ما يفعله فلم يدرك ما أصابها واستمر في ضلاله المبين.

# - 16 -

# مكتب حسن مكي

اندفع حسن إلى مكتبه راكلًا باب الغرفة بقدمه، وعلى غير العادة كان غاضبًا،شديد الانفعال، أخذ يتجول في الغرفة واضعًا يده حول خصره، ظل يبحث بعينيه وسط الملفات المرصوصة على ملف ما حتى وجده، جذبه وجلس إلى مكتبه يتصفح أوراقه، كان يتحدث إلى نفسه بصوت عالٍ مسموع، أسرعت سندس إلى مكتبه بعد أن سمعت صوت ركل الباب، دخلت وجدته منهمكًا في قراءة الأوراق التي أمامه، ظلت واقفة تراقبه في صمت، كان جبينه يتصبب عرقًا، أمسكت بجهاز التحكم الخاص بمكيف الهواء وضغطت على زر التشغيل فأحدث صوتًا مما جعل حسن ينتبه إلى وجودها بالغرفة، نظر إليها وقد رأت في عينيه نظرات الهزيمة والانكسار، دنت سندس منه وجلست أمامه، بدا لها ضعفه في تلك اللحظة وهو الذي دائما ما كان يُظهر ضعفًا أمام أحد من الناس، حتي عندما تخلت عنه حبيبته لم يُظهر ضعفا أمام أصدقائها بالجامعة، رأت في عينيه ما يحتاج اليه الآن، يحتاج إلى شخص جيد ليستمع إلى ما يحمله بين نفسه، قالت له بصوت رخيم:

- لا أرغب في أن أراك هكذا

حاول أن يلملم شتات نفسه والتي بعثرها ما سمعه من أحد زملائه في المصلحة، تجنب نظراتها، فأسرع ليتصفح الأوراق التي أمامه، وفي محاولة منه ليهدأ مسح بكفه على وجهه، مدت يدها والتقطت

الأوراق التي أمامه وبدأت في قراءتها ثم قالت:

- وُكلت هذه القضية لكمال رمزي ليقوم بتشريح جثة الضحية؟

أجابها بضيق:

- نعم

- ما الذي حدث جعلت تأتي غاضبًا؟

أجابها وقد بدا عليه الانفعال مرة أخرى:

- اليوم صدر حكم في قضية مقتل بيومي عوض .. وقد حكم القاضي بسجن المتهم ثلاث سنوات بتهمة القتل الخطأ

أخرج حسن من درج مكتبة التقرير الذي قد أعده قبل أن تؤول القضية إلى كمال، قرأت سندس سطور التقرير للمرة الثانية والذي جاء فيه أن المجني عليه قُتل بطلق ناري من مسدس عيار ٩ مللي، عادت سندس لتقرأ التقرير الذي كتبه كمال مرة أخرى وقد استطاع حسن أن يحصل عليه، وقد جاء فيه التقرير أن سبب الوفاة هو ارتطام مؤخرة الجمجمة بالأرض نتيجة الدفع من الأمام، وهكذا حول كمال القضية من قتل عمد عقوبتها الإعدام أو المؤبد إلى قتل خطأ.

أخذت سندس الأوراق وقامت من مكانها متجهة إلى الخارج تسأل حسن أن يأتي معها لكي تعرض التقرير على الدكتور شوقي حافظ، ظل حسن جالسًا مكانه لم يبرحه، تعجبت سندس من رد فعله واقتربت منه مرة أخرى ، قال حسن وهو يبتسم بسخرية:

- الدكتور شوقي على علم بكل ما سوف تقولين له وقد قلت لكِ من قبل هذه المعلومة

سألته في تعجب:

- هل أنت متأكد من ذلك؟

أومأ برأسه قائلًا وبدا عليه أنه يعيد الكلام مرة أخرى :

- نعم.. وذهابنا إليه لن يجدي نفعًا .. اجلس





- وما العمل إذًا .. سيظل كمال يفعل ما يحلو له؟

أجاب بيأس واضح:

- يبدو كذلك

- وهل سنظل صامتين هكذا لا نفعل شيئًا؟

فتح ذراعيه قائلًا :

- ما باليد حيلة

- لا .. لا تقل هذا .. لا أرغب في أن أرى نظرة اليأس في عينيك

- لن نستطيع أن نغير شيئ يا سندس .. ( مشيرًا إلى الأرض بالسبابة ) هذا المكان بني على أطلال فاسدة

زفرت سندس في ضيق وهي تعلم أن ما يقوله حسن صحيحًا، لا مفر من كم الفساد الذي يحيط بهم داخل المكان، ساد الصمت قليلًا وطاف كلاهما يفكر في الوضع الحالي، أعاد حسن نص المكالمة التي جاءته بخبر الحكم الذي صدر وأن القاضي الذي حكم بذلك يعرفه جيدًا، أنه والد حبيبته السابقة منة، حصار قوي يشعر به من جميع الجهات، حصار الماضي له لا يزول، وجد أن كلما مرت الأيام دنا منه الماضي أكثر وأكثر، فكم من الأيام قضاها يبحث عن مفر لما هو فيه.

أما سندس فقد تذكرت والدها والأوراق التي وقعت بين يديها وأنها لن تتعجب ولن تُصدم إذا ثبت أن الدكتور شوقي رجل غير شريف في عمله فأقرب الناس إليها كانت يداه ملطخة بدماء الأبرياء.

سألت حسن:

- أريد منك خدمة

نظر لها وقد بدت عيناه حمراوين من الإرهاق:

- تفضلي

- سوف أعطيك ظرفًا وأريدك أن ترفع عنه بصمات اليد






فقال:

- هل أحد آخر أمسك الطرف غيرك؟

- لا.. سأعطيك بصماتي

- سأفعل..

- شكرا لك.. اهدأ لكي تفكر جيدًا

تنفس بقوة ثم زفر قائلًا:

- لن أدع أحدًا يهزمني.. نهاية كمال رمزي بيدي

***

اقترب الميعاد ولم يف خالد بوعده لعزمي، فإما أن ينتهي من الأعمال المتفق عليها أو يسترد المبالغ التي دفعها له، لم تبق إلا أيام معدودات ولم يستطع حتى الآن أن ينفذ جزءًا بسيطًا من الدعاية المطلوبة، وفي محاولة منه للمراوغة هاتف عزمي وأخبره أنه انتهى من تصميم الرسومات للدعاية المطبوعة والتي ستعلق أعلى الكباري وفي الميادين الكبيرة، وأنه في المرحلة الأخيرة من الدعاية المرئية والمسموعة، لم يهتم عزمي بكل ما قاله خالد وحذره للمرة الأخيرة، أن ميعاد نهايته قد اقترب، لم يكترث لتهديده وأخذ يحشو سيجارته بالتبغ ليشعلها ولينفث دخانها في الهواء على شكل دوائر ليعبث بها بأصابعه، بعد أن انتهى من اللهو هذا هاتف عدنان وطلب منه مبلغًا من المال حتى يستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق، وعلي عكس ما كان يتوقعه خالد فقد رحب عدنان بفكرة الاقتراض في مقابل شرط التطبيق هذا، أن يسرع في تنفيذ الاتفاق الذي بينهما، وعلم خالد منه أن ديدا قد يصل إلى القاهرة في وقت قريب ويجب أن يتم تنفيذ الاتفاق كاملًا قبل أن يأتي.

تنفس خالد الصعداء ورحب بهذا الاتفاق والذي كان قد عقد من





ذي قبل الا أن عدنان أراد أن يدخل مع خالد في جولة أخرى ويعطيه كامل الفرصة حتى وإن انقلب سيصبح أشرس مما يتوقع خالد.

هاتف خالد صديق له وطلب منه كل المعلومات اللازمة عن العلاج بالتنويم الإيحائي، تعجب صديقه لماذا يسأل عن هذه الطريقة فجاء جواب خالد أنه يريد أن يتعالج من إدمانه للقمار وتدخين السجائر،أعطاه صديقه رقم هاتف دكتورة متخصصة في هذا المجال وبدأ خالد في جلسات العلاج.

***

بدت سلمى متوترة وقلقة، لمعت عيناها بالدمع وهي تتحدث إلى نوح، أخذت تراقب أغصان الأشجار وهي تحمل أعشاش الطيور، وتأملت تلك الأم التي كانت تطعم أطفالها الصغار على أحد الأغصان، حاول نوح أن يهدئ من توترها،لم يعرف حتى هذا الوقت ما سبب تلك الدموع التي تنساب من عينيها، داعبها بخفت دم حتى تعود اليها ضحكتها مرة أخرى ؛ الا أنها ظلت تبكي وأبت أن تضحك، كانا يجلسان بمحاذاة النهر، أمسك يدها وتحركا إلى أن وصلا بالقرب من المياه، ربت على يدها فشعرت بالأمان الذي دائما ما تفقده، بعد دقائق هدأت سندس وزال التوتر، سألها نوح باهتمام:

- ماذا حدث؟

بدأت الدموع تنساب مرة أخرى بعد أن تذكرت الليلة الماضية وما جري بها، كانت قد اتفقت مع أصدقائها أن يخرجن بعد اليوم الدراسي، انطلقن إلى أحد المطاعم بالزمالك بالقرب من الكلية، وبعد الانتهاء من الطعام، خرجن بمحاذاة كورنيش النيل، لاحظت إحداهن أن شابًا يتابعهن، فتجلي إلى خاطرها ربما قد يكون معجبا بإحدى صديقاتها، ولكن بدا الأمر لها أنه يقترب منهن ولا يبرح مكانًا هن فيه، فتوجست





خيفة فأبلغتهن بذلك، في تلك الأثناء ربما قد لاحظهن وهن يحدقن فيه، فتوارى عن الأبصار، لم تنتبه سلمى لما يقولن فقد كانت تتحدث مع نوح عبر ( الواتس آب)، حتى انطلقن كل منهن إلى طريق بيتها، فظهر مرة أخرى يتتبع خطوات سلمى إلى السكن، كانت هي المقصودة من تلك المراقبة، دلفت إلى الشارع وعلى يمينها يقع السكن الذي تبيت فيه على مدار سنوات بعد أن تركت بيت عمتها، لم تكن لتنتبه إليه حتى اقترب منها في ووقف أمامها، حدقت فيه وبدأت الدموع تتساقط من عينيها، في تلك اللحظة نظر لها ثم ابتسم كذئب يكشف عن أنيابه لفريسته، اقتربت منه في جرأة غريبة عنها وعن طبيعتها وهوت بكفها على صدغه وأسرعت إلى السكن وأغلقت الباب خلفها، صعدت مسرعة إلى غرفتها، وأحكمت غلق الباب وجلست خلفه على الأرض وبكت حتى نامت من شدة الإرهاق والتعب.

سألها نوح بعد أن انتهت من الحديث قائلًا :

- لماذا عاد إليك بعد تلك السنوات؟ هل لأمر ما قد حدث لعمتك أم لغرض في نفسه العفنة؟

مسحت سلمى ما تبقى من الدمع المتساقط على وجنتيها قائلة:

- لا أعرف ولكن كانت عيناه تلمعان وتبوحان بالشر كما حدث في الماضي

اقتربت منه حتى التصقت به، تأبطت ذراعه ونظرت إلى عينيه قائلة:

- نوح لا تتركني هنا وحدي. لم يتبق لي أحد سواك

ربت على كتفها في حنان قائلًا :

- لن أتركك وحدك ما حييت، فقد اقترب الميعاد.. لا تقلقي

***

وصلت إلى مطار القاهرة الرحلة القادمة من فرنسا وعلى متنها





ديدا، ليخطو أرض مصر لأول مرة في حياته بعد أن سمع عنها من صديقه عدنان وأمه التي زارتها لفترة قصيرة.

كان في انتظاره صديقه، اصطحبه في سيارته حتى وصلا إلى شقة عدنان بحي المقطم، لم يبدي ديدا أي استعداد للراحة وكان مصممًا أن يبدأ في العمل منذ اللحظة الأولى التي خطا فيها مصر.

بالفعل بدأ ديدا في الاستفسار عن أوضاع شركة الدعاية والإعلان وكيف تسير خطوات العمل بها،استرسل عدنان في الحديث عن الوضع القائم والاتفاقات المبرمة بين الشركة والعملاء، فيما بعد تساءل ديدا عن خالد وكيف يبدو في العمل معه، لم يتردد عدنان في إخبار صديقه عن الواقعة التي حدثت بين خالد وبين عزمي أحد العملاء بيد أن الأخير أصبح مصممًا على أخذ نقود وإلا قتل خالد، ابتسم ديدا وقال لصديقه:

- كنت أتوقع شيئًا مثل هذا سوف يحدث .

طلب من عدنان أن يؤجل أي كلام بخصوص خالد، وطلب منه أن يبحث عن مكان مناسب في المقطم لإقامة مطعم وكافيه كمشروع ثانٍ في مصر، لم يتردد عدنان في إبداء الموافقة على تلك الفكرة ولكن تعجب من أمر ما، لماذا يصر ديدا على ضرب أوتاد له في هذا البلد، فسأله قائلًا :

- هل ترى أن الوقت مناسب للدخول في مشروعات أخرى هنا؟

ابتسم ديدا وقال:

- لابد من غطاء قوي نستطيع أن نتحرك من تحته بسهولة

هز عدنان رأسه وهو يحاول أن يقتنع بما قال له صديقه، لم يعطه ديدا الفرصة للتفكير وطلب منه أن يهاتف خالد ليقابله.

في الوقت الذي كان خالد يستقل سيارته متجها إلى المقطم، كان الصديقان يجهزان خطوات بداية المشروع الجديد، وانصب جهدهما





إلى الهدف الأساسي المنشود الذي أتى ديدا لأجله تاركًا وراءه أمه بالمغرب وصديقه باستين والعمل معه بفرنسا، ولم يكن يعلم ديدا منذ أن كان عاملًا بمزرعة العنب أن كل تلك الأمور سوف تحدث، حتى وإن كانت سيئة للغاية فهي خطوة من شأنها سوف يستقيم الوضع الذي ظل أكثر من ثلاثين عامًا مائلًا لا يجدي نفعًا.

عندما ماتت أقرب الناس إليه تغيرت جميع الخرائط المستقبلية في ذهنه وقادته إلى طرق أخرى . وفي اللحظة التي اندفع الدم من رأسها كانت هي شرارة نار الانتقام التي توهجت بداخله، فتغيرت الخرائط وبدأ في التوغل للوصول إلى جميع طرق الانتقام .

- أي انتقام تتحدث عنه؟

قالها خالد وهو يحشو سيجارته بينما جلس الصديقان يتابعانه وهو يختلس النظر إلى ديدا الذي بدا له غريبًا، فمنذ أن دلف إلى الكافيه وديدا لا يتكلم إلا القليل، إلا أن باغته بسؤال قائلًا :

- لماذا يريد عزمي الانتقام منك؟

كان رد خالد سريعًا دون أن يدرك أن عدنان لن يتأخر ثانية في إخبار صديقه بكل كبيرة وصغيرة تحدث داخل الشركة.

علق خالد بصره على أحد الكليبات التي تذاع على الشاشة الكبيرة التي أمامه وهو ينفث دخان سيجارته، لم يكن يتأمل وقتها المغنية التي تتمايل مع إيقاع الأغنية ولا في طريقة تصوير الكليب ولكن كان يعطي لعقله فرصة لترتيب جملة مفيدة حتى تتثنى له الإجابة دون أن يدخل في زاوية تجعل ديدا وعدنان ينتصران في هذا الموقف.

عاد ببصره إليهما وهو يرسم على شفتيه ابتسامة خفيفة قائلًا :

- رجل مخبول أراد أن ينفذ حملة إعلانية كبيرة في وقت قصير وهو دائم الإلحاح لاستلام عمله .

هز ديدا رأسه دون أن ينبس بكلمة بينما التقط عدنان طرف





الحديث منه قائلًا:

- أنت أعطيته أكثر من ميعاد ولم تف بوعدك له

- الوعود لا تأخذ في الاعتبار عندما يذكر المال في الحديث

تدخل ديدا وهو يعتدل في جلسته:

- إذا لماذا طلبت منا وعدًا لتنفيذ طلباتك

- أنتم في بلادكم تلتزمون بالوعود ولا تحتاجون إلى القسم حتى تكون صادقًا.. أما هنا في مصر فالأمر مختلف.. فقد يقسم الرجل أشد القسم ثم يخلفه بعد ثوان.

قال ديدا:

- لم أجيء من فرنسا لكي أصلح أخلاق المصريين.. هل ستلتزم بوعدك معه

نظر خالد إلى ديدا قائلًا:

- ألم أقل لك أني سأصنع له ما يريد

أنفعل ديدا وطرق بيده على الطاولة محدثًا صوتًا عنيفًا وقال:

- لقد جئت هنا لكي تتحدث معي أنا وليس مع عدنان .. هل فهمت؟

قال خالد:

- من لي أن أدفع له المال أو أنفذ له الدعاية؟

- هذا الأمر لا دخل لي به.. أمال أن تدفع له المال أو تدفع حياتك ثمنًا لكذبك

تدخل عدنان وقال:

- لابد أن نقف بجوار صديقنا يا ديدا .. دعني أقابل عزمي لأتوصل معه لاتفاق جديد

عقد ديدا ذراعيه ونظر إلى خالد متسائلًا:

- إلى أين وصلت في اتفاقنا.





# الفصل الرابع

## حسن

هواء عليل يجتاح جسدي ليرتعش قليلًا، لازالت الأفكار والكلمات تترى إلى ذهني محاولًا أن ألحق بها لأسجلها، استرجاع الذكريات الأليمة أمر صعب للغاية وبالأخص أن تلك الأحداث كانت سبب في تغير حياتي.

استكملت التسجيل قائلًا :

«كنت دائما اتساءل لماذا نحارب بعضنا بعض؟ لماذا يسعي بني أدم أن يحصلوا بما ليس لهم حق؟ كنت أخشى أن آخذ حق أحد أو أعطى لأحد حقًا ليس ملكه من البداية، لا أدعي المثالية يا صغيري فأنا أخطئ ولكن ستقابل في عالمك القادم أناس كل ما يشغل حياتهم أن يأخذوا حقوق الآخرين أناس كل ما يريدونه في تلك الحياة أن يكنزوا ما تستطيع أن تنال أيديهم، وكنت أتساءل أيضا هل للكفن جيوب؟

هذا سينقلنا إلى نقطة أخرى وهي الانتقام، انتقام من له حق وهذا يزرع الكراهية في قلوب خلقها الله على فطرتها صافية نقية لا تعرف الكذب ولا الخداع، مثل قلوب الأطفال، في انتظارك حتى أري فيك هذا الصفاء والحب والحنان، ولكن أسرع الإنسان لكي يسيء إلى فطرة الله فقتل الأخ أخيه وانتشر الفساد في البر والبحر.

أوقفت التسجيل بعد أن حاولت سندس لفت أنتباهي لكي تخبرني بأمر ما، هاتفتي وهي تنظر إلى الأعلى مكان جلوسي، أخبرتني أنها ستعود إلى الكامب مرة أخرى حتى تسطع الشمس لتذهب إلى نوح،





أومأت موافقًا أن تعود.

تلهفت في العودة إلى التسجيل وحتى لا تنقطع أحبال أفكاري، قلت متذكرًا الأحداث:

عند الانتقام ستحشد كل قوى الشر لتساعدك على ما تدبره لغيرك، فلا تفكر ولا تتراجع فيما تنوي أن تفعله، وأن تركت نفسك تغرق فلا منج إلا الله، لأن الوقت حينها قد يكون ولى ولن يعود بك الزمن حتى تراجع أخطاءك أو تدرك أن ما ستقوم به هي النهاية حتما، وإن طبع الله على قلبك ونسيك فاعلم أن طريق العودة أصبح بعيدًا جدًا.

أن تترقب النجاة خيرا مئة مرة من أن تترقب الغرق، فأن جاء الوقت لتقوم الأمواج عالية، فاستعدادك للنجاة يجعل الأمواج تحملك إلى الشاطئ.



## - 17 -

علي امتداد الطريق كانت الجبال الشاهقة تجذب نظر نوح إليها، تناسقت ألوان الطبيعة تناسقًا جذابًا، وتتابعت الجبال بسرعة سير الحافلة التي استقلها نوح متجهًا إلى شرم الشيخ.

ظل طوال الطريق جالسا يتأمل الطبيعية التي تحيطه، تارة ينتقل ببصره ليتصفح أحد الكتب التي أحضرها معه وتارة أخرى يتأمل الجبال والرمال الذهبية.

استمتع بالطريق حتى وصلت الحافلة إلى نفق الشهيد أحمد حمدي، بدأ الوقت يبطئ حيث ظلت إجراءات التفتيش لثلاث ساعات متتالية، قضى نوح جزءًا من وقت التفتيش في إجراء مكالمات مع سلمى وسندس وحسن إلا أنه قضى مع الأخير الجزء الأكبر من الحديث حيث أخبره بالأماكن التي سيزورها واتفقا على الترتيبات الأخيرة لكل شيء يخص الرحلة وبعد أن أنهى المكالمة معه أرسل إليه رقم أحمد التايب.

كان الليل قد أقبل عليه عند الانتهاء من التفتيش، قرر أن يبيت الليلة في أحد الفنادق الواقعة على أطراف شرم الشيخ إلى أن يكمل رحلته إلى بيت جلال التايب في اليوم التالي.

تقدم نحو البيت الكبير متأملًا الصحراء الواسعة حيث يمتد بطول البصر الرمال الناعمة بلونها الذهبي، ومن أعلى تجلب أشعة الشمس الدفء، في إحدى البقاع في الخلاء الفسيح حجبت بعض السحب أشعة الشمس من الوصول فأوجدت بقعة كبيرة من الظل، وسُحب أخرى يهرب منها الشعاع ليخرج في خطوط مستقيمة متوازية،





ولتكتمل اللوحة الالهية يُرى في الخلف على بعد كبير جبلين شاهقين جزورهما أوتاد ثابتة في الأرض.

خطي في طريقة إلى البيت الكبير الذي يتوسط الصحراء ودخان الفرن يصعد من خلف البيت، رأى وهو يقترب منهم جلال التايب ووالده علوان يفترشان الأرض، ابتسم وتذكر الأيام الفائتة التي كان يأتي إليهم للاستجمام، ما أن رآه جلال حتى قام بطوله الفارع وهو يترفل في جلباب أبيض ويرتدي سترة بدلة رمادية ويلتف حول رأسه عقال أسود يتدلى منه شال أبيض، حياه بيده حتى اقترب منه نوح، فتح ذراعه وأحتضنه في ترحاب ومودة، لمح نوح من خلف جلال أحمد ومصطفي، الأول في سن الثانية والعشرين والآخر في سن الحادية عشرة، اقترب منهم وصافحهم ثم انحنى إلى علوان وصافحه وجلس بجواره، قدم إليه أحمد كوب الشاي وقد غلى ماؤه على الرمال الساخنة، ربت جلال على كتف نوح قائلًا :

- أتى بك أمر ما .. فما هو؟

علق نوح بصره على دائرة النار التي أمامه قائلًا :

-أمر يحتاج التفكير والتدبير.

مسح جلال بكفيه على وجه وقال:

- مشيئة الرحمن سوف تتجلي لك، وليزيدك الله بنعمه ويثبت قلبك.

فقال نوح مستفسرًا:

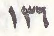
- هل يكتمل الإيمان باكتمال النعمة؟

فتبسم علوان ونظر له قائلًا :

- وهل ينقص بزوال النعمة؟

فقال نوح:

- لا سيدي علوان



فقال علوان وهو يقلب خرزات السبحة في يده اليمنى:
- أن القلوب بين يد الرحمن يكمل فيها الأيمان كما يشاء وينقصه كما يشاء.. أما النعم فهمي معطي من معطيات الدالة على العاطي الرزاق.. والنعم لا تعد ولا تحصى وإن لفي الجنة ما يجعل قلوبنا تتعلق للعيش بها.
فقال نوح:
- أوليس الله بقادر على أن يمنحنا جنته هنا؟
و أشار إلى السماء ثم إلى الجبلين
فقال علوان:
- بلى يا بني.. ولكن هل ترك الإنسان المجال لذلك؟
فقال جلال وهو يعتدل في جلسته:
- لابد وأن يأتي هذا اليوم التي تعود فيه الحياة جنة
فهز علوان رأسه رافضا لما قاله جلال وقال معقبا:
- لا يا جلال.. انتهت الجنة بقدوم آدم إلى هنا.. وأصبحنا بأيدينا نعيش في الوحل
تدخل أحمد في النقاش وقال بلهجته السيناوية بينما قام مصطفى للعب بدراجته:
- تعال معي لكي ترى ما يدور في السوق من غش ونفاق وعراك على أتفه الأسباب..
فقاطعة الجد قائلًا:
- لابد وأن يحدث أمرًا جللًا لتعود الأمور إلى مكانها
دوت كلمة (أمر جلل) في أذن نوح فجعلته يغوص في أعماق ذاكرته ويعود بالأحداث إلى الخلف ويدون في عقله النتائج التي سيؤول إليها الوضع بعد ذلك.
تدلى الليل في هدوئه المعهود وسط الصحراء الغامضة، وتوسط





القمر السماء، وأضاء البدر جنبات الصحراء المظلمة، تجلت النجوم كلآلئ تدلت من ثُرَيَّات ربانية مضيئة في باحة الفضاء الواسع، تعلق بصره على لوحته البيضاء، جلس على ركبتيه وقد وضع اللوحة على المخدع العريض وسط خيمة، أطلق ريشته تعبث باللوحة فخرجت بأفكار متناثرة لا يعرف لها ملامح، وقف وعاد إلى الخلف يتأمل ما رسمه فكان لا شيء، نظر إلى الخارج من بين طرفي الخيمة فرأى ما دعاه إلى الخروج متأملاً هذا المشهد الرباني، توسط البدر بين قمتي جبلين من خلفهما، وأضاءهما بنوره الساطع القوي، وظهر جسدا الجبلين في الظلام كرجلين ببنيان قوي، عاد مسرعًا إلى الخيمة مرة أخرى وبدأ يرسم لوحته، هكذا بدأ الطوفان.

أشرقت شمس الصباح وأرسلت أشعتها إلى الخيمة النائم بداخلها نوح، تسلل الضوء في خطوط مستقيمة إلى داخل الخيمة ليستقر على وجهه، فتح عيناه لتتشبع حدقته بالنور، اعتدل في جلسته بعد أن فرك عينيه من ألم ألمّ بهما، تأمل المكان فوقف ببصره على اللوحة التي شرع في رسمها بالأمس، قام وارتدى حذاءه وتقدم نحو مدخل الخيمة، رفع الغطاء فتجلى الجبلان أمامه ومن خلفهما كانت الشمس تتخذ طريقها إلى رحلتها في السماء، عرج إلى مجلس علوان وأحمد حيث كانا يتناقشان في أمور عائلية عادية، سألهم عن جلال فعلم أنه خرج في رحلة، جلس مقابل علوان متأملاً ملامح وجهه وتجاعيده، قام أحمد ثم عاد بصحن كبير وضع عليه طعام الإفطار.

أمام البيت الكبير المبني من الطوب الأحمر والأسمنت اتسعت الصحراء وتجلى الجبلان في الأفق البعيد في ثبات يشهد عليه الزمان، أحيط البيت بسور صغير وزُرع النخيل بداخل حديقة صغيرة، في الجهة الخلفية للبيت اتخذت زوجة جلال حجرة صغيرة للطهي وتربية الطيور وضعت بها فرن من الصاج بعد أن تخلت منذ زمن عن (التنور)



المصنوع من الطين،أما علوان فقد أفترش الصحراء أمام البيت بخيمة كبيرة يجلس فيها فهو لا يفضل النوم أو العيش داخل البيت.

مع رحلات السفاري التي تمر بجوارهم قام أحمد ببناء خيمة أخرى لاستضافة بعض الزائرين من السياح الأجانب أو من المصريين، يقدم لهم بعض المشروبات، وفيما بعد قام بتحضير وجبات خفيفة وبيعها لهم.

في الليل يطفئ أحمد نور المصباح الكبير المعلق أعلى البيت والذي ينير الصحراء المظلمة، يشُعل الحطب ليأنس بضوء لهيب النار، أُعجب نوح بتلك الأجواء الهادئة الجالبة لأفكار لوحاته وقرر زيارتهم كل عام.

ربت الجد علوان بيده اليسرى على ساق نوح الممددة أمامه ليعود من شروده قائلًا :

- أين شردت بعقلك يا بني؟

- أجابه نوح وهو يتأمل الشمس الصاعدة من خلف الجبلين:

- لوحة أريد أن أرسمها

فقال علوان وهو يهش الذباب بمنشة صنعت من جريد النخل:

- هل هذا الذي أتى بك إلى هنا؟

فصاح أحمد قائلًا :

- أمتعنا بفنك يا صديقي

وضع الجد أصبعه السبابة على شفتيه موجهًا الإشارة إلى أحمد ليصمت.. قال نوح:

- التفكير هو من أتى بي إلى هنا

فقال الجد:

- فلتنعم هنا بالراحة والتدبير الحكيم، احك لي إذا رغبت.

في تردد قائلًا :

- سأحكي لك يا جدي إن شاء الله





ترنح داخل سراديب حياته العطنة، وأطبق العهد على أنفاسه حتى اختنق، لم يفرغ من ملاحقات عدنان وديدا له وهَب بينهما إعصار الخلاف حتى اقتلعت جذور الوفاق بينهم، أدرك أن الأمور تسير بخطوات وئيدة مقتربة إلى بداية النهاية، لم يجد خالد ملاذه إلا في مجلس البوكر مع أصدقائه، فتارة ينجح في جني المال وتارة أخرى يخسر كل ما أتى به للعب في ليلة واحدة.. ويرحل.

تصاعد الصراع بين ثنايا نفسه، وجد أن كل ما يحدث حوله هو الحصار بعينه، عدنان والعهد معه .. ثم هذا الكائن المندفع المتهور كالدب القطبي ..عزمي ..، تساءل ما الذي صنعته بيدي؟، في لحظة أدركه الضمير ليحدثه، ولكن أي ضمير سيفيده في هذا الوقت بعد أن توغل بقدمه داخل الوحل، كانت تلك الأسئلة ليس هدفها حساب النفس بل كان يستنكر فعلته وهو الذي أدرك أنه أذكى بكثير.

زاد من سرعة سيارته، الطريق ممتد يخرج من جوفه الظلام، ألا أن إضاءة السيارة كانت تتيح له الرؤية، تأمل الأشجار الممتدة على جانبي الطريق، نظر بتلقائية في المرآة التي بجواره، رأى سيارة مسرعة قادمة، عاد ببصره إلى الطرق، عكست المرآة التي أمامه الإضاءة العالية القادمة من الخلف،اقتربت منه السيارة من الجهة اليسرى، أخذت تقترب منه حتى التصقت به، زاد من سرعة سيارته لكن كانت الأخرى تدركه بسرعتها، الطريق ضيق لا يستطيع التجاوز والهرب منها، ظل سائق السيارة الأخرى يقترب منه حتى انحرفت خالد وأصطدم بإحدى الأشجار الواقفة على جانب الطريق.

## - 18 -

حين أدرك تلك اللحظة كان القرار أن لا عودة عن رحلته، استيقظ متأملًا الفراغ الفسيح الممتد أمام خيمته، ترجل حتى ابتعد لمسافة كبيرة، ووقف يفكر كعادته، كان الصباح يتنفس والشمس في طريقها إلى السماء، ما إن رآه أحمد حتى دنا منه، شعر نوح باقترابه فالتفت إليه ثم حيّاه، تبادلا أطراف الحديث لدقائق ثم عاد نوح مرة أخرى إلى الخيمة، تبعه أحمد وعاد بالحديث مرة أخرى عن الفكرة التي طرحها نوح وأصر على تنفيذها، حاول أحمد أن يشرح له أن ما سيقوم به قد يعرضه للخطر ففي تلك المناطق الوعرة لا يوجد إلا الذئاب المفترسة وأيضا أحيانا تقوم الشرطة والجيش بملاحقة العناصر الإرهابية والخارجين عن القانون من تجار السلاح والمخدرات إلا أن نوح أصر أن يكمل مشروع لوحاته، ومع إصرار نوح تراجع أحمد عن النصيحة وقبل أن يغادر الخيمة أخذ عهدًا على نفسه بألا يبلغ أحدًا في البيت الكبير عما سيقوم به، نظر له أحمد واقترب منه، وأقسم على أن تظل هذه الفكرة بينهما لا ثالث إلا الله.

بعد أن انتهى نوح من لوحة الطوفان، جلس مسندًا رأسه على العمود الخشبي في منتصف الخيمة وأغمض عينيه ليسبح في ملكوته الخاص، وتجلت كلمة الخوف في عقله مستعرضة شريطًا طويلًا من محطات الخوف التي انتهت في سن مبكرة.

تحدث إلى نفسه قائلًا : «الخوف!! مثلي لا يشعر به ..أي إحساس يجعلني أصاب بالفزع بعد أن رأيتها تموت أمام عيني، ورأسها تغوص في صدري، كان ملك الموت يدنو مني ومنها إلا أن

الأمر كان لها، ورأيت عينيها وهي تتابع روحها صاعدة إلى السماء، ارتجفت وانهمرت دموعي كمطر شتاء حزين، لم يبق لي منها إلا جسد، احتضنه التراب بعد ساعات من موتها، لا خوف بعد موت أمي في أحضاني، لا خوف يفزعني أو يجعلني أهرب، لم أهرب من ملك الموت الذي كان بجواري، لم أهرب من رؤيتها وهم ينهالون عليها التراب، ولن أهرب من مواجهة مصيري»

بدا كل شيء طبيعي في تلك الليلة، النجوم تتلألأ والقمر كامل الاستدارة، النار مشتعلة أمام البيت الكبير، عاد أحمد قبل المغيب بعد أن فرغ من رحلته السياحية مع مجموعة من الأجانب من جنسيات مختلفة، كان عدد الوافدين يقل في كل يوم، بدأت الأعداد تقل بعد ملاحقة الجيش للعناصر الإرهابية وتجار السلاح والمخدرات،

فكل شيء منذ ذلك الحين تغير ولم يعد أمام اولئك إلا الاعتماد على الوافدين المصريين أو الاعتماد على حرف مثل الصيد لكسب قوت يومهم.

جلس أحمد بجوار نوح ومال عليه متحدث اليه بصوت خفيض غير مسموع، تجاهل جلال وعلوان ذلك الأمر، تحرك جلال ليعد كوب الشاي أما الجد علوان فكان يقلب حبات المسبحة التي في يده.

أدخلت كلمات أحمد السرور في نفس نوح وبدا عليه الفرح، قال علوان متحدثًا إلى أحمد:

- هل ألقيت عليه دعابة لكي يضحك هكذا؟

- لا يا جدي مجرد كلام عن إحدى السائحات.

هز الجد رأسه واستمر في تقليب حبات المسبحة وأطلق نظراته تعبر الأفق البعيد في العتمة السوداء، لم يكن الجد في يوم ما يتوقع الشر أو كان متشائمًا إلا أن تلك الأيام أصبح قليل الكلام يفكر في الأرض، ويتساءل هل سنهجر أرضنا مثلما حدث مع الآخرين؟!!

أعلنت الشمس عن إشراقها مرسلة إشعاعها إلى مدخل الخيمة، استيقظ نوح، كان قد أعد كل شيء بالأمس، بدل ملابسه وحمل حقيبته الكبيرة، علق عليها خيمة صغيرة مطوية أعطاها له أحمد، وقبل أن يخرج ترك لوحة الطوفان في أحد زوايا الخيمة الواضحة، وترك أيضا ظرف به مبلغ من المال مقابل الضيافة كان يعلم أن جلال لن يقبل منه أي أموال لاستضافته له، خرج إلى ساحة البيت الكبير وتأمله قبل أن يدير له ظهره ينطلق إلى الصحراء ليخطو على رمالها الساخنة، بدا الطقس نهاره قائظًا، والرطوبة عالية.

سار مسافة حتى أبتعد عن البيت وعندما عاد ببصره إليه رأي الجد علوان وهو يقف في شرفة البيت ينظر اليه، رفع الجد يده وهو يمسك المسبحة وحيَاه، رد نوح التحية وانطلق إلى طريقه.

***

سحب خالد الكرسي ودعا سندس للجلوس بينما كان عدنان وديدا يجلسان في الجهة المقابلة من الطاولة، كان خالد قد تلقى دعوة عشاء من ديدا في أحد المطاعم على ضفاف نهر النيل، شملت الدعوة سندس أيضا.

ظل خالد منغمسًا في حشو سيجارته بينما كان ديدا يتعرف إلى سندس التي كانت أنيقة وبشوشة الوجه، تتحدث بلباقة، إلا أنها مازالت تفكر لماذا طلب ديدا من خالد أن تحضر لهذا العشاء؟

ظل ديدا يتأمل ملامحها وعينيها الخضراء، تحدث اليها أغلب الوقت، بينما انغمس خالد في الحديث مع عدنان عن الشركة ومواعيد تسليم الأعمال المتبقية.

أحضر النادل الأطباق ووضعها أمامهم، بدأوا في تناول الطعام، بينما كان عقل ديدا لا يقف عن التفكير وعن تأمل ملامح سندس،





ربما كانت تشبه إحدى الفتيات التي قابلها في فرنسا أو تشبه امرأة كانت تقف في أحد الشوارع، لا يعلم بالضبط ولكن الذي يعلمه أن تلك الملامح قريبة إليه إلى درجة جعلته يصر على أن يلتقطوا جميعًا صورة تذكارية.

انتهوا من العشاء، قال ديدا وهو يلتقط قطرات من مشروبه:

- هل العمل بمصلحة الطب الشرعي مريح بالنسبة لك؟

سألت سندس مستفسرة:

- بماذا تقصد بالنسبة لي؟ هل تعني كامرأة؟

- نعم؟

- غريبة!! أتيت من بلد الحريات لتسألني هذا السؤال؟

ضحك خالد قائلًا:

- لن تسلم من فصاحتها

أشار له ديدا قائلًا:

- اتركها تقول ما تشاء

قالت سندس:

- العمل في المصلحة شيء ممتع بالنسبة لي إلا في بعض الأوقات

قال عدنان:

- تقصدين أوقات العبث بالجثث

حدقته قائلة:

- لا.. نحن لا نعبث بالجثث.. المجرمون فقط هم من يقومون بذلك.. نحن نخرج من أجساد الموتى الحقيقة

قال ديدا:

- الحقيقة دائما نسبية.. لا يوجد حقيقة كاملة

فقال خالد:

- الموت هو الحقيقة الكاملة.

فقال ديدا:

- لا أتكلم عن الحياة الأخرى .. أنا أتكلم عن الدنيا التي نعيش بها الآن .. (ثم نظر إلى سندس وقال ) .. هل تعتقدين أنه ليس هناك تلاعب في الحقائق الظاهرة؟

طافت صورة كمال إلى ذهنها إلا أنها تريثت في الرد وقالت:

- ربما

فقال عدنان:

- تراوغين

فقالت:

- وما السبب الذي يدفعني للمراوغة ( ثم نظرت إلى خالد قائلة) أعتقد أنني لا أقف أمام وكيل نيابة للتحقيق

أمسك خالد يدها وقال:

- سندس هذا نقاش عادي

سألت وهي تحدق إلى ديدا:

- قل لي يا مستر ديدا .. بأي حقل من الأعمال كنت تعمل في فرنسا؟

- المراهنات

-تقصد تجارة الحظ .. أو ما يعرف لنا بالقمار

ابتسم ديدا قائلًا :

- سندخل في جدال الحرام والعيب؟

قالت:

- لاا..ليس لي أن أتحدث بغير علم ولكن هل تعتمد تجارتك على الحقيقة الكاملة؟ بالطبع لا ... بعضها حقيقة وبعضها خداع .

قال ديدا وهو مازال يرسم ضحكته:

- أحسنت قولًا .





فقال خالد:

- أعتقد يا سندس أنك لا تقصدين ما تقولين.. صحيح؟

- لا يا خالد .. أنا أتحدث من وجهة نظري وهذا رأيي

فقال خالد محاولًا تغيير دفة الحوار:

- قل لي مسيو ديدا كم من الوقت ستمكث في مصر؟

- ربما أسبوعان ..( ثم نظر الى سندس وهو يبتسم ) أو أكثر

فقال عدنان:

- ديدا يدرس مشروع جديد سيبدأ فيه قبل السفر

قالت سندس ساخرة:

- مراهنات؟

فقال ديدا:

- لا يا دكتورة .. في بلادكم لا يجوز ذلك

قالت سندس:

- هل لديك أصول عربية؟

فقال:

- نعم.. أمي من المغرب

فقالت:

- إذا لما لم تذهب إلى هناك لتقيم مشروعاتك

- أحب مصر وأهلها

فقالت:

- وهل عاشرت أهلها من قبل؟

عاد بظهره إلى الخلف ومسح رأسه وقال:

- لم يسعفني الحظ لذلك

فقال عدنان:

- أنا من عاشرت أهل مصر من قبل ونقلت له كل ما يعرف عنها الآن .





قال خالد:

- أي مشروع تريد أن تبدأ؟

أجابه ديدا وهو يضع الكأس على الطاولة:

- مطعم سياحي في منطقة المقطم

فقال خالد:

- ربما صدفة مرة أخرى تجمعنا للعمل مع بعض.

فقال عدنان:

- لم تكن هناك صدفة مرة أولي لتحدث ثانية .

ضحك ديدا وعدنان بصوت مسموع بينما ظلت سندس وخالد لا يفهمان ما يقصدانه أو ربما اصطنع خالد عدم الفهم.

في طريق العودة إلى بيت سندس كان الصمت يخيم عليهما، كانت سندس تتأمل المارة ووجهات المحلات بينما خالد كان منغمسًا في شرب سيجارته، حتى قطع هذا الصمت قائلًا :

- لقد قررت أن أغير جزءًا كبيرًا من حياتي.. سأصبح شخصًا جديدًا

نظرت له سندس متعجبة ولم تعقب

التفت إليها وقال:

- ليس هناك أي تعليق منك؟

هزت كتفيها وقالت:

- ما هو الشيء المهم في حياتك الذي ستتركه لتصبح شخصًا جديدًا؟

- خمني؟

ابتسمت وقالت:

- ستترك تصوير الكليبات الهابطة؟

قطب جبينه وقال:





- منذ متى وأنت معترضة على عملي؟

لم ترد على سؤاله وقالت:

- ما هو التغير؟

أجابها وهو يلقي بالسيجارة إلى الشارع:

- سأقلع عن التدخين

صفقت بسخرية قائلة:

- برافووو.. كم من الناس قالوا ذلك ولم يفلحوا وسواء باستعمال العقاقير أو باستعمال السيجارة الإلكترونية!!

قال في حماس:

- لاااا.. لقد وجدت طريقة جديدة

قالت:

- ممم.. وما هي؟

- العلاج بالتنويم الإيحائي

اعتدلت في جلستها وقالت في تعجب:

- يبدو أنك ستأخذ الأمر هذه المرة بجدية

انفرجت أساريره من تحمسها وقال:

- أعدك سوف ترين شخصًا جديدًا

عبث في هاتفها وتصفحت أحد مواقع الأغاني ثم اختارت إحدى الأغنيات وبدأت تغني معها

(هبطل السجاير وهكون إنسان جديد ومن أول يناير خلاص هشيل حديد)

ضحك خالد حتى دمعت عيناه، سعد لتحمسها لهذه الفكرة، أغلقت الأغنية وقال:

- ولكن ما الذي أقنعك بتلك الفكرة؟

- أنت

- أنا؟!!

- نعم .. هل تتذكرين حين كنا نتحدث عن العلاج بالتنويم الإيحائي وشرحت لي كيف يساعد على الإقلاع عن التدخين؟

- تذكرت.. عندما دعوتني على العشاء

- بالضبط .. حينها اتخذت هذا القرار وبحثت عن دكتور متخصص وبالفعل وجدت أحد المتخصصين وسوف أبدأ في العلاج

- ممتاز .. خطوة جيدة

قال وهو مازال متحمسًا:

- هل ستأتين معي للجلسات؟

دون تردد قالت:

- بالطبع

في تلك اللحظة كان خالد يغمره إحساس السعادة لحماس سندس للفكرة، صمتا قليلًا حتى اقتربت سندس من البيت، هبطت أمام البناية ودلفت إلى المدخل، ضغط زر طلب المصعد، في أثناء هبوطه كانت تتصفح موقع فيس بوك حتى قطع تصفحها اتصال من كمال رمزي ..





## - 19 -

طرقت أسوأ الأفكار ذهنه بقوة محدثة جلبة بداخله مقتحمة عقله دون إذن منه، بات ليلته ناظرًا إلى سقف الغرفة متأملًا الفراغ في لونها الأبيض، لم يستسغ طعم النوم الذي اقتحم جفنيه، نهض من مرقده ونظر إلى ساعة الهاتف المحمول، كان الوقت قد اقترب من الثانية صباحًا، جلس وأسند رأسه بكفيه، كان يحاول أن يحدد الأفكار التي جاءت إليه مخترقة ومتتابعة حتى يتسنى له اختيار الحل المناسب.

جلس إلى مكتبه ثم أضاء المصباح الرابض عليه، فتح درج المكتب وأخرج منه دفتر أوراق، قَسم الورقة إلى نصفين بخط في المنتصف، كتب في بداية الصفحة في الجزء الأيمن ( كمال رمزي) أما في الجزء الأيسر فكتب ( قضية القتيلة)، تردد من أين يبدأ إلا أنه اختار الجزء الأيسر، كتب ممن لهم علاقة بالقضية.. اسم الزوج.. الشاب الذي رفع الصورة على الإنترنت.. صديقه الذي أرسلت له الصورة من قبل القتيلة، هرب الأخير بعد أن تم القبض على صديقه، وحتي الآن لم تثبت أي أدلة جنائية على الزوج إلا أنه وضع تحت المراقبة لحين انتهاء التحقيقات.

حك رأسه وهو يعبث بالقلم داخل الورقة وعقله يفكر في كل الاحتمالات الممكنة التي دفعت أحدًا ما لقتلها، وإلى الدافع وراء تلك الصورة، هل كان الدافع فضول المغامرة في الدخول إلى علاقة أخرى حتى وإن كانت بتلك الطريقة؟

وضع خط تحت اسم الزوج وتحدث إلى نفسه قائلًا :





«الرجل يعمل حتى ساعات متأخرة من الليل ولا على علم بالإنترنت وما يدور فيه من عالم واسع كبير، فرجل مثله قضى حياته يعمل ليصرف على أمه وأخواته حتى نسي نفسه ولم يتزوج إلا بعد أن تجاوز الأربعين، رجل ذو سمعة طيبة لا يؤذي أحدًا ولا يتشاجر مع أحد يشهد له الحي بأنه ماهر في صنعته، عندما تزوج كانت هي في سن الثانية والعشرين وعلي مدار سنين الزواج لم ينجبا أطفالًا»
وتساءل حسن قائلًا :
«ربما الوحدة هي التي دفعتها لفعل ذلك؟ حتى وإن كان هذا هو الدافع الرئيسي لها إذًا أين الاحتكام إلى الأعراف والدين والعقل؟!!

جمع تلك المعلومات من التحريات التي قامت بها المباحث، آخر ملف من حقيبة اللاب توب واستعرض باقي التحقيقات والتي كتب فيها أن القتيلة من عائلة بسيطة لأب سافر للعمل في العراق ولم يعد بعد الحرب في عام ٢٠٠٣، وأم بسيطة تعمل لكي تكفي احتياجات البيت، وأخ في سن السابعة عشرة يعمل صبي خياط في محل لرجل كان صديق والده، وأخ أصغر يدرس في السنة الخامسة من الصف الابتدائي، لم تتردد الأم في زواج بناتها بعد أن طرق بابهم زوج ابنتها الحالي.

كتب حسن على الورقة جملة «من الذي رأى فقتل؟»

وقعت عيناه على الجانب الأيمن من الورقة وقرأ اسم كمال رمزي، القضية قد حُسمت ضد المجني عليه بسبب تقرير كُتب من قبل كمال وتغيرت معه الحقائق، وصدر الحكم في صالح الجاني، القاضي لا يملك إلا الأوراق ليحكم، اللعب كله يأتي من الأفاعي المتوارية خلف سيقان الأشجار، كمال أفعى سامة، محامي الجاني أيضا من نفس الفصيلة، والمال هو المتحكم في إطفاء نار السم لدى القاتل وإشعال القتيل بها، حينئذ ينصب ميزان العدل على جثة المظلوم !!





في وسط صراعات أفكاره، رن هاتفه معلنًا عن وصول رسالة نصية، كانت من سندس فتح محتوى الرسالة وقرأ نصًا جعله ينهض محدقًا في الهاتف!!

***

«لقد ذكرتك والرماح نواهل مني .. وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها .. لمعت كبارق ثغرك المبتسم»

ابتسم ثغرها عندما قرأت أبيات شعر عنترة بن شداد بعد أن كتبها نوح في صفحة سلمى على موقع فيس بوك، كان قد اقترب من طابا عندما بات ليلته في الخيمة وسط الصحراء، تجربة رائعة سيكتب عنها عندما يعود.

دلفت سلمى إلى الحديقة وفي يدها كتاب لنزار قباني، اختارت إحدى الأرائك وجلست عليها، كانت تراقب الطيور التي تحوم حول أحد الأشجار وتفتح إحدى القصائد في الكتاب عندما جلس وراءها وبدأ يتكلم معها، فزعت وأدارت جذعها إلى مصدر الصوت، كان هو وقبل أن تنطلق من مكانها مسك يدها متوسلاً أن تجلس، نزعت يدها وهمت بالانصراف، إلا أنها وقفت عندما صاح بصوت يغالبه الدموع قائلاً:

- إنها تحتضر

وقفت وأدارت رأسها ونظرت إليه وقالت:

- وماذا تريد مني ؟ لها الله

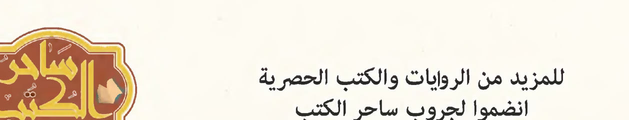
قام من مكانه محاولاً الاقتراب إلا أنها صاحت فيه قائلة:

- لا تقترب أكثر من ذلك

قال متوسلاً:

- أرجوكي تعالي معي..تريد أن تراكي قبل الرحيل



- لا أنت تكذب

- لا والله ما أنا بكاذب.. عمتك تفارق الحياة ببطء وتريد أن تراكي لكي تسامحيها على ما فعلته بك.. جميعا نريد أن تسامحيننا

قالت وهي تغالب مدامعها:

- تذكرت الله وهي على فراش الموت.. أين كانت عندما كنت أتنقل وحدي من بيت لآخر؟.. أين كانت عندما حاولت أنت تأخذ مني ما ليس لك به حق .. أتركني وارحل.. أنا يتيمة وليس لي أهل.. أكثر من عشر سنوات عشت فيها وحيدة تعلمت كل شيء لكيلا أحتاج إلى أحد.. عد إليها وقل لها استغفري ربك وأنسي أمري.

حاول الاقتراب عندما لاحظ أن نبرة صوتها تغيرت فقالت له:

- تقولي لي عمتك تموت.. وأنا أتمنى ذلك

- لا تجعلي الكراهية تعميك عن الأمر.

كان قد اقترب جدًا منها فجذبها إليه من ذراعها.. كانت في تلك اللحظة تتصل بنوح الذي سمع صراخها ولم يكن في يده شيء ليفعله، إحساس بالعجز شعر به في تلك اللحظة، كانت سلمى تقاوم ابن عمتها الذي تمادى في فعلته، شعرت أنه جاء بخبر كذب، ظلت تقاومه حتى اقتربت لإحدى الأشجار وأمسكت بحجر وألقته على رأسه فخر الرجل ساقطًا على الأرض سابحًا في دمائه.

خرجت مسرعة إلى الطريق، كان نوح يهاتفها، ردت عليه وهي تبكي وحكت له ما حدث، قالت إنها تركته غارقًا في دمائه، لقد لوث أرض جنتنا بدمائه القذرة، طلب منها نوح أن تذهب إلى سندس وتمكث عندها يومين،عاد واتصل بسندس وأخبرها فرحبت جدًا بالفكرة ودعاها إلى البيت، نامت سلمى ليلتها في سرير نوح شعرت بالأمان يدب إلى قلبها لأول مرة منذ زمن.

في اليوم التالي من تلقيه رسالة سندس، تقابلا في كوستا كافيه،





جلست متوترة،حاول حسن أن يهدئ من روعها إلا أنها ظلت متوترة، كانت بين الحين والآخر تفرك كفيها، ويتصبب العرق منها، نظرت إليه بعينين زائغتين ذابلتين قائلة:

- هل كان يقصد ما قاله؟

هز حسن رأسه قائلًا :

- حتى الآن أنا لا أعرف ما الذي حدث بالضبط ؟

قالت وقد عقدت ذراعيها:

- كنت عائدة من دعوة عشاء ..بعد أن وصلت إلى مدخل العمارة هاتفني كمال وقال لي ..

صمت لبرهة، شعر حسن أنها تغالب دموعها فقدم لها كوب ماء، أخذته وبعد أن شربت قالت:

- قال لي أن والدي لم تكن وفاته طبيعية.. حاولت أن أفهم من أتى بهذا الكلام.. أغلق الخط. اتصلت به كان قد أغلق الهاتف .

قال حسن وهو يبتسم:

- هذا كل ما في الأمر؟

حدقته قاله:

- لماذا تبتسم؟

- لا دليل على صحة كلامه

قالت متعجبة:

- كيف؟

قلب كفيه قائلًا :

- عجبا لك.. من كلمة تتوترين.. ومن كلمة تبكين.. أنت طبيبة وتعملين في مجال مهم للغاية.. كيف تدعين رجلًا مثل كمال ونحن نعرف من هو جيدًا أن يلعب بأعصابك هكذا؟؟ هل لديه دليل على ذلك؟

- أتقصد أنه يراوغني؟
- قلت لك.. هل لديه دليل على ذلك؟
- أعتقد.
تنفس حسن وقال:
- سندس.. في مثل تلك المواقف لا يوجد كلمة ..أعتقد..
قلبت في هاتفها المحمول حتى ظهرت صورة لأحد التقارير، مدت يدها إليه،التقط منها الهاتف تفحص التقرير، قرأ محتوياته ثم نظر لها قائلًا:
- يبدو أن كمال سيلعب معكِ بشكل كبير
قالت وقد غلبها الحزن:
- هذا لا يهمني .. المهم هو التقرير الذي صدر لدفن أبي.. من الذي كتبه؟
نظر حسن إلى التقرير مرة أخرى قائلًا :
- هذا التقرير بغير إمضاء من مدير المصلحة.. مجرد ختم.. هناك أمر ما .
أخذت منه الهاتف وبدأت تقرأ:
- التقرير يقول أن سبب الوفاة الحقيقية هي صعوبة في التنفس وتوقف القلب نتيجة حقنه بحقنة..
قاطعها حسن قائلًا :
- الحقنة المميتة
قالت مستفسرة:
- تقصد حقنة الإعدام؟
هز رأسه موافقًا:
- نعم .. فهي تحتوي على صوديوم البينتوثال ليسبب فقدان الوعي، وكلوريد البوتاسيوم ليسبب توقف القلب، وبروميد البانكورونيوم





ليسبب إيقاف عملية التنفس.

غلبتها دموعها وقالت:

- لماذا يحدث هذا لأبي

حاول تهدئتها قائلًا :

- رحمه الله.. أعرف أن الأمر صعب جدًا بالنسبة لك.. ولكن دعينا نبحث عن الحقيقة

***



## - 20 -

جلس مغمض العينين يتابع بأذنيه الكلمات التي تلقيها هالة على مسامعه، كان قد بدأ رحلة العلاج منذ أسبوع مضى، جالت في عقله اللا واعي بكلماتها الهادئة وبصوتها الدافئ، ترك خالد نفسه وعقله ليبدأ معهما حياة جديدة خالية من التدخين كما وعد سندس.

كانت هالة قد بدأت معه نظام علاج يتطلب منه تتبع أسلوب جديد في التعامل مع التدخين، لمدة أسبوع كان يدخن بميعاد ويشرب الماء بكثرة، شعر خالد أن خطوات العلاج تحتاج إلى صبر ومثابرة ؛ وها هو بعد أسبوع يجلس أمامها وترك عقله اللا واعي ليخرج منه عادة التدخين التي قد تقتله.

مرَ من الوقت ساعة ونصف عندما طلبت هالة منه أن يفتح عينيه بعد أن تجاوزت في العد رقم أربعة، كانت عيناه حمراوين، شعر أن جسده يطفو على المقعد الوثير دون حراك وأحس بصداع نصفي اجتاح رأسه، سألته هل أنت بخير أومأ برأسه، أخذ يتجول بعينيه داخل الغرفة، وبدأ يدرك ما حدث، أخذ نفسًا عميا ثم زفره، استعاد ما تبقى من إدراك سألته هالة قائلة:

- إحساس رائع أليس كذلك؟

قالت وهي تجلس إلى المكتب:

- بدت جلسة ممتعة

اقترب من الكرسي المجاور للمكتب وجلس، بدأ يشعر أنه لا يحتاج إلى حشو سيجارة وتدخينها.

تبادلا الحديث حول العلاج بالتنويم الإيحائي، تعرفت عليه هالة





وتعرفت عليه وظيفته، أعجبت جدًا بفكرة العمل في مجال الدعاية والإعلان والفيديو كليب، كانت منذ الصغر تتمنى أن تقتحم هذا العالم الشيق، لمعت عين خالد عندما علم بهذه المعلومة ووعدها أن تشارك في إعلان سيتم تصويره قريبًا.

استرسلت هالة في الحديث عن العلاج بالتنويم الإيحائي، ترغب في أن تنتشر طريقة العلاج بين العامة من الناس، أخبرته أنه من الممكن أن يعالج الكثير من الأمراض مثل الخوف من المرتفعات والخوف من الموت ويساعد حالات فقدان الذاكرة.

لم يفهم خالد كيف يساعد التنويم بالإيحاء حالات فقدان الذاكرة فقالت هالة:

– ليس بالشكل المتعارف عليه، لكن أستطيع أن أقول لك أن هناك حالات ترغب في استبعاد بعض الذكريات الأليمة وهنا نقوم بمساعدته

تحمس خالد لمعرفة ذلك فقال:

– كيف يحدث ذلك؟

قالت:

– سأشرح لك بشكل علمي حاول أن تفهمني ..هناك طريقتان الأولى وهي الطريقة المباشرة حيث تعطي الأوامر مباشرة للعقل اللا واعي ونقول «ستتذكر أن تنسي أن تتذكر ما كان في العقل اللا واعي ويستمر فقط في العقل اللا واعي وتعطي ايحاءات بإنهاء الألم ونقول له: بأن الألم ذهب .

اعتدل خالد في جلسته وهو يسأل:

– والطريقة الثانية؟

– طريقة الاستطراد ويمكن استخدامها مع الطريقة السابقة ، حيث تخبر الشخص بأنك سوف تعد من رقم واحد إلى رقم خمسة وفي

أثناء العد سوف تتغلب على مخاوفك ثم تبدأ بالعد ١، ٢ وأنت في رقم ٢ تخبر الشخص بطريقة غير مباشرة بالشيء الذي تريد أن تنساه.

تعجب خالد لما قالته هالة وحضرت إليه فكرة قد تساعده فيما بعد على التخلص من ذكريات أليمه.

خرج خالد من العيادة مترجلًا حتى وصل إلى سيارته، أخرج هاتفه المحمول من الحقيبة الجلد الصغيرة ؛وهاتف سندس، حكى لها ما دار في الجلسة، سعدت جدًا بأولى خطوات خالد للتغيير، سألها عن نوح فأخبرته أنه قد يصل الغد، أخبرها أن هناك أعمالًا كثيرة تنتظره لينفذها.

ردد كلمة التغيير التي قالتها سندس في المكالمة، كان يقود السيارة متجهًا إلى المهندسين، وتساءل فيما بينه «هل حقًا أدركت التغيير؟ هل هذا ما كنت أتمناه لنفسي؟»

بالطبع لا ولا لأي إنسان طبيعي يحب أن يضع نفسه في تلك الخانة من حياته، اعتاد خالد على أن يضع أصبعه تحت ضروس الأخرين يضغطون عليه ويفعلون ما يريدون، ويقف هو في موقف المنفذ أو المتفرج أحيانًا، كل الذي يضعفه هو شهوة المال،الشهوة التي تقتل النفس وعزتها، الشهوة التي تعمي العيون والأبصار، هي التي تدفع الإنسان ليخسر أعز الأشخاص أو أعز الأشياء إلى قلبه، هؤلاء الناس ليس لديهم مشاعر لكي يبصرون بقلوبهم، هم فقط يتكلمون من عقولهم ويبصرون من زاوية المال.

همّ بحشو سيجارته، كان قد مرَ من الوقت ساعتين قبل أن يشعلها، سحب دخانها في حنين ثم نفس الدخان في الهواء الطلق.

كان الطريق مزدحمًا، شعر بملل، شغَل مُشغل الأسطوانات في السيارة وبدأ يهز رأسه مع الموسيقى، كانت تشغله أفكار كثيرة، بدا له أن جلسات العلاج بالتنويم الإيحائي أربكت تفكيره وجعلته يفكر بمنطق آخر، أو ربما تفتحت لديه قنوات جديدة في التدبر، ولكن لن





تجعله يتغير إلا إذا أراد ذلك.

تذّكر نوح وما قالته سندس عن عودته من شرم الشيخ غدًا، لابد وأن يعد العدة لتحقيق ما يريده، تعمق أكثر في التفكير عن هذا الشاب وما يفعله في حياته، يسافر ويرسم ويقبل ويرفض، شاب حر، الحرية ليست هي القيد الذي تصنعه السلطات والحكومات، الحرية تأتي من أصغر الأشياء، الحرية هي حرية العقل، حرية التصرف في حياتنا؛ لم يملك خالد منذ صغره أن يكون حرًا في أفعاله وقراراته، حتي بعد أن أسس شركته الخاصة، أتت شهوة المال فأجبرته على أن يفقد حريته تحت يد شريك جديد ليعيد للشركة مكانتها ولا تنهار فأرغمه هذا الشريك أن يترك حريته، ولكن خالد مقابل المال يستطيع أن يفعل كل الأمور السيئة.

***

استمر حسن بشغف في متابعة سير تحقيقات قضية القتيلة حنان رأفت، يريد أن يعرف الدافع وراء ما فعلته وأدى إلى موتها ومن فعل ذلك وقتلها، علم أن المباحث ألقت القبض على الشاب الذي احتفظ بصورة القتيلة العارية، بعد تحقيقات النيابة التي استمرت معه ما يقرب من عشرين ساعة لوقت طويل، اعترف أنه كان على علاقة بالقتيلة ولكن لم يلتقيا إلا مرة واحدة، فهو لم يذهب إلى منزلها قط، وكل ما كان بينهما هي المحادثات عبر الإنترنت والمكالمات الهاتفية، توصلت الشرطة بعد مداهمة مسكنه إلى جهاز اللاب توب الخاص به، وبالاطلاع على محتوياته تم العثور على ملفات بداخلها أفلام وصور جنسية، وبداخل هذا الملف وجد ملف آخر خاص بصور للقتيلة داخل منزلها بملابس عارية، كانت إحدى عشرة صورة، أيضا وجدت النيابة مجموعة من المحادثات الإلكترونية بينهما، وأيضا محادثات لنساء





أخريات، بيد أن القتيلة كانت هي آخر المحادثات التي أجريت خلال الأشهر الماضية، احتوت المحادثات على شكوى من القتيلة وأنها ترغب في الانفصال عن زوجها إلا أنها تخشى رد فعل أهلها وبالأخص أخوها المندفع، لا يحتوي الحديث بينهما عن أسباب الانفصال فربما قد علم منها السبب من خلال المكالمات الهاتفية.

سطَر حسن بعينيه أوراق التحقيقات التي أجريت مع الشاب بعد القبض عليه، ساعده في الاطلاع عليها صديقه حاتم عز الدين، طلب منه حسن أن يعرض المتهم على الطب الشرعي لأخذ عينة البول، فأخبره حاتم أن النيابة ستطلب هذا قريبًا.

ترجّل مبتعدًا عن سيارته شارد الذهن، يجول بذاكرته بين الماضي والحاضر، كان قد هاتف سندس وأخبرها أنه سيُقبل على خطوة يستطيع من خلالها إعادة كرامته المهنية له مرة أخرى، لم تكن كرامته المهنية فقط بل وكرامته كإنسان تحرك قلبه نحو شخص، قال لها إنه أعد مذكرة شكوي في كل من كمال رمزي وشوقي حافظ وسوف يدرج اسم القاضي والد منة بين الأسماء، ليس انتقامًا منه بل لأنه شريك في الحكم الذي أصدره، وأن لديه ما يثبت تورطه في قضايا فساد منذ سنوات مضت كان المتهمون الرئيسيون في القضية ضباط شرطة وقد أصدر أحكاما بتبرئتهم من القضايا.

رنت كلمات سندس في أذنه بعد أن أنهى المكالمة، وتساءل هل حقًا دافع الانتقام والد منة جعله يتتبع أفعاله في كل تلك السنين التي مضت؟

عاد بتفكيره إلى القضية متسائلًا «هل كانت تلك الصورة السبب في مقتلها؟»

أخرج هاتفه من جيب البنطال وهاتف حاتم عز الدين وسأله:

- هل من الممكن أن يكون دافع الانتقام هو السبب الرئيسي

لمقتل حنان؟

قال حاتم:

- من ذا الذي يفعل ذلك غير الزوج؟

و أردف قائلًا:

- ربما كانت الصورة هي السبب الرئيسي

قال حسن:

- بالتأكيد.. تفسير الأمر يدفعني لقول ذلك

قاطعه حاتم قائلًا:

- الزوج لا توجد عليه أي شبهة جنائية

- لا بد أن نضع أمام أعيننا أن الدافع هو الانتقام.

***

مدَ ساقه وضعا عليه بعض الأوراق التي كان يكتب فيها تفاصيل المشروع الجديد، تذكر أمه فأمسك بهاتفه واتصل بها، جاء صوتها يحمل مشاعر الحنان والاشتياق قائلة:

- هل أنت بخير يا ولدي؟

مسح بكفه على رأسه قبل أن يجيبها كأنه يرتب الكلمات التي سيقولها لها حتى تطمئن عليه:

- نعم بخير يا أمي، لا تقلقي عليّ.

- قلبي يحدثني بأنك لست على ما يرام.

قال مبتسمًا:

- بالعكس يا أمي.. كل شيء يمشي كما أفكر وكما خططت

- لا تقبل يا ولدي على فعل مشين.. فقد مسح الزمن ما حدث بالماضي.

اعتدل في جلسته وقال:

- الماضي لكِ والحاضر لي.. سأنفذ ما جئت من أجله

تنهدت الأم قائلة:

- لقد مرت سنوات كثيرة يا ولدي، سامحه الله

زفر قائلًا :

- ترعرعت على كراهيته...لن أتراجع

- لا تندفع يا ولدي وتكن أحمق .

- لا تقلقي يا أمي.. سأتركك الآن لأتابع أعمالي

- فليرعك الله يا ولدي

ترك هاتفه وأمسك بورقة بيضاء وبدأ يرسم بداخل الورقة، كتب اسمه ثم مزق الورقة وقذفها على الأرض.

* * *

أدارت سندس رأسها متجنبة النظر إلى خالد الذي كان يتحدث إليها بعصبية وعنف كعادته وقالت له:

- لم أراك يومًا تحسن صنعًا

فقال وهو يشرب من كوب الماء:

- كل ما تحلمين به يا سندس لن يحدث إلا في المدينة الفاضلة .

- إذا وطأت قدمك المدينة الفاضلة ستنقلب على عقبيها .

حدقها وعقله يتساءل هل علمت بشيء عما يفعله، هل علمت بلعبه القمار؟ هل كان يعمل نوح في الشركة جاسوسًا لها ينقل الأخبار وتحركاته وما يفعله في حياته، هو على علم أن نوح لا يحبه ولا يحاول أن يتودد إليه على عكس ما يفعله معه.

ألقت بالكلام على مسامعه وكانت تنتظر ما سيقوله، حاول التماسك أمامها فهو لا يعرف ما ترمي إليه، أدركت أن المراوغة معه لن تجدي نفعًا فاستعادت شجاعتها وقالت له:

- هل تتذكر اليوم الذي أتيت فيه إلى البيت عندما وجدت ظرفًا به خمس ورقات أمام الباب؟

و هنا بدأ يتنفس الصعداء قال وهو يشعل لفافة التبغ:

- نعم أتذكر

- لقد لاحظت أنك لا تبالي بما أقوله

- وماذا بعد؟

- هل نسيت أنني أعمل طبيبة شرعية؟

طرق بأصبع السبابة والتفت يمينًا ويسارًا وهو يبحث عن أحد يدخن ليأخذ منه سيجارة لم يجد ما كان يبحث عنه فالتفت إلى سندس محدقًا لها قائلًا :

- ما الذي يدور في رأسك؟

أمسكت يده وتحسستها، ثم نظرت له وهي تبتسم قائلة:

- أصابع الإنسان هي أكبر دليل على إثبات وجوده في أي مكان

ابتلع ريقه بصعوبة وقال:

- لا أخشى المراوغة يا سندس .. دعينا نتفاهم

- أي تفاهم تريده؟ .. لماذا فعلت ذلك؟

ضغط على أسنانه بعصبية وهو يقول:

- حتى الآن لا أفهم ماذا تقصدين بكلامك هذا

أخرجت من حقيبتها ظرفًا به أوراق، تعلقت عيناه على الظرف، أدرك هنا ما كانت سندس تقوله، وضعت الظرف على الطاولة، بدأ يفرك يديه متوترًا قالت وهي تحدقه:

- نسيت أنني طبيبة شرعية.. يا لك من غبي .. من أين حصلت على هذا الظرف ولماذا وضعته عند الباب؟

في تلك الأثناء قرر خالد أن يبدأ في تنفيذ ما كان يعده مسبقا.

تكررت زيارة خالد للعيادة حتى أصبح من الأصدقاء المقربين





لدى هالة، تقابلا مرات عديدة في أماكن متفرقة خارج العيادة، حكت له عن حياتها، يملك خالد قدرة على كسب ثقة الآخرين، ظلت هالة تحكي عن حلم الشهرة الذي كان يراودها منذ أن كانت في العاشرة، سعت كثيرًا في بداية الألفية لتصبح من نجوم الإعلانات والسينما ولكن لم يوافق أحد من أبويها على حلمها فتركته، حتي عاد إليها عندما تعرفت على خالد.

نجح خالد في كسب ثقتها مثلما نجحت في علاجه من التدخين، أيضا نجحت في أن تصبح من المقربين إليه فحكي لها ما يدور في ثناياه، وتواعدا فيما بينهما أن يساعد كل طرف في تحقيق مراده، كان وعدًا غير معلن، فهمت ما ينوي خالد أن يفعله؛ أما هو فقد نفذ وعده لها، وشاركت فيما بعد في تصوير أحد الإعلانات، فقد توسط خالد لها مع أحد أصدقائه أن يجعلها تشارك في إعلان له.

قال لها خالد:

- هل لي أن أطلب شيئًا؟

قالت باسمه:

- بالطبع.. لك ما تريدين .

قال:

- هو أمر يتعلق بعملك .





- 21 -

طنين أصوات متلاحم تتزاحم داخل عقل سندس، في اللحظة التي كانت ترقد فيها بجسد وهن ممتد لا تقدر على الحراك.

«هل عاودت الاتصال به مرة أخرى»

«استر يا ستار»

سمعت من يهمس «هل ضاع الشاب؟»

و صوت آخر «سأتصل بمديرية الأمن لأحرك الأمور بسرعة»

صوت نحيب سلمى تبكي في ركن بمفردها

جاء صوت حسن مكي لغرفتها قائلا:

- نعم أتفهم ما تقومون به من أجل نوح.. ولكن الوقت يمر بسرعة

مرّ أسبوعان دون جديد، أختفي نوح ولم يعثر له على أثر، كانت طابا آخر مكان وطأت قدمه بها ولا يعرف هل اتجه إلى وادي الوشواشي أو منطقة رأس شيطان، وبناء على ما قاله شهود العيان أنه قد بات أكثر من خمس ليالٍ في الصحراء داخل خيمة صغيرة مبتعدًا عن مناطق زيارة الرحلات، شوهد آخر مرة عندما زار أحد البدو لكي يملأ دلو المياه من أحد الآبار، كان نوح في لياليه الأخيرة منغمسًا في رسم لوحات عن القمر والصحراء، بعد أن انتهى من لوحة الطوفان؛ شغلته النجوم المتلألئة في جوف ظلام السماء، وعندما يطل القمر بدرًا كان يرسمه في لوحة بمفرده ومرة أخرى يرسم القمر وأشعته المنعكسة على صفحة الماء.

بتوصية من الدكتور شوقي اهتمت أجهزة المباحث في مديرية

جنوب سيناء بالبحث عن نوح، مشطت منطقة طابا.

توصلت المباحث بعد أسبوع من الاختفاء على علوان وولده وحفيده، وأخبرهم أحمد أن نوح مكث عندهم ما يقرب من أسبوع أو أكثر وصمم أن يرحل في رحلة استكشافية ليرسم عن صحراء سيناء، وجدت لوحة الطوفان في غرفة أحمد، بينما أصر علوان وجلال على أن نوح رحل دون أن يخبر أحدًا منهما بذلك وكان أحمد فقط هو الذي يعلم ولكن رحل الشاب دون أي أذي، اقتادت المباحث أحمد إلى مديرية الأمن لكي يفصح عما حدث بالتفصيل.

حاولت سندس أن تتماسك ولكن ظلت متعبه بعض الوقت، لا تأكل ولا تنام فخسرت الكثير من الوزن مما اضطر الطبيب لإعطائها محاليل طبية تعويضًا عن الأكل.

أمسكت الهاتف بوهن وأولجت موقع فيس بوك، كتبت وهي تدمع:

«طال الوقت وأنا أبحث عنك.. في انتظار عودتك يا نوح»

سارت الأمور على مواقع التواصل الاجتماعي سريعة، حيث قامت سلمى بإنشاء صفحة باسم «معا للعثور على نوح» تولت هي وأحد أصدقائه إدارتها، كانت سلمى تكتب يوميًا تتحدث إلى نوح باشتياق وحب مما أثر ذلك على نسبة كبيرة من المتابعين للصفحة، وراح آخرون يتذكرون الفاجعة التي حدثت لبعض الشباب الذين ماتوا في صحراء سيناء إثر البرد.

تربع هاشتاج #ابحثوا- عن - نوح موقع تويتر بينما قام آخرون بزيارة حساب نوح الشخصي وقرأوا ما كان يكتبه تحت هاشتاج #اصنع-سفينك حيث جاء فيه:

«إلى الذين أدركوا النجاة في اللحظة الأخيرة»

وجاء أيضًا

«مهما ارتفعت الجبال قد يصل اليها الضوء»

و كتب نوح قائلًا :
«لا أكثر ولا أقل.. هناك علامات قد تؤكد للبعض وقد تنفي.. إلا أنني أصبحت على يقين أن القادم لا بد وأن يكون هو.. الطوفان»
«عند الارتقاء.. ستنجذب نحو فكرة الاختفاء وتلقي ما يمكن أن تلقاه كأسير حرب.. سيكتمل القمر بدرًا.. عندئذ سيبدو الجبلان كقرني شيطان»
«اختفت معالم الحياة وأخذنا نطوف الأرض على ظهر مدينة متنقلة.. وانتهي بنا المطاف عندما لاح في الأفق البعيد غصن الزيتون وقد حمله طائر أبيض»
«ياللى اتعميتوا جشع وجبن وبطر
الاستكانة للمهانة سابتكوا أشباه بشر
والذمة معدومة وضميركم حطام
ليل الخيانة عمى بصيرة وبصر
والحق نور يجلى العقول والنظر
والشعب رب الدار ورأيه تمام
يقول كلامه يستجيب القدر
يعنى اسمعوا وَعُوا..
.. شعب قاوم وقام أوح تلاقوه
قامت قيامته.. وزام وكنس عليك المقام
وح يستجاب لدعاه وإلا انفجر
وان لم تبصوا له بعين الاحترام
تستاهلوا..
ميت مليون.. «حذار منتظر».
«قبل الطوفان الجاي ..سيد حجاب»





تساءل أحد زملائه في الجامعة.. أي طوفان يقصده نوح وقد انتهى زمن الأنبياء والمعجزات؟ وأسترسل في حديثة قائلًا «أن ما يحدث حولنا يستدعي أن تقلب الأرض رأسًا على عقب ويأتي الله بأناس جدد، فإن جدار العدل حين يتقوض؛ لا يبقى إلا الخراب والدمار»

قاطعه أحد الزملاء قائلًا «ولكن الله يحمي بلدنا العزيز»

فابتسم قائلًا «إن من يصمت عن نار الظلم التي تشتعل حوله، فمن المؤكد أن لهيبها سيصيبه».

أثارت تلك الكلمات والجمل الكثير من رواد موقع التواصل الاجتماعي، سعي الكثير من الشباب لمساعدة سلمى وسندس للعثور على نوح، بينما اهتمت إدارة الجامعة بمتابعة آخر التطورات في اختفاء الشاب الموهوب.

الغريب في الأمر هنا، أنه لم يتم العثور على أي شيء من متعلقات نوح، حتي أنابيب الألوان الفارغة لم يتم العثور عليها، وراح البحث إلى أبعد من ذلك حيث لم يتم العثور على فضلات نوح ؛ إذا كيف كان يقضي حاجته في تلك الصحراء؟

كانت سندس تسمع كل يوم نحيب سلمى ليلًا، تتحرك بالكاد لتصل إلى غرفة نوح التي تقيم فيها سلمى منذ الاختفاء وتتوارى خلف الباب لتراها وهي تمسك بهاتفها وتقرأ شيئًا أو تكتب شيئًا وتبكي، عادت سندس إلى غرفتها وأمسكت هاتفها وقرأت ما كانت تكتبه سلمى على الحساب الشخصي لنوح، كانت كلماتها مؤثرة جدًا إلى الحد الذي جعل سندس تبكي بصوت مسموع، فأسرعت سلمى إلى غرفتها، واقتربت من سندس واحتضنتها وهي تحاول أن تهدئها، أمسكت سندس بهاتف سلمى بعد أن سقط من يدها على السرير، لاحظت أن سندس تتحدث إلى نوح عبر المحادثة الخاصة وكتبت:

«أتعرف؟.. لم يكن لدي أي حياة من قبلك غير أنك صنعت لي





حياة ذات معنى.. والآن تختفي لتجعل حياتي تعود بلا معنى.. قلبي يحدثني أنك معي ولم تمت.. وإن مت.. لماذا أبقى في الحياة إذا.. أفتقدك بشدة.. أحبك»

***

دلف إلى شقته، ألقى ميدالية المفاتيح على طاولة السفرة، جلس إلى المقعد القريب من الطاولة وأسند رأسه بيده، ظل كمال لمدة دقائق يفكر في تتابع الأحداث التي حدثت في الفترة القريبة، الآن سندس أبعدت عن طريقه بعد الأزمة التي حدثت لها، أيضا يريد أن يبعد حسن الذي مازال يحاول جاهدًا أن يعبث خلفه في كل كبيرة وصغيرة.

تقدم نحو غرفة مكتبه وجلس إلى المكتب متأملًا الأوراق البيضاء التي أمامه، فتح درج المكتب وأخرج مجموعة أوراق حفظت داخل حافظة شفافة، كانت تقارير لتحليل عينة DNA، قرأها كمال مرتين ثم أعادها مرة أخرى إلى درج المكتب، سحب أحد الأقلام وبدأ يكتب على ورقة بيضاء فرشت على سطح المكتب.

انتهى من الكتابة بعد عشر دقائق، اتجه إلى غرفة النوم، خلع ملابسه وتمدد على السرير يفكر، حتى إذا هاجمه الوسن؛ رن هاتفه المحمول، فتح جفنيه بصعوبة ونظر إلى شاشة الهاتف فقرأ الاسم، زفر في ضيق وتردد في الرد على المتصل حتى إذا وصل الهاتف إلى آخر النغمة المخصصة للاتصال ضغط على الزر الأخضر متحدثًا إلى الطرف الآخر قائلًا:

- ألو.. أهلا بك

فقال الطرف الآخر:

- هل أنت نائمًا؟





فقال كمال وهو يعتدل ليجلس نصف جلسة على السرير:

- كانت محاولة ولكنها فشلت .

- أعتذر عن ذلك..

- هل هناك أمر هام؟

صمت برهة قبل أن يقول المتصل:

- الأمور الآن تسير بسرعة غير محسوبة، أرجو أن تكون جاهزًا عند الحاجة.

جال في ذهن كمال الأوراق التي تصفحها منذ دقائق فقال:

- لا تقلق كل شيء يسير كما خططت له.

- سأتركك الآن تنعم بالراحة.. مع السلامة

ترك الهاتف على الكيمود بجوار دون أن يرد التحية على المتصل ونام في ثوان.





- 22 -

أقنع خالد سندس بالتوجه إلى عيادة هالة للعلاج من الأرق عن طريق التنويم بالإيحاء، كانت سندس لا ترغب في مشاركة خالد أي شيء، أقيم الجدار بينهما بعد أن علمت أنه هو الذي وضع الظرف الذي احتوى على أوراق اتهام والدها، مع الضعف الذي أصابها وإلحاح خالد ذهبت معه للعيادة، الإرهاق المميت والتعب الشديد دفعها لتلك التجربة حتى تستطيع أن تعود إلى طبيعتها مرة أخرى .

تقدمت بخطوات بطيئة تتأمل مدخل البناية، السواد يجتاح أسفل جفنيها، تتحرك متكئة على الحائط، صعدت الدرجات الأربعة الأولى قبل أن تدخل المصعد لتقف أمام العيادة في تردد، هل تقبل أن تخوض تلك التجربة أم لا؟ تعتقد أنه لا بديل عن ذلك؛ فالعقاقير التي تساعد على النوم قد تصبح في المستقبل عقاقير إدمان وهي لا ترغب في تدمير الجهاز العصبي، تلك الطريقة لا تضر في شيء فهي من قدمت النصيحة إلى خالد حتى يتبعها في علاج التدخين.

- هل أنتِ بخير الآن؟

قالت هالة وهي تدنو من سندس وتجلس في المقعد المقابل لها، أومأت سندس رأسها في وهن، قالت هالة وهي تربت على يدها

- لا تقلقي سيصير كل شيء على ما يرام

تحركت هالة إلى الخارج بينما تركت سندس جالسه على مقعد وثير، جلس خالد بالخارج يتحدث في الهاتف كعادته؛ فما أن رأي هالة تتقدم حتى أغلق الخط وسألها:

- هل هي بخير؟



قالت له وهي تبتسم:
- لا تقلق.. لم نبدأ الجلسة بعد
فعاد ليسألها:
- لماذا تركتها وجئت إلي؟
نظرت إلى السكرتيرة وأمسكت ذراعه وتقدمت إلى الأمام ناحية باب العيادة الخارجي الزجاجي وقالت:
- لن نستطيع الآن أن نبدأ فيما اتفقنا عليه؟
فحدقها خالد قائلًا :
- لقد اتفقنا على كل شيء.. هل ستخلفين وعدك؟
قالت وهي تخفض صوتها:
- لا يا خالد لقد وعدتك بشيء وسأفعله، ولكن الأمر الآن غاية في الصعوبة لابد أن يكون الذهن صافيًا .
عقد خالد ذراعه قائلًا :
- وما العمل إذا؟
- سأحتاج إلى جلسات قد تستغرق شهرًا
فحدجها قائلًا :
- ماذا؟؟ شهر؟؟ هذه فترة كبيرة
- خالد.. الذي تريده سوف يحدث أعطني وقتًا لكي أنفذ
تركته دون أن تلقى منه ردًا وعادت إلى الغرفة مرة أخرى، جلست أمام سندس التي ظلت عيناها حمرا ء، ابتسمت لها هالة وقالت:
- سنبدأ الجلسة الآن.. أغمضي عينيكي عندما تسمعين رقم أربعة.
في طريق العودة كانت تجلس في السيارة بجوار خالد مرهقة تفكر في نوح وتتوقع أسوأ السناريوهات التي من الممكن أن تحدث، أغمضت عينيها، كان خالد يتأمل ملامحها وفي لحظة اندفاع سألها قائلًا :
- لقد طال غياب نوح.. وأخشي أن لا يعود .





كانت الدموع تتساقط على وجنتيها وهي تسمع تلك الكلمات ولكنها أصرت أن تفتح عينيها وتنظر إلى خالد قالت في وهن:

- سيعود

قال مترددًا:

- أنا أقول أسوأ الظن.. لابد أن نحسب حسبتنا لو لم يعد.

قالت سندس:

- أي حسابات تقصد؟

فقال:

- أقصد إن لم يعد نوح ستحصلين على مليون ومائتي ألف جنيه مبلغ تأمين الحياة

حدقته قائلة:

- إلى متى ستظل هكذا لا تفكر إلا في غير المال؟ أنا لا أراك إنسانًا يفكر ويشعر أنا أراك حيوانًا سعرانًا يرغب في أكل أي لحم حتى لو كان جيفة.. كان نوح محقًا بشأنك.. قف سأنزل هنا.

وهمت بفتح باب السيارة، حاول أن يمنعها إلا أنها كانت سريعة في رد فعلها وفتحت الباب، فوقف على الفور، نزلت من السيارة وأشارت إلى سيارة أجرة، استقلتها متجهة إلى البيت بينما وقف خالد يفكر فيما قاله.

***

رقم غريب يتصل به، تردد في بادئ الأمر ولكن أسرع حسن ليرد على المتصل، كان يجلس على مكتبه ليكمل تقرير قضية القتيلة حنان رأفت، ترك القلم وتأمل الرقم، كان مميزًا بعدد من كثير من الرقم سبعة أجاب المتصل قائلًا:

- من معي؟

فقال:
- المستشار نادي شرارة
قطب حسن جبينه متعجبًا، لماذا يتصل بي في وقت كهذا وماذا يريد؟
قال حسن:
- أهلا بك سيادة المستشار
- علمت من مكتب النائب العام أنك تقدمت بشكوى ضدي.. لماذا ؟
لو يعلم منذ أيام الجامعة أن تلك الشكوى ستجعل والد حبيبته يتصل به لفعلها
قال حسن:
- أنت تعلم لماذا فعلت ذلك.. ولكن دعني أذكرك.. أصدرت حكمك في قضية مقتل محمود بيومي عوض بالباطل وقضايا أخرى الرأي العام يعرف إنها أحكام ظالمة.
قال نادي غاضبًا:
- أسمع يا بني
قاطعه حسن قائلًا:
- الدكتور حسن مكي
- اسمع جيدًا.. لا تحاول أن تضع نفسك موضع الشريف الذي يحاول أن يحارب الفساد.. أعتقد أنك تعرف من هو نادي شرارة بالنسبة للقضاء في الدولة.
هز رأسه قائلًا:
- نعم أعرف
- يتضح لي أنك لا تعرف أيضًا أن من جعلك تلتحق بمصلحة الطب الشرعي هو أنا تعويضًا عن حرمانك من الزواج بابنتي.. تأتي





الآن لتخاصمني في أمر لا يد لي فيه.. أنا أحكم بالأوراق التي أمامي.

- سيادة المستشار.. هناك قضايا حكمت فيها بالإعدام على متهمين ليس لهم ذنب وأنت تعلم ذلك.

صمت نادي ليسمع ما يقوله حسن

استمر حسن قائلًا:

- أعرف أنك ستقول لي الأدلة... ولكن أيضا أنت تعلم أن الأدلة الجنائية هي عبارة عن عجين يستطيع أي شخص أن يضع يده عليها ويشكلها كما يشاء

- وماذا بعد؟

- المصالح هنا تتدخل لإنهاء القضايا في الطريق الذي تريده الدولة.

قال نادي:

- أتعجب من كلام رجل يعمل في مصلحة الطب الشرعي التابعة لوزارة العدل

- أنت على علم أنني لا أملك شيئًا أخشى عليه

أخذ نادي نفسًا عميقًا وقال:

- أنت تحاول أن ترد لي الصفعة ليس أكثر

- سنرى

-لن أضيع وقتي معك

وأغلق الخط، شعر حسن براحة تجتاح جوانبه وأن ما أقدم عليه حتى ولو فتح أمامه آتونًا لن يغلق إلا أنه يشعر أن ما فعله صحيح وأن الطريق الذي سيتخذه سيصل به إلى مراده.

***

ظل ديدا يذهب ويجيء في مكتب خالد بالشركة وقد عقد يديه

خلف ظهره بينما جلس عدنان يتابعه بعينيه، كان منفعلًا أي واحد جعله يرمي إحدى الأكواب في الحائط، وصله بريد إلكتروني من صديقه (باستين) يطلب منه أن يظل في مصر الفترة القادمة ولا يفكر في العودة هذه الأيام، تعجب من هذه الرسالة التي لم تكن متوقعة تماما من (باستين) وتذكر وعده عندما أخبره أنه في أنتظار عودته حتى يعمل معه والآن يرسل له رسالة كهذه لكن لم إذًا؟ هل حدث شيء جديد.

طلب منه عدنان أن يهدأ إلا أنه أصر على معرفة الحقيقة فهاتف أحد أصدقائه في فرنسا ومن المقربين إلى (باستين) وقد أخبره أنه في خلال يومين سيعرف ما سر تلك الرسالة.

جلس وهو يدخن بشراهة بينما ظل عدنان يجلس في مكانه دون حراك، حدقه ديدا قائلًا :

- لن أدع أحلامي تتبخر.

ترك عدنان كوب الشاي الذي في يده على المكتب وقال:

- بالصبر تنول ما تريده

إلا أن ديدا لا يعرف صبرًا ولا يعرف شيئًا إلا أن ينال مراده مهما كان السبب، نظر له مرة أخرى وسأله وهو يكاد يتمزّع غيظًا:

- هل اتصلت بخالد؟

- نعم وهو في الطريق إلينا.

قال ديدا متسائلًا:

- هل عثروا على نوح؟

هز عدنان رأسه بالنفي، فزاد ديدا غيظًا قائلًا:

- لماذا تبدو كالثلج يا عدنان؟

مط عدنان شفتيه وقال:

- لا داعي لما أنت عليه الآن، كل الأمور ستسير كما خططت لها،





أما عن (باستين) بعد غد سنعرف ما الأمر، الأيام القادمة لابد أن نركز جيدًا في السبب الذي أتينا لأجله، وبعد ذلك نفكر في الذي يحدث في فرنسا، هناك الأهم ثم المهم.

مسح ديدا بكفيه على شعره وكأنه يزيح كتل الهموم المتراكمة في عقله، نظر إلى سقف الغرفة وهو يسترجع بعض ذكريات نشأته في المغرب وذكريات انتقاله إلى فرنسا، وأحداث كثيره، إلا أن الحدث الأهم ظل معلقًا في ذاكرته إلا ما حدث لأمه.

دلف خالد إلى الغرفة فوجدهما يجلسان في صمت، اصطنع ابتسامة وحياهما، لم يتلق تحية إلا من عدنان وكانت أيضًا مصطنعة، جلس على الكرسي المقابل لعدنان والمجاور للمكتب، بينما ظل ديدا جالسًا على الأريكة بعيدًا عنهم بقليل، اعتدل ديدا في جلسته ونظر إلى خالد قائلًا :

- منذ أن أتيت إلى هنا وقد سمعت عن مشكلتك مع عزمي ولم تحل حتى الآن؟ هل حدث جديد؟

أجابه خالد:

- لا .. لم أستطع حتى الآن أن أجمع ماله

فأشار له بالسبابة قائلًا :

- أنت من سيدمر تلك الشركة بيده.. ولذلك قررت أن تتنازل عن باقي نصيبك في الشركة لي

نظر له عدنان متعجبًا من هذا القرار الذي لم يكن يعلم عنه شيئًا، فهم ديدا نظراته فأشار له أن يصمت دون أن يلاحظ خالد ذلك، أردف قائلًا :

- ستُبعد عن الشركة تماما.. وغدًا ستأتي لتمضي عقود البيع

نهض خالد من مكانه واتجه إلى الكرسي خلف المكتب فأصبح كل من عدنان وديدا أمامه، نظر لهما باسمًا:

- وهل تعتقد أنني سأترك لكما شركتي بهذه السهولة؟ أنسيت

الاتفاق بيننا؟ أعتقد أنك نسيت سأعيد عليك بنود الاتفاق

وقف عدنان وقال:

- لا داعي للثرثرة.. ما قاله ديدا سينفذ

حدجه خالد قائلًا :

- ما دخلك أنت فيما نقول .. أنت كل ما تفعله هو أن تنفذ كلام هذا( وأشار إلى ديدا) .. أراهنك أنك أول مرة تسمع هذا الكلام من صديقك

التفت عدنان إلى ديدا ونظر له وكأنه يقول أنت من وضعتني في هذا الموقف وعاد ببصره إلى خالد فقال خالد:

- لا تلمه على ذلك.. فهو لا يبحث إلا عن مصلحته فقط حتى لو قتل أقرب الناس إليه

فصاح ديدا قائلًا :

- لا تزيد في كلامك مرة أخرى، إن كان لديك ما تهددني به فأنا أملك ما يدمر لك حياتك.

- لا تستطيع أن تفعل شيئًا .

قالها وهو يعود بظهره إلى الخلف ويضع كفيه تحت رأسه مبتسمًا.

اندفع ديدا إليه وقد اجتاز عدنان وهجم على خالد، ضربه بقبضة يده في وجهه؛ فاندفع الدم يخضب شفتيه، أمسكه خالد من قميصه وجذبه إلى الأسفل وثم ضربه بجبينه على وجهه، فيما أسرع عدنان لفض الاشتباك، انتفض خالد وقام من مجلسه، دفعه عدنان إلى الخلف فسقط على الأرض ثم ضرب عدنان بقدمه في بطنه فسقط متألمًا، قام وأندفع نحو ديدا وأمسك به ودفعه نحو الأريكة منقضًا عليه يلكمه، نهض عدنان من الأرض وأسرع يطوق عنق خالد بذراعه، بدأ خالد في الاختناق حتى فقد الوعي.

جلسا ينظران وقد قررا أن يحملاه إلى السيارة، تفقد ديدا نبضه





من عنقه فوجده مازال حيًا، طرح على عدنان فكرة أن يأخذاه إلى بيته ووافق عدنان.

***

لم يكن خالد حاضر تلك المرة في الجلسة حيث ظل في البيت ثلاثة أيام بعد المعركة لا يذهب إلى الشركة، كان يفكر فيما فعله ديدا معه؛ بينما كانت سندس جالسه على المقعد الوثير أمام هالة لتبدأ الجلسة، بدت وكأنها تتحس نوعًا ما فقد استطاعت أن تنام وقتًا قليلًا في الأيام التي تلت الجلسات الأولى، قالت هالة وهي تبتسم:

- أغمضي عينيك .. لا تقلقي نحن على وشك الانتهاء من الجلسات.

بدأت هالة تخاطب عقلها اللا واعي متحدثة إليها، كانت سندس تحاول أن تستعيد بعض الأحداث التي كانت في الماضي، إلا أن الحلم القديم قد أجتاح عقلها ورأت والدها وهو على سرير في غرفة التشريح وقد علق على أحد أصابع قدمه ورقة مكتوب عليها ( مقتول)؛ ظلت هالة تتابع سندس وهي تغوص في أعماق عقلها اللا واعي وقد لاحظت أنها تتنفس بسرعة كبيرة، لم تفهم ما الذي دفعها لذلك ؛ فغير لغة الخطاب الموجه لعقلها اللاواعي، زاد معدل تنفس سندس وراح صدرها يرتفع ويهبط بسرعة، حاولت هالة أن تعيدها إلى وعيها مرة أخرى فقالت بصوت رخيم:

- عندما أصل لرقم أربعة في العد أفتحي عينيك .. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة

فتحت سندس عينيها والدموع تنساب منهما، كانت عيناها حمراوين، ظلت تحدق في هالة وهي لا تستوعب ما يدور حولها، ظلت تتأمل الغرفة وما فيها ثم سألت هالة:





- ما الذي حدث؟

ابتسمت هالة ومسحت العرق المتصبب من جبين سندس وقالت:

- أنا الذي أريد أن أعرف ما الذي حدث لك؟

أخذت سندس نفسًا عميقًا وقالت:

- رأيت حلمًا ..قد جاءني منذ فترة كبيرة.. أعتقد أنها رسالة تؤكد لشيء ما

- وما هي الرسالة؟

- تأكدت الآن أن والدي قد مات مقتولًا

تعجبت هالة من كلامها فتساءلت:

- هل أنت متأكده من ذلك؟

هزت رأسها مؤكد على ما قالته:

- نعم.. أبي مات مقتولًا

وبدأت تبكي بشدة

رن هاتف هالة المحمول معلنا عن وصول رسالة نصية، تحركت ناحيته وقد كان موضوعًا على المكتب، قرأت نص الرسالة «ابدئي الآن ولا تضيعي وقتنا»

نظرت هالة إلى سندس وهي تفكر ثم نظرت إلى الهاتف مرة أخرى وأرسلت

«سأفعل ولكن لا تنتظر أن يحدث ذلك مرة أخرى»

تأخر الرد على رسالتها فتحركت نحو سندس لتكمل الجلسة حتى أن جلست أمامها أصدر الهاتف نغمة وصول رسالة جديدة فقرأت ما جاء فيها «افعلي ما أمرتك به بسرعة»

عادت مرة أخرى وجلست أمام سندس قالت لها:

- هل أصبحت تنامين جيدًا؟

- نوعًا ما .. أنا أعرف طريقة العلاج هذه ..أنا طبيبة





- أعرف أنك طبيبة ولكن في التشريح.. طريقتنا هذه جديدة على مجتمعنا هنا ولا يوجد الكثيرون الذين يؤمنون بها.. هيا نبدأ الجلسة مرة أخرى حتى لا أضيع وقتك.. أغمضي عينيك.. ارتخي تماما ولا تفكري في شيء غير الذي أمليه عليك.. سأعد من واحد إلى أربعة.. واحد.. اثنان.. ليس لديك شخص في العائلة مات مقتولًا.. ثلاثة.. أربعة.. أنت الآن ترين كل أفراد عائلتك بجوارك .. واحد.. اثنان.. لا أحد في العائلة قد اختفى.. ثلاثة.. أربعة.. سندس؟ عندما أصل إلى رقم أربعة ستفتحين عينيك.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة

ثم أحدثت صوت طرقعة بأصبعها ففتحت سندس عينيها وقد بدا عليه التحسن قليلا.

## - 23 -

قامت سلمى بإجراء مكالمة هاتفية لحسن وطلبت منه أن تقابله في أسرع وقت إن أمكن، تعجب حسن لذلك الأمر وطلب منها أن يعرف سبب المقابلة، قالت أنها تريد أن يكون الكلام وجهًا لوجه.

جاء حسن متأخرا عن الميعاد قليلا، وجدها تجلس في انتظاره وبدا عليها القلق، كانت تتابع الصفحة التي أنشئت من أجل نوح، بدت حزينة تشرد بعقلها لتتذكر الأيام التي كانت تقضيها مع حبيبها في جنتهما الأرضية، لم تتخيل يوما أن يذهب نوح بلا عودة، تحاول معظم الوقت أن تعتاد على الوضع الجديد إلا أن قلب الحبيب أحيانا يعلق نفسه بعودة المفقود.

ما إن جلس حسن حتى انطلق النادل يتقدم إليه ليسأله ماذا يشرب، طلب حسن فنجان من القهوة فعاد النادل لتحضير المشروب، قالت سلمى وهي تضع الهاتف في الحقيبة:

- هل أزعجك طلبي؟

فقال حسنا مبتسمًا:

- لا

شردت قليلًا متأملة إعلانًا يعرض على الشاشة التي أمامها عن العلاج من التدخين والأرق بطريقة التنويم الإيحائي قال حسن:

- ما الأمر يا سلمى.. هل أنت وسندس بخير؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- ألن تلاحظ أي تغير طرأ على سندس بعد شهرين من اختفاء نوح؟

مد بصره كما لو كان يتذكر ثم قال وهو يمط شفتيه:





- بلي ..لقد لاحظت ولكن الوضع جيد فقد بدأت تستعيد صحتها مرة أخرى

نظرت سلمى اليه بعينيها العسليتين وقالت:

- لا .. لم أقصد ظاهريا.. هل تحدثت معها منذ وقت قريب؟

- لم أتحدث معها.. أتت إلى العمل مرتين.. طلب منها الدكتور شوقي أن تعود إلى المنزل مرة أخرى ولا ترهق نفسها تلك الفترة

عاد بظهره إلى الخلف وعقد ذراعه قائلًا :

- ما الأمر يا سلمى؟ آتي بما عندك

أخذت سلمى شهيقًا ثم زفرته في ضيق، عدلت من وضع الحجاب على رأسها وقالت:

- كنت أكتب على صفحة ابحثوا عن نوح.. فبكيت.. دخلت إلى غرفتي وسألتني لماذا تبكين؟ قلت لها لقد طال غياب نوح عنا وقد اشتقت إليه ولا أعلم هل هو حي أم ميت.. وعدت إلى البكاء مرة أخرى

قاطعها حسن قائلًا :

- وماذا فعلت؟

- قالت لي .. كم لبث بالخارج؟ قلت: شهرين حتى الآن.. رأيتها متعجبة جدًا وقالت: لقد خرج إلى العمل وقال أنه سيعود ليلا.. ثم قالت: هاتفه مغلق وانا أريد أن أتحدث معه.. وذهبت لتتحدث إلى خالد حتى تطمئن على نوح ولا أعلم ما الذي قاله لها .

هز حسن رأسه متعجبًا وقال:

- أنا لا أفهم شيئًا

استرسلت سلمى قائلة:

- حتى عندما أتى خالد إلى البيت لاحظت أنها تعامله بلطف وود

حدقها حسن قائلًا :

- تعامله بلطف وود؟ .. كيف هذا.. فهو الذي وضع الظرف بين

الباب والحائط، الظرف الذي أحتوي على أوراق تتهم والد سندس أنه كان شريك في بعض الأعمال غير القانونية.. ألم يحك لك نوح عن ذلك الأمر؟

قالت سلمى وهي تستعيد الحدث:

- بلي قص عليّ الأمر

- عرفنا تورطه بعد أن رفعت البصمات من على الظرف ووجد بصماته معلقة به

- الآن فهمت لماذا كانت تعامله سندس بجفاء.. والآن تحول كل شيء وأصبحت كالخاتم في إصبعه

شرد حسن قليلًا معلقًا بصره على مكان ما في الكافية، ارتشف من فنجان القهوة ثم أعاده إلى الطاولة مرة أخرى قائلًا:

- هناك شيء ما غير معروف لنا

- دكتور حسن.. سندس لم تعد تتذكر ما حدث لنوح.

قال متعجبًا:

- لا تتذكر؟؟!!

***

جلس عزمي في الغرفة ينتظر كلا من ديدا وعدنان، جاء لا يحمل الخير لأحد منهم، وإن كان الجزء الأكبر من الشر كان يحمله لخالد، لقد طال عليه الوقت وهو ينتظر أن يفي بعهده، فتلك الأموال المهدرة قد خسرها وخسر أرباحها.

دلف كل من عدنان وديدا إلى الغرفة، جلس عدنان على الأريكة بينما جلس ديدا على كرسي المكتب المقابل لكرسي عزمي، بدا على عزمي الضيق الشديد، رأي ديدا ذلك فبادره قائلًا:

- هل حصلت على أموالك؟





وضع عزمي يده على المكتب متكئاً عليها ونظر إلى ديدا قائلًا:
- سأحصل على نقودي الآن ولن أبرح مكاني إلا وهي في جيبي
قال عدنان:
- مسيو عزمي أموالك ليست هنا.. فهناك بعض التغيرات التي طرأت على الوضع الحالي.
قطّب عزمي جبينه وقال وهو يلتفت بجذعه ناحيه عدنان:
- ما الذي تغير؟
أجابه ديدا:
- أموالك مع الذي اتفقت معه والذي وقعت معه العقود.. شركتنا الآن غير مسئولة عن هذا الاتفاق.
اعتدل عزمي في جلسته بحيث أصبح جسده ناحية عدنان وقال:
- كان اتفاق إعادة الأموال أمامك وأنت تعهدت بذلك.
هز عدنان كتفه وقال:
- اتفقت معك عندما كان خالد جزء من هذا الكيان أما الآن فقد رحل.
قال عزمي متعجبا:
- رحل؟ تعني أنه مات؟
ضحك ديدا وقال:
- لا .. مازال على قيد الحياة يرقد في بيته
- لا أفهم ما تعنيه؟
أزاح سترة البدلة كاشفا عن سلاحه المعلق على كتفه، رأي ديدا السلاح فقام من مكانه متجهًا إلى الحمام وبدأ يتبول وهو يقول:
- كنت في فرنسا ألعب بالأسلحة مثلما تلعب الأطفال في الشارع.
ثم خرج من الحمام وعاد ليجلس مكانه وقال:
- لم يعد خالد شريكا
قال عدنان وهو يقف:





- تنازل عن حصته في الشركة.. لا تضيع وقتنا ووقتك.. اذهب إليه واحصل على مالك

وقف عزمي وملامح الشر تبدو على عينيه وملامحه، أصبح كحيوان مفترس خلع ديدا عن رقبته اللجام لينطلق لافتراس فريسته.

خرج عزمي مندفعا وصفق الباب خلفه، اقترب عدنان من المكتب وجلس، نفس ديدا دخان سيجارته في غضب قائلًا :

- حتى الآن لم يصل لي أي أخبار عن (باستين)

صمت عدنان ولم يعقب أردف ديدا قائلًا :

- والأمر الذي جئنا من أجله إلى هنا لم يسر كما كنا نريد.

استمر صمت عدنان فقال ديدا:

- هل أتحدث إلى نفسي؟

قال عدنان في هدوء:

- لقد تلقيت اتصال من فرنسا ظهر اليوم

- تكلم

قال عدنان وهو يصارع في إبلاغ صديقه:

- لقد اتحد (باستين) مع رينه وعقدوا شراكه في البيزنس..علم رينه أنك ذهبت إلى (باستين) لتتخلص منه، فأسرع اليه وعرض عليه أن يعملا سويا، تلاقت مصالحهما، وجد (باستين) رنيه غطاء خفيًا وبالأخص بعد أن نجح في البرلمان

انفعل ديدا بشدة وطفق يقذف كل ما تلقفه يده في الغرفة على الأرض فأحدث جلبة في الشركة جعلت الموظفون يهرعون لمعرفة الأمر، إلا أنهم لم يتجرأوا الدخول الغرفة، ولم يفهموا ما الذي يقوله ديدا وهو غضبان لأنه كان يتحدث بالفرنسية، لم يتحرك عدنان لتهدئة صديقه بل تركه يفرغ شحنات غضبه على الأشياء التي أمامه، كان عدنان يفكر في ما الذي يحدث؟، هل أصبتهما لعنة ما، أم تنبؤات

العراف الذي قال لهما عند زيارتهما للمغرب أنهما عند وصولهما للقمة يعودون للقاع مرة أخرى؟

هدأ ديدا قليلا بعد أن أفرغ شحنة العنف والتكسير وجلس يلتقط أنفاسه وفي رأسه تدور الأفكار حتى يصل إلى حل، فهو لا يرغب أن يخرج خالي الوفاض، أمر صديقه أن يسرع في الاتفاق مع أحد المحامين البارعين لينتهي من مشواره الذي أتى به إلى مصر.

***

قبل الاختفاء نشر نوح الصورة التي وجدها في شقة سراي القبة وكانت لوالده وتقف بجواره امرأة وقد بدا أنهما في حفل زفاف، ملامح المرأة ليست من العائلة، كانا في زي العرس.

رأت سندس الصورة على الصفحة الخاصة بنوح داخل ألبوم لا يوجد بداخله غير تلك الصورة وقد كتب عنوان لها «من أنتِ؟»، لا شيء يستدعي تأجيل إجابة السؤال إلا أن نوح قرر أن يؤجله لأجل ما.

أخذت سندس تتأمل ملامح السيدة التي تقف في الصورة وتعجبت لماذا أخفي عنها نوح صورة كهذه، حاولت أن تتذكر أي تفاصيل عن تلك الصورة إلا أنها فشلت في ذلك، نادت سلمى فتقدمت مسرعة تدخل إلى الغرفة، جلست بجوارها، أعطت سندس الهاتف لسلمى لتتأمل الصورة وسألتها هل عرض عليكي نوح هذه الصورة من قبل؟، نفت سلمى أنها رأت الصورة من قبل ولكن كان نوح في كلامه يلمح لها إلى أن هناك أمرًا ما يخفى عن الجميع، وبعد ذلك سافر وظل الأمر في طي الكتمان.

في الليل قامت سندس مفزوعة من النوم وهي تصرخ، هرعت سلمى اليها تحاول أن تهدئها، كان صوت سندس عاليا ولم تستطيع سلمى أن تهدئها إلا بعد وقت كبير، لم تستطيع أن تنام مرة أخرى،





حاولت سلمى أن تعرف ما الذي أصبها إلا أن سندس رفضت الحديث وظلت صامتة.

مرت الأيام وحال سندس يسوء يومًا عن يوم، لا تتذكر أشياء حدثت في الماضي، وأصبحت لا تأكل وتهاجمها كوابيس كثيرة، عجزت سلمى عن مساعدتها، فطلبت من حسن أن يأتي ليساعدها، كان حسن في تلك الأيام يواجه صعوبات في العمل بعد الشكوى التي تقدم بها إلى النائب العام يخاصم فيها المستشار نادي شرارة، ولم يقف الأمر إلى صعوبات فحسب؛ بل تطور إلى أن طلب منه الدكتور شوقي حافظ مديره في العمل أن يحصل على إجازة لمدة مفتوحة دون تحديد مدة معينة يعود بها إلى المصلحة.

كانت دائما ما تشغله سندس التي مع الأيام أصابها الوهن وسيطر عليها التعب، كانت تتساءل دائما، لماذا لم يعود نوح حتى الآن ولماذا هاتفه طوال الوقت مغلقًا، كانت سلمى لا تلقي على مسامعها أي إجابة؛ حالة النسيان التي أصابت سندس جعلت الوضع مربكًا، وبدأ خالد يستغل تلك الحالة ويضغط على سندس لكي يتم الزواج، تعجبت سلمى من طلب خالد عندما سمعته يطلبه وهي تسير في الردهة متجهة من الحمام إلى غرفتها، بعد أن رحل خالد في تلك الليلة سألتها سلمى:

– هل ستوافقين على الزواج من خالد؟

فما كان من سندس إلا أن قالت:

– نعم.. سنتم الزواج

و بدا لحسن عندما علم بشأن الزواج؛ أن سندس بالفعل أصبحت لا تميز الأمور بشيء من الحكمة والعقل، هذا خالد الذي لم يهتم يومًا بغياب نوح كل تلك الفترة والذي لا يهتم أبدًا بصحتها وهو الذي وضع الظرف به أوراق اتهام والدها بكم جرائم كبيرة، فكيف توافق

على أن تعيش معه باقي الحياة.

كانت سلمى تلح على حسن أن يتدخل في هذا الأمر؛ إلا أنه تراجع لأن سندس هي المسئولة عن حياتها وقراراتها وأن رأيه مجرد رأي استشاري فهو زميل ليس أكثر، وقبل أن ينتهي الحديث بينهما طلب حسن منها ألا تقص على سندس أي شيء قد حصل لنوح أو ما فعله خالد؛ ففي تلك الحالة غير المفهومة لها قد تتعرض لصدمة قوية قد تقضي عليها تمامًا.

بينما كانت سلمى نائمة على سرير نوح تحتضن صورة له ومدامعها تبلل الصورة كانت سندس تجلس أمام المرآة تتأمل ملامحها، جدلت شعرها البني الفاتح، وتركت بعض الخصلات المائلة تغطي جزءًا من جبهتها وعينها اليمني، ظهرت الهالات السوداء أسفل العينين بينما ذبلت ملامحها، لمحت هاتفها المحمول بجوارها، التقطته واستعرضت الأسماء وضغطت على اسم نوح وهي على علم أنها ستجده مغلقًا، كانت لا تستوعب لماذا يظل هاتفه مغلقًا كل تلك الفترة، كانت لا تتذكر ما الذي حدث له، وكان إصرار حسن ألا يبلغها أحد أن نوح قد أختفي ولم يجدوا له أي أثر وعندما تأتي سيرته كانت تدعي سلمى أنها هاتفته واطمأنت عليه، حاولت تلك المرة أن تتصل به، رفعت الهاتف إلى أذنها وترقبت، كان الوقت يمر ببطء وهي تنظر أن يأتيها صوت السيدة لتبلغها أن تحاول مرة أخرى فالهاتف مغلق أو خارج نطاق الخدمة، ولكن تلك المرة جاءها صوت جرس، تغير حالها، وقفت وهي تنتظر صوت نوح ليجيب، ظل الجرس مستمرًا حتى انقطع، عاودت الاتصال مرة أخرى ولكن كان الهاتف قد أغلق.





## - 24 -

أخذ يقلب جسده يمينًا ويسارًا في محاولة للعودة إلى النوم مرة أخرى ولكن عاد الهاتف يصدر نغمة الاتصال مرة ثالثة في إصرار من المتصل على أن يتلقى إجابة.

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرًا، أصبح نهاره كليله بعد أن حصل على إجازة من العمل، كان يفكر كثيرًا طوال الليل كيف يسترد حقه وكرامته، وتساءل كيف يتنهي به الأمر أن يجلس في البيت في إجازة ولا يعلم متى سيعود إلى العمل وهو الذي دائمًا يسعى لتحقيق العدل ومساعدة القضاء في إقامة ميزان العدل

بينما رجل مثل كمال باع العدل لمن دفع له قيمته ومازال يستمتع بجميع المميزات.

أقلقه صرخات الهاتف الموجود بجواره على السرير، التقطته وهو يجاهد ليفتح عينيه متجنبًا إضاءة شاشة الموبايل القوية، كان المتصل قد تخلى عن المحاولة الرابعة للوصل إلى حسن، التقط حسن اسم المتصل كان ضابط المباحث حاتم عز الدين، جلس حسن نصف جلسة على السرير وهو يستعيد كامل وعيه، وأسرع بالاتصال بحاتم فربما يحمل معه أخبارًا سارة عن نوح أو ربما قد توصلوا لقاتل حنان رأفت.

نهض وتحرك في اتجاه حجرة المكتب وهو يتصل به، كان متلهفًا لسماع أي أخبار سعيدة عن الموضوعين، كان خلال المسافة بين غرفة النوم والمكتب تدور في رأسه أفكار عديدة متداخلة، مازال يضع الهاتف على أذنه في انتظار رد من حاتم، الوقت يمر وسندس





وسلمى ونوح يطوفون في رأسه ويحاول أن يجد حلًا ليخرجوا جميعا من هذا المأزق الصعب.

جاء صوت حاتم عبر الهاتف وهو يتحدث إلى أحد معه بالمكتب، انتظر حسن حتى سمع كلمة ألو فرد قائلًا:

- حاتم بيه.. أعتذر فقد كنت نائمًا.

استفسر حاتم عن ذلك الأمر، فقد اعتقد أن حسن به وعكة صحية لم يستطع من خلالها الذهاب إلى العمل، تردد حسن في إخباره أن الأمر ليس كذلك بل هي إجازة مرغم عليها؛ ولكنه أسرع ليؤكد على كلامه أنه مريض، تساءل حاتم أن كان يستطيع أن يحضر إلى مكتبه، فأخبره حسن أنه سيحضر في خلال ساعة.

أنهي المكالمة وهو على يقين أن تلك الزيارة متعلقة بقضية حنان رأفت.

شرد قليلا يتذكر منة وكيف كان يشعر قبل أن يتجرأ ليتحدث معها، فتح جهاز اللاب توب وأستمع إلى أغنية الحب المستحيل لكاظم الساهر، كم من المرات كان يستمع إلى تلك الأغنية وهو يشعر بداخله أن حبها كان يومًا مستحيلًا ثم أصبح واقعًا ملموسًا وعاد مرة أخرى مستحيلًا .

أفاق من شروده على صوت نغمات الهاتف مرة أخرى، كانت سندس هي المتصلة أسرع يجيب اتصالها بقلب قلق، جاء صوتها باكيًا:

- هاتفت نوح ولكن تلك المرة كان هاتفه مفتوحًا ولم يجب، عاودت الاتصال مرة أخرى ولكنه أُغلق.

حاول أن يهدئها وطلب أن يتحدث إلى سلمى، جاء صوت سلمى مرتبكًا بسبب ما وصلت إليه سندس من انهيار، قال لها:

- هل ما قالته سندس صحيح أم كانت تحلم؟

قالت وهي مازالت مرتبكه تحاول السيطرة على سندس:





- لا أعرف فقد استيقظت ووجدتها تبكي بشدة.. مازالت تعتقد أن نوح خرج للعمل وسيعود.. حتي الآن لا تتذكر شيئًا.

قال وقد بدت عليه الحيرة:

- سلمى.. أنا أصبحت لا أثق في كلام سندس .. فهي بالنسبة لي الآن غير قادرة على التمييز ... سأعاود الاتصال بك مرة أخرى .

أغلق الهاتف ونهض يبدل ملابسه ليسلك طريقه إلى مديرية أمن الجيزة.

**مكتب حاتم عز الدين**

جلس حسن ينتظر حاتم وهو يتأمل كل شيء حوله في الغرفة، دخل عامل البوفيه ووضع أمامه كوب الشاي الساخن، التقطه حسن وبدأ يشرب ويفكر في القضية وما وصل إليه حاتم حتى الآن، مدّ بصره خارج الشرفة التي أمامه فلاحظ إحدى الفتيات تقف في شرفة غرفتها تبكي، قام من مكانه واقترب أكثر من الشرفة، وجدها تمسك هاتفها وتتصل وتنتظر أن يجيبها أحد، رآها تبكي بشدة عندما نظرة إلى شاشة الهاتف وقد بدا أن لا أحد قد أجابها، بدأت تكتب؛ فربما كانت ترسل رسالة أو تكتب محادثة على الواتس آب أو فيس بوك، تعجب من إصرارها لتصل إليه، بينما حبيبته استسلمت سريعًا وتركته وحيدًا.

دخل حاتم إلى المكتب ففزع حسن وأهتز جسده ؛ فتساقطت بعض قطرات الشاي على حذائه، لاحظ حاتم ذلك فضحك بصوت عالٍ واقترب من حسن وربت على كتفه ثم دعاه للجلوس قائلاً :

- دكتور تشريح يفزع هكذا؟ غريبة

ابتسم حسن مجاملة وقال:

- أولا وأخيرًا فأنا بشر

مسح حاتم فمه بمنديل وقال:

- بالطبع





أردف قائلًا:

- هاتفتك لكي أعلمك على آخر ما توصلنا له في قضية حنان رأفت

أومأ حسن برأسه منصتًا باهتمام، أكمل حاتم كلامه وهو يقلب في الأوراق التي أمامه:

- وضعت نصيحتك نصب عيني وقلصت دائرة البحث عن الأشخاص المقربين لعائلة الفتاة

قاطعه حسن:

- جيد .. وماذا وجدت

أكمل حاتم حديثه كما لو لم يقاطعه حسن:

- وجدنا أحد الأقارب قد تقدم لخطبتها إلا أن أمها رفضت بشدة وتعاملت معه بشيء من القسوة، كان ذلك قبل أن تتزوج بأسابيع، وظلت الأم تعايره أمام الناس أنه فاشل ولا يملك المال لكي ينفق على نفسه، عرفنا أن هذا الشاب كان قد تورط في قضية سرقة بالإكراه وقضي سنتين في السجن وخرج، كانت أمها دائما تقول لن أزوج ابنتي لمجرم سارق .. ظل يتوعد لها ويهددها أمام الجيران أنه سينتقم منها ومن ابنتها، زاد الأمر عندما تزوجت حنان.

- وماذا حدث؟

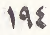
- تم استدعاؤه للنيابة لأخذ أقواله وحبسه على ذمة القضية لمدة خمسة عشر يوما مع التجديد.. أرسلناه إلى مصلحة الطب الشرعي لأخذ عينة من البول والبصمات .. ألم يأت إليك؟

ابتسم حسن وقال:

- أنا في إجازة منذ فترة.. ربما زميل آخر قد استقبله وأخذ العينات

قال حاتم:

- جيد.. نحن في انتظار نتائج العينات.






قال حسن:
- ما علاقة هذا بالصورة التي وجدتها في كارت الذاكرة؟
نظر له حاتم وهو يحدق إلى عينيه، ارتبك حسن قليلًا من نظراته، فقد شعر أن حاتم قد تذكر أمرًا ما، ظل حسن منتظرًا إجابة السؤال، لكن حاتم عاد ببصره إلى الأوراق التي أمامه، نهض حسن وقال وهو يهم بالتحرك باتجاه الباب:
- أنت تضيع وقتك يا حاتم باشا.. تتبع الصورة.. فربما قد تحصل على القاتل الحقيقي... غير ذلك فأنت تهدر الوقت في صالح القاتل.
ثم تركه وخرج دون أن يتلقى ردًا.
ترجل في الطريق حتى وصل إلى سيارته الواقفة بالقرب من كوبري الجامعة، في تلك المسافة أتخذ قرار أن يتصل بدكتور شوقي حافظ، بدا صوت الدكتور مرهقًا متعبًا قال له حسن:
- هل لي أن أطلب منك طلبًا؟
قال شوقي في ود:
- بالطبع.. تفضل
- أريد أن أعود ولو لفترة قصيرة لأستكمل قضية حنان..
صمت شوقي لبرهه وقال:
- ولكن يا حسن أنا وكلت القضية لزميل لك و..
قاطعه حسن قائلًا:
- أرجوك.. أريد أن أغلق هذه القضية
قال دكتور شوقي محاولًا إغلاق الحديث:
- سأحاول
- دكتور شوقي ..أنت ساعدت كمال في أمور كثيرة غير صحيحة. أنا الآن أريدك أن تساعدني في أن أسير في الطريق الصحيح.. تلك هي فرصتك قبل أن ينتهي عملك في المصلحة

قال شوقي بعد تفكير:

- أحيانا يا حسن قد نضطر إلى فعل أشياء لا نملك قرار الرفض فيها.. سأحاول أن أفعل ما تريد ولكن لن أعدك بشيء.

- أنا أتعاون مع ضابط المباحث الموكل له القضية وقد اقتربنا من معرفة القاتل.

- حسن.. هاتفني بعد يومين

انتهت المكالمة، يتساءل هل سيوافق الدكتور شوقي على عودته لإنهاء التقرير أم لا؟

***

هل خسر كل شيء؟ أم مازالت الفرصة أمامه ليبلغ مراده؟ فتح طريق لم يكن في حسبانه، مع اختفاء نوح وإثبات وفاته ستحصل سندس على مبلغ التأمين، بالطبع لن تهتم سندس بقتل أخيها فقد مات في أرض غير الأرض، الآن أصبح الهدف سهل المنال وقريبًا جدًا منه، دفعه حماسه ليتصل بعدنان ويبلغه في رغبته بمقابلة ديدا، كان قد نسي ما فعلاه معه أو بالأصح أصبحت المصلحة تقتضي ذلك، كان خالد قد طلب منهما أن يصطحباه إلى فرنسا للعمل هناك وقد وعده ديدا بذلك بعد أن ينفذ الاتفاق الذي بينهما، فكان لا يفكر إلا في تحقيق ذلك الغرض.

جلس كل من ديدا وعدنان يتأملان ملامح خالد وهو يقص عليهما ما ينوي أن يفعله بحماس، كان ديدا في بعض الأوقات يلتفت إلى التليفزيون ويشاهد إحدى المباريات التي كانت تذاع في الكافيه، بينما عدنان كان يحاول أن يقتنص كلمة من خالد يشعر فيها بجدية كلامه، عدنان يرغب في إتمام ما جاء به إلى مصر، فهو صاحب النفس الطويل وهو الذي لا يهدأ ليحقق ما يتمناه.

انتهى خالد من الحديث معهما على وعد أخير أن ما جاء من أجله سيتحقق في وقت قريب جدًا، نظر عدنان إلى ديدا الذي ظهرت على ملامحة عدم الاهتمام، بينما في الحقيقة كان يبحث عن أي طوق نجاة لينهي ما جاء من أجله، كانا ينتظران قراره لكي ينفذ خالد ما قاله، شعر في رغبة للعودة إلى أمه فقد أرهقه الانتقام، إلا أن الطريق الذي بدأه لا يستطيع أن ينهيه الآن، ولا يملك خيارًا آخر غير أن يتعاون مع خالد.

أومأ برأسه موافقًا، سعد خالد بموافقة ديدا، هذا هو الأمل الأخير.

***

ظلت سندس جالسه على المقعد الوثير أمام هالة وهى تستمع إلى صوتها الدافئ المميز، طلبت هالة منها أن تغمض عينيها وتركز بشدة فيما ستقوله، قالت هالة:

«الآن يا سندس.. أنتِ وحدك وسط الناس تقفين وتنتظرين قدوم خالد، هو فقط الذي يستطيع أن ينقذك ممن حولك.. الآن ترين نوح قادم نحوك وهو مسرع، أتركيه وأرحلي.. سترين والدك الآن ..لا تقتربي منه أرفعي يدك اليه بالتحية وارحلي. خالد ينتظرك سترحلون إلى مكان أفضل ..اتركي كل أحبائك وأصدقاءك وزملائك .. أتركي كل شيء خلفك.. هذا العالم لا يوجد فيه غير خالد فقط.. ستقابلين الآن شابًا أسمر اللون وطويلًا.. تعرفي عليه عن قرب فبينكما صلة دم وأكثر.. تقربي منه وأعطه كل ما يرغب»

ذهبت سندس إلى الطريق الذي رسمه عقلها ولا يعرف أحدًا متى ستعود

فسيطرة العقول أقوي بكثير من سيطرة الدبابات والأسلحة، بالعقول يصنع الدمار.. وبالعقول أيضا يحدث الإعمار.





## - 25 -

لم يعلن اليوم عن قدوم الصباح حتى أحدث هاتف حسن جلبة في غرفته، كان غارقًا في نوم عميق بعد يوم شاق، بعد أن وافق الدكتور شوقي على عودته إلى المصلحة على مسئوليته الشخصية والعمل على تقرير القتيلة حنان، عاد حسن إلى البيت منهمكا، جلس مع أمه قليلا ثم دخل إلى غرفته لينام، حاول الاتصال بسندس ليطمئن عليها ولكنها لم تجبه، فنام في مكانه دون أن يبدل ملابسه.

لم يشعر بالوقت الذي مرَ على نومه حين فتح عينيه ونظر إلى الهاتف، فوجد اسم حاتم يملأ الشاشة، نهض من مكانه يحاول أن يستعيد وعيه، استعد لسماع خبر جديد في قضية حنان، إلا أنه تلقى خبرًا آخر.. قال له حاتم:

- لقد وجدنا نوح

لم يصدق حسن ما سمعه فسأله:

- وجدتم نوحًا؟ أين؟

قال حاتم:

- تلقيت بلاغ من مديرية جنوب سيناء بأنهم وجدوه

صمت حاتم قليلا قبل أن يردف قائلًا :

- ولكن هناك أمرًا ما

- هل هو بخير؟

قال حاتم:

- وجدنا جثته.. آسف أن أبلغك أننا وجدناه ميتًا .

في الغرفة الواسعة كان الأمر صعبًا للغاية عندما دخل حسن إلى غرفة التشريح ليقوم بتشريح جثة نوح وهو أحد الأشخاص المقربين له، كانت ملامح الوجه متآكلة تماما فقد ظل في البحر غارقًا أكثر من أسبوعين، كانت الغرفة قليلة الإضاءة، جلست سندس بالخارج مذهولة ولكن بدت متماسكة، كان تأثير جلسات العلاج واضحًا في تماسكها.

كان الوقت صعبًا على الجميع، أصرت سندس أن تحضر عملية التشريح ولكن لمراعاة ظروفها الصحية منعها حسن ودكتور شوقي من ذلك، أبدى كمال تعاطفًا مع سندس وواساها وجلس بالقرب منها يتابع الحدث عن كثب، طلب من حسن أن يشاركه التشريح إلا أن سندس رفضت تمامًا هذا الطلب، بعد فترة حضر حاتم إلى المشرحة وانتظر حتى انتهى حسن من التشريح الذي ظل قرابة الساعتين، طلبت سندس من الدكتور شوقي أن ينتهي التشريح اليوم ولا يؤجل ولا يظل نوح في ثلاجة الموتى يومًا آخر، كان الأمر مرهقًا جدًا.

خرج حسن من غرفة التشريح، نظرت له سندس وعينيها غارقة في الدموع، فإذا بها تنهار وتدخل في نوبة بكاء شديدة على أثرها سقطت على الأرض فارتطم رأسها بقوة بأحد الكراسي الحديدية ونزفت، أسرعت زميلاتها يحملنها إلى إحدى الغرف وبدأن في ايقاف النزيف المتساقط من رأسها.

دخل حسن إلى مكتبه وقد بدا متأثرًا جدًا، وضع رأسه بين كفيه وطاف يتذكر كل أيامه وذكرياته مع نوح، كان الأمر صعبًا للغاية، كيف تنتهي حياته ذلك الشاب المثقف الواعي تلك النهاية من اختفاء ثم غرق؟؟

دلف حاتم إلى غرفة حسن، تنبه إليه فاعتدل في جلسته، سأله حاتم:

- في رأيك هل الحادث جنائي أم عارضي؟

تنفس حسن بقوة ثم زفر قائلًا :





- الحادث عارضي.. ملابس نوح كانت كاملة على الشاطئ، أعتقد أنه غرق نتيجة الأمواج العالية.. أما في حالة الغرق الجنائي ستكون الجثة بكامل ملابسها مع وجود بعض آثار للمقاومة أو ارتطام في جسم صلب.

- نستطيع أن نسأل أخته هل كان يتقن العوم أم لا.. أعتقد الآن أن قضية اختفائه قد حسمت اليوم.. كل ما أطلبه منك أن تكتب التقرير النهائي للتشريح حتى نغلق القضية نهائيًا.

- سيحدث عما قريب.

جاء في التقرير المبدئي الذي عرضه نوح على الدكتور شوقي أن نتيجة الوفاة كانت بسبب توقف عضلة القلب بسبب المجهود في العوم، ووجدت الجثة في حالة الزرقة الرمية، وجد ميوعة في الدم ووجد أيضا نسبة كبيرة من الملح في الجانب الأيسر من القلب، كبر حجم الرئتين وامتلائهما بالماء ووجود زبد رغوي بالمجاري الهوائية وبقع نزفية وفضية بسطحهما.



بعد وفاة نوح بشهرين، تغير كل شيء في حياة سندس، سيطر خالد عليها وعلي أمور حياتها، طلب من سلمى أن تغادر الشقة ولكن سندس رفضت ذلك، رمي خالد بطيلسانه ليعميها، طلب منها أن تسير في إجراءات صرف وثيقة التأمين بعد استخراج شهادة الوفاة، كانت سندس تحاول أن تتجنب ما يطلبه منها خالد إلا أنها كانت تخضع لطلباته، وبالفعل تقدمت بكافة الأوراق اللازمة حتى تستطيع أن تصرف مبلغ الوثيقة.

كان الأمر يحدث أمام حسن وسلمى وهما مندهشان مما تفعله سندس مع خالد، ولكن لا يد لهما في هذا كله، قالت سلمى في

إحدى المرات عندما كانت تتحدث مع حسن:

- هل يبدو الأمر طبيعيًا؟

- كل يبكي على ليلاه

لم تتوقع منه تلك الإجابة فقالت متعجبة:

- أري أن حماسك أصبح قليلًا.

رنا إليها قائلًا:

- ما زلت لا أفهم لماذا تغيرت هكذا ولماذا وصلت إلى تلك الحالة السيئة؟.

بحث كثيرا لإنقاذ زميلته وأخت صديقه، حاول أن يعرف حقيقة الأمر، استشار أحد أصدقائه المختصين في أمراض المخ وأمراض الزهايمر فقال له:

- فقدان الذاكرة نوعان إما جزئي أو كلي..ربما قد حدث أمر جلل في حياتها فرفضها العقل ونسيت ما حدث

فقال حسن:

- لقد مرت بظروف أصعب من تلك التي تمر بها ولكنها كانت متماسكة أكثر من ذلك

هزّ الطبيب كتفيه وقال:

- لابد أن أفحصها حتى أحدد التشخيص.

ولما كان هذا الأمر صعب، أنهي حسن معه المكالمة وهو يحاول جاهدا معرفة لماذا وصلت لتلك الحالة.

كان المستفيد الأول من تلك الحالة هو خالد، ربما هناك خطة يجب أن ينفذها حتى يستولي على كل المال الذي يريده، فكر كثيرًا أن يسحب أتفاقه مع عدنان وديدا ولكن شهوة المال كانت تسيطر عليه في كل مرة، لم يعد يفكر في سندس على أنها زوجة المستقبل بل كان يذهب تفكيره في اتجاه أنها أصبحت رقمًا يتجاوز المليون جنيه،





لا حب في زمن الأموال، هكذا كان يلقي على مسامع أصدقاءه في جلسات البوكر، ولما انقضى الأمر، تأكد عنده هذا المبدأ وسعى لتحقيق ما يريده.

اشتاقت سلمى إلى جنتهما، فقررت أن تذهب إلى الحديقة التي كانا يجلسان فيها، أخذ تقلب في هاتفها الخلوي تستعرض بعض الصور التي جمعتهما سويا، كانت ترتدي قميصًا أسود وتنورة سوداء حزنا على فراق الحبيب، تذكرت اللوحات التي رسمها نوح والتي كان يعرضها عليها عندما ينتهي من رسمها.

جلست تقرأ في أحد كتب أشعار لنزار قباني حين رن هاتفها معلنا عن وصول رسالة عبر موقع فيس بوك، التقطت الهاتف من حقيبتها وبدأت في استعراض الرسالة، كانت مرسلة من حساب مجهول، سطرت الكلمات بعينيها وهي تحدق في كل حرف مكتوب، أسرعت لمعرفة من هو صاحب الحساب ولكنها لم تجد أي معلومة عنه.

***

قالت له سندس وهي تعلق بصرها على الطريق:

- هل اقتربنا من الوصول

نظر لها خالد وأمسك يدها قائلًا:

- نعم يا حبيبتي

وقف بسيارته أمام أحد الكافيهات، ترجلا حتى دلفا إلى المكان، تأملت سندس الكافيه وهي تستعرض ديكوراته، جاءت إلى هنا على مضض بعد أن ألح عليها خالد وسلمى أن تخرج من وحدتها التي فرضتها على نفسها داخل غرفتها، وعدها خالد أن هناك مفاجأة تنتظرها.

كان كلا من ديدا وعدنان يجلسان على الطاولة الكبيرة الموجودة







في ركن بعيد، استقبلا سندس بترحاب، حاول خالد أن يذكرها بهما ولكنها لم تتذكر أنها قابلتهما من قبل، لم يتعجب ديدا من عدم قدرتها علي التذكر، أخذ خالد مهمة التعارف بينهم وقدم عدنان على أنه رجل أعمال من أصل مغربي يقيم في فرنسا ويعمل معه في شركة الإعلانات، تغاضي ديدا عن تلك المعلومة الخاطئة والتي ذكر فيها خالد أنه مازال يعمل في الشركة، بعد أن أنتهي من عدنان مدت سندس يدها لتصافحه، نظر خالد إلى ديدا الذي هزّ رأسه في إشارة منه ليبدأ بالحديث كما اتفقا، قال خالد:

- مسيو ضياء بهي الدين نوح

حدقته سندس وعادت ببصرها إلى ديدا تتأمل ملامحه قالت:

- بهي الدين نوح؟؟!!

فقال خالد:

- نعم يا سندس.. ضياء أخاكِ

# - 26 -

بعد أن هاتف حاتم عز الدين وأخبره على ما سيقدم عليه، أتجه حسن إلى منزل عائلة القتيلة، جلس على المقهي المقابل للبيت، تتبع كل من دخل وخرج من أفراد العائلة، ما لفت نظره أنهم يتعايشون مع أمر مقتلها على أنه لم يكن، بعد أن رحل كل من في البيت، تأكد حسن أن الأم مازالت بمفردها بالداخل، تقدم وتجاوز مدخل العمارة، كانت قديمة والجدران من الطوب الأحمر الغير مطلي، صعد إلى الدور الثاني وطرق الباب بعد أن سأل القهوجي عن الشقة، فتحت له الأم الباب وقد بدت امرأة سقيمة، حدقته وسألته من يكون فأجبها أنه صحفي ويريد كتابة تحقيق عن مقتل ابنتها، اعترضت الام بشدة وأصرت أن ينصرف إلا أنه اقنعها أنه سيكتب عنها في الجريدة دون الإشارة إلى اسمها، رضخت الأم ووافقت على مطلبه، جلسا في غرفة صغيرة كان أثاثها عبارة عن كرسين وأريكة مطلين باللون الذهبي وفي ركن الحجرة كان هناك سرير صغير ومن فوقه مكتبة صغيرة بها بعض الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية الصناعية، بالقرب من السرير كان هناك مكتب صغير عليه جهاز كمبيوتر متهالك.

جلس حسن وبدأ يستمع إلى الأم، أخذ يصور المكان بعينيه ليحفظه، حكت الأم عن علاقة بنتها المتوفية بزوجها وكيف كانت حياتهم الزوجية رتيبة ومملة وأن زوجها كان هادئ الطباع، لم ينجبا أطفالًا، بدأ يدون ما تقوله وعيناه تتأمل جهاز الكمبيوتر الذي أمامه، ذكرت الأم أن ابنتها كانت في بعض الأوقات تتمرد على وضعها مع زوجها، كانت تأتى إلى هنا غاضبة تتعارك مع شقيقها الذي كان

يرغمها على العودة إلى الزوج ولكنها ترفض ذلك وتصمم أن تظل في بيت أمها، حتى يأتي الزوج رغما عنه ويصالحها لتعود إلى بيتها مرة أخرى، كل ما كان يؤلمها أنها عاقر لا تنجب، حتي صممت في إحدى المرات أن تجري عملية الفحص لها ولزوجها، وكانت النتيجة أن عدد الحيوانات المنوية لدي الزوج قليلة جدا ولا يستطيع الإنجاب، بدأت تتمرد مرة أخرى وتتشاجر معه، رجل طيب مثله لو أنه غير ذلك لقتلها، أكدت الأم أن الزوج لا يفعل ذلك أبدا، تعجب حسن من كلام الأم وكيف تدافع عن زوج ابنتها، سألها عن ابنها الذي دائما كانت تتشاجر معه قالت الأم «هو أيضا متمرد ويرفض أن يعيش في هذا المستوى، لفترة ما عمل في أحد الفنادق في البار، رفضنا أن نأكل من ماله، تركنا بعض الوقت ثم عاد بعد أن فصلوه من العمل لعدم أمانته» تنهدت الأم وقالت:

- يبدو أنني نسيت أن أقدم لك شيئًا تشربه.

ابتسم حسن وقال:

- كوب شاي .. أشكرك يا أمي

همت الأم وقامت في اتجاهها إلى المطبخ، كان حسن يتبعها بنظراته حتى اختفت، قام واتجه إلى جهاز الكمبيوتر المتهالك، ضغط على زر التشغيل، استغرق وقت ليبدأ في تحميل البيانات، أسرع يتفحص كل الملفات التي بداخله، سمع صوت الأم من الداخل تسأله كم من ملاعق السكر المفضلة لديه فأجابها ملعقتين، بدا متوترًا بعض الشيء، إلا أنه استمر في البحث عن بعض الملفات، تحركت الأم إلى الشرفة الموجودة بالصالة فقد كان أحد زملاء ابنها ينادي عليه فردت أنه غير موجود، في كل خطوة كانت تخطوها الأم كان قلبه يرتجف، تساءل وهو يفتح أحد الملفات لماذا أقدم على تلك الخطوة، ولكن كانت ملامح حبيبته السابقة تختلط بملامح القتيلة،





وحين انتهت الأم من تقليب حبات السكر في الكوب كان قد لاحظ أحد الملفات المخفية وبداخله عدد من الملفات، وجد ملف ظهر قبل أن يفتح أن بداخله صور عاريه والملف الآخر كان لأفلام جنسية، أخذ يقلب مسرعًا داخل ملف الصور حتى أوقفته إحدى الصور.

بدت سندس عصبية وأخذت كعادتها تذهب وتجيء في الصالة، بينما ظلت سلمى صامتة وأخذ حسن يتأملها، كل ما كان يشغل تفكيرها كيف ظهر لها أخ دون سابق علم أو إنذار، كيف أخفي والدها عنها تلك الحقيقة، شعرت بالإرهاق فجلست أمام حسن وسلمى تحدقهما وهما صامتان لا يتحدثان، قالت وهي تمسك رأسها من أثر الألم مكان الإصابة:

- هل لديك تفسير لما قلته يا حسن؟

نظر لها وهو يفرك يداه:

- قبل أن تسألي عن التفسير.. لابد وأن تسأليه عن الإثبات.

قالت:

- أي إثبات؟

فقالت سلمى:

- إثبات نسبه لكِ

فقالت سندس:

- هل تعتقد أنه لم يقدم لي ما يثبت أنه أخي وهو على علم أننا ستقابل؟

قالت سلمى وهي تعتدل في جلستها:

- ماذا قدم اليك؟

قالت سندس:

- أرسل لي من مكتب محاميه الأوراق التي تثبت نسبه إلينا، منها تحليل DNA وصورة من عقد قران أمه وصورة من شهادة ميلاد مغربية.



قال حسن:

- لابد أن نتأكد من صحة تلك الأوراق

قالت سلمى وهي تهم بالذهاب إلى الداخل:

- لقد هاتفها وطلب حقه في ميراث أبيه وأخيه.

نظر لها حسن وهي تدخل إلى الردهة المؤدية إلى الغرفة ثم عاد ببصره إلى سندس:

- هذا هو مراده

قالت سندس وكأنها تذكرت شيئًا:

- الغريب في الأمر أن خالد هو الوسيط الذي جمعنا سويا. قال لي إننا تقابلنا ذات مرة ولكني لا أتذكر شيئا.

كانت سلمى قد عادت وهي تحمل كؤوس بداخلها مشروب الكوكاكولا قدمت لحسن أحد الكؤوس قالت وهي تضع باقي الكؤوس على الطاولة:

- هي لا تتذكر حادثة الظرف وبصمات خالد

حدقتها سندس:

- ماذا تقصدين بذلك؟

مسح حسن جبينه وقال:

- قبل اختفاء نوح طلبت مني أن أفحص أحد الأظرف التي كانت بداخله بعض الأوراق التي تخص والدك، ووجدت بصمات خالد على الظرف

هزّت رأسها وقالت:

- أنا لا أفهم ما تقوله

فقالت سلمى:

- خالد شخص غير أمين .. أرجوكي أنهي تلك العلاقة

تغيرت ملامح سندس ومسكت رأسها مرة أخرى، أشار حسن

إلى سلمى أن تصمت ولا تتحدث في شيء، أخذ دفت الحوار إلى الأوراق وديدا قائلًا :

– لابد وأن نعرف أين قام بعمل التحليل

قالت سندس وقد بدا عليها الإرهاق والتعب:

– سلمى أذهبي إلى غرفتي ستجدي ملف داخل درج الكيمود أعطيه لحسن.

عادت سلمى تحمل الملف وقدمته إلى حسن التقطته وهو يقوم ثم قال:

– لا بد من استشارة محام ذي خبرة.. وقبل ذلك لابد وأن نتأكد من نسبه إليكِ

تساءلت سندس وبدا أنها شاردة الذهن:

– كيف ستتأكد؟

ابتسم حسن وقال:

– هذه مهنتنا..

لم ينتظر حسن كثيرا، ففي اليوم التالي، تتبع خطوات ديدا منذ أن رحل من مقر الشركة حتى دخوله أحد الكافيهات بمنطقة المقطم، دخل حسن في أثره وجلس في طاولة بالقرب منه، أستغرق الأمر ساعتين حتى رحل ديدا ومن معه، اقترب حسن من الطاولة والتقط زجاجة مياه معدنية كان يشرب منها ديدا ثم ذهب.

***

قرع خالد كأسه بكأس عدنان وهو يترنح سكران في المكتب، كان ديدا سعيدا بعد أن قطع شوط طويل في اقتناص حقه، قرر وهو يناجي نفسه أن يؤجل فرحته حتى يحصل على ما سيعوضه عن السنين التي قضاها بعيد عن والده وعن ماله، كم من الأيام مرتّ سندس ونوح



ينامان على فراش من حرير وهو ينام على قش في مزرعة العنب، نظر إلى خالد الذي كان يغني بصوت قبيح وكلمات غير مرتبه أسّر حديثه قائلًا «باع كل شيء من أجل حفنة جنيهات.. باع زوجته وعمله ونفسه ولم يبق غير جسد خوار»

أخرج ديدا هاتفه الخلوي وبدأ يبحث في الأسماء عن اسم يريده، وجده واتصل به، تأخر الطرف الاخر في الرد ثم عاد واتصل مرة أخرى فأجابه، قال ديدا:

- أشكرك على مساعدتك لي

ابتسم الطرف الآخر وقال:

- لا تشكرني على ما فعلته من أجلك كنت أود أن يعود الحق لأصحابه

ضحك ديدا وقال:

- ولكن رد الحقوق لا يقابله مال

- كل شيء وله ثمن حتى الحق.. ولكنه باهظ جدا

صمت ديدا لبرهه ثم قال:

- على الرغم من أن وظيفتك الأساسية هي إظهار الحق ؛ ولكن استطاعت أن تثمنه لي وتحصل على مقابل

- حتى الآن لم أحصل على كامل أجري

- عما قريب، عندما أسترد كامل حقي

أنهي المكالمة ثم أشار إلى خالد ليقترب منه، أسرع خالد وجلس أمامه ووضع الكأس الذي في يده على سطح المكتب، كان يحاول جاهدًا أن تبقى عيناه مفتوحتين، اقترب إليه ديدا بجزعه وقال هامسًا:

- أحسنت صنعًا

رفع خالد يداه إلى الأعلى وقال بلسان ثقيل:

- لقد أوفيت بعهدي





ضحك عدنان وقال:

- عهدا غير مكتمل

ألتفت اليه خالد وقال:

- لماذا تقول هذا يا صديقي؟

فقال ديدا:

- أنا من نفذ الجزء الأكبر من الخطة وأنت كل ما فعلته أنك هيأت سندس لمعرفة الحقيقة.

قال خالد:

- المهم أنك تسير على الطريق الصحيح

قال ديدا:

- هل تعرف الطريق الصحيح حقا؟ أن أمثالك قد ضلوا طريقهم منذ أن تعلقت أرواحهم بشهواتهم، لا تتحدث معي عن الصواب والخطأ لأنك بِركة موحلة من الأخطاء.

ابتسم خالد وهو يجاهد لفتح عينيه:

- ما الداعي لتلك المحاضرة؟. دعنا نتحدث عن الجزء الهام.. متى ستعطينني ما تبقى من مالي؟

- قريبا.. قريبًا جدًا

اقترب منه عدنان وربت على كتفه قائلًا :

- أريدك أن تستمر في خطتك مع سندس

أومأ رأسه قائلًا :

- عندما نحصل على المال.. سأطلقها

قال ديدا:

- ليست قضيتنا.. افعل ما يأمرك به عدنان ولا تكثر في الحديث .

***





تتصاعد أنفاسه ليبقي حيا، وسط عتمة الليل يجاهد لكي يلحق بالأحياء ولا يدخل عالم الأموات، يتقدم زاحفا وسط كثبان رملية عالية تنتهي ببحيرة لا يعلم أن كانت عذبة أم مالحة، النجوم في السماء شاهدة على ما يفعل، المحاولات لا تنتهي والنزيف يستمر، رائحة الدم تثيره شهوة الافتراس لدى الثعالب، هو يكافح ضد كل شيء حوله يجعله يموت، حفيف أوراق الشجر يعطيه القوة ليبقي مستيقظا، يسمع صوتا يقول» أسرع.. أقبل ولا تدبر»، قدماه لا تسعفه على الوقوف، يشعر أن الأرض تزلزلت من تحته، يتمنى لو كان هذا حلم، تحسس الرمال بأنامله، بدت رطبه، هو يقترب من الحياة، وصدى صوت ينادي من بعيد «نوح»



- 27 -

# محكمة الأسرة

كانت خطوات ديدا لأثبات حقه قفزات عالية، دفع حسن سندس لتتقدم برفع دعوة قضية تتهم ديدا تزور أوراق نسبه إليها، ديدا كان على يقين أن سندس ستقدم على تلك الخطوة فسبقها وقدم دعوى قضائية ليثبت حقه في ميراث أبيه وأخيه، حاول خالد بشتى الطرق أن تعدل سندس عن تلك الخطوة وقدم أوراق لمحامي ديدا يثبت أن سندس غير كاملة الأهلية بسبب فقدانها للذاكرة وأدرج أسم الدكتور هالة كشاهد على ما قاله.

داخل القاعة الصغيرة للمحكمة جلسوا جميعًا ينتظرون حيثيات الحكم، ظهر كمال رمزي داخل القاعة مما أثار اندهاش حسن وسندس، جلس ليتابع تفاصيل ما سيحدث، الوقت لا يمر، ومازالت أعضاء المحكمة يبحثون في القضية، المحاميان يترافعان ويحاول كل منهما إثبات أن موكله هو الذي على حق، كان تأثير حسن أقوي من خالد، فقد أقنعها أن تفعل ذلك ولا تنساق وراء كلام زوجها، ظل خالد محدقًا إلى حسن بغضب، اقترب ديدا من سندس وقال لها مبتسمًا:

- أختي العزيزة.. أرجو أن ينتهي هذا الهراء ونعود أخوة سالمين

حدجته سندس وقالت:

- لا أخوة بيننا يا هذا.

أخرج من جيب ستره صورة قديمة وأعطاها اياها وقال:

- هذا والدنا يقف بجوار أمي في يوم الزفاف.. كم كانت أمي جميلة.
نظرة سندس إلى الصورة وتذكرتها، فتلك هي الصورة التي رأتها على الحساب الشخصي لنوح، الآن جاءت الإجابة على سؤالها من تكون تلك السيدة، أردف ديدا قائلًا:
- انظري إلى ملامحها.. امرأة مغربية طيبة أحبت رجلا مصريا بجنون.. حملت منه ولدا.. وتركها لتضعه في بلد آخر.. وأسرع ليتزوج بأخرى وينجب منها بنت وولد.. ويتركهما ينعما في خيره.. أتعرفين.. بعد موته صدموا عندما علموا أن والدهم كان شريكا في مستشفى تبيع الأطفال والأعضاء البشرية..
عاد بظهر إلى الخلف وأردف قائلًا:
يا لها من صدمة.. أعلم أنك لا تتذكري الأوراق التي وجدتها على باب شقتك.. أحتفظ بنسخة منها.
أخرج من جيبه ظرفًا شبيهًا بالظرف التي وجدته سندس فيما مضي ومد يده ليعطيها إياه، التقطته سندس وفتحت محتوياته، بدأت بعض الأحداث تعود إلى ذاكرتها كوميض يجتاح الذاكرة، شعرت بألم يغزو رأسها، كان حسن مشغولا بما يقوله المحاميان عندما لمح ديدا يجلس خلف سندس ويبتسم وهي تمسك رأسها وقد بدا عليها التعب، أسرع اليها حسن وأخرج من جيبه علبة دوا وأعطها لسندس لتسكن الألم الذي ألم بها، كان ديدا جالسا ممدد ذراعيه على ظهر الكرسي الجالس عليه رافعا رأسه إلى سقف القاعة مبتسما، نظر له حسن وقال:
- في الوقت المناسب.. سيقع عليك سقف قوي ليصرعك
نظر له ديدا وما زال مبتسمًا:
- أعذرك .. فالحب يصنع أكثر من ذلك.
أنهي كل من المحامين مرافعتهما، وجلس الجميع ينتظر الحكم،



أخذ القاضي يقلب في الأوراق التي أمامه، ثم نظر إلى الجالسين، كانت سندس تتابع بترقب ممزوجا بخوف، كانت تبلع ريقها في انتظار ما سيقوله القاضي، أمسكت يد حسن، أحس ببرودة يدها فوضع كفه الآخر على يدها ليحتضنها، قال القاضي بصوت جهور:

- حكمت المحكمة بثبوت نسب المدعو ضياء بهي الدين نوح وإثبات حقه في ميراث والده بهي الدين نوح إبراهيم وأخيه نوح بهي الدين نوح أبراهيم.. رفعت الجلسة

طفر الدمع من عيني سندس، بينما ظل ديدا مبتسمًا ينظر لها ولحسن، اقترب عدنان وخالد وصافحاه، ظلت سندس جالسه وبجوارها حسن، أمسكت رأسها مجددًا وبدأ الألم يزيد، دنا منها خالد ومسك يدها لتقوم وتخرج معه، نزعت يدها بشدة وهي تحدقه وعينيها غارقة في الدموع، عاد خالد إلى ديدا مرة أخرى، بينما هي خرجت من القاعة متكئة على ذراع حسن حتى وصلا إلى السيارة، ثم انطلقا.

***

نائمة على سريرها تحتضن ساقيها، تبكي ووميض الذكريات يداعب عقلها، نوح ذهب في رحلة هكذا أخبروها ثم عاد جثة هامدة، وسلمى تقيم معها منذ أشهر مضت، حسن مازال يبحث عن قاتل شبيهة حبيبته السابقة، ثم دخل في خصومة مع والدها القاضي، كمال رمزي يقلب ميزان العدل لصالح من يدفع أكثر، رأته في قاعة المحكمة يصافح ديدا وعدنان، لم تعد قادرة على فهم ما يدور حولها، من معها ومن عليها، كم تفتقده نوح الآن، لو يعلم ما حدث ما كان ليصمت ويقف متفرجا، كان يتحرك كطوفان يضرب الأرض ومن عليها، عندما رأت خالد في قاعة المحكمة وما يفعله، أيقنت أن ما

قاله حسن وسلمى كان صحيحا.

مسحت دموعها واعتدلت جالسه على السرير تضم ساقيها إلى صدرها، وكأنها تحتمي بنفسها من شر ما صنعه أقرب الناس إليها، أو كما ظنت أنه الأقرب، هكذا نحكم على من حولنا أنهم الأقرب الينا دون أن ندخل معهم في مواقف تثبت عكس ذلك.

جلست لتعيد ترتيب أوراقها، أول قرار اتخذته أنها ستنهي علاقتها بخالد، ستطلب منه الانفصال، حمدت الله أنها لم تتم الزواج وأكتفت بعقد القران، ظهر خالد على حقيقته التي كان يخفيها خلف قناع الحب والاهتمام، ظهر أنه أناني لا يحب إلا المال وشهواته.

كانت ستشعر بالاطمئنان لو أن نوح كان بجوارها، لكن عوضها الله بحسن وسلمى، قررت أنها ستتوقف عن الذهاب إلى عيادة الدكتورة هالة، شعرت أن هناك أمرا ما خفي لا تعرفه، فمنذ أن ذهبت إلى هناك وأصبحت لا تتذكر الأحداث، ولولا وجود سلمى بجوارها ما كانت ستعرف ما الذي حدث، هي مازالت تجاهد لكي تتذكر، بعد أن سقطت في المشرحة وأصيبت في رأسها، أصبحت الذكريات تومض في عقلها ولكن لا تتذكر كل ما حدث.

كانت سلمى في المطبخ تعد مشروبها المفضل عندما رن جرس الباب ليعلن عن قدوم أحد الأشخاص، قطع ذلك الصوت استرسال سندس للأفكار، اتجهت سلمى إلى الباب وفتحته، لم تجد أحدا، ووجدت صندوق صغير أسفل الباب مغلف ومعلق عليه ببطاقة مكتوب بداخلها «الي سندس»، حملت سلمى الصندوق واتجهت إلى غرفة سندس مترددة، فهي تعلم أنها نائمة الآن، إلا أن سندس فتحت باب الغرفة بينما كانت سلمى تستدير إلى الخلف.

حملت سندس الصندوق واتجهت إلى الصالة ووضعته على المنضدة بينما جلست سلمى تحدق فيه لتعرف ما الذي يحويه

الصندوق، كانت أنفاسها تتصاعد وهي تفتح الصندوق في أنتظار المفاجأة، تساءلت من الذي أرسل هذا الي؟، خلعت عنه الغطاء البلاستيكي، ونزعت منه الشريط اللاصق، وقفت سلمى واقتربت لتنظر ما الذي بداخله، مدت سندس يدها لتأخذ ما يحتويه الصندوق، أحست بورقة سميكة ملفوفة عدة مرات، أخرجتها من مكانها، كانت عبارة عن ورقة رسم، وضعتها على المنضدة ثم أنحت الصندوق جانبا، بسطت الورقة على الطاولة، كانت لوحة مرسوم فيها مركب خشبي صغير في وسط البحر يتوسطه شاب في العشرين من عمره يحاول أن يستعيد توازنه الذي أختل بسبب الأمواج العاتية، الأمطار تهبط بقوة وفي الخلف رُسم القمر مكتملا بعد أن احتجب جزء منه خلف جبل وفي أسفلها كُتب الطوفان.

***

قال حسن:

- كان لابد من مناورة وقد أتت ثمارها

كان حاتم يشعل سيجارته ويلتقط كوب الشاي عندما قال:

- أشكرك بشده على مساعدتك.. ولكن لابد من إذن نيابة للتفتيش.. وربما هذا سيأخذ وقت

- لا وقت لدينا

أخذ حاتم ينفث دخان سيجارته وهو يقول:

- هل تحققت من الصورة التي رأيتها؟

كان حسن يتذكر الصورة عندما قال:

- كانت الصورة غير ثابته ولكن ملامح الغرفة التي التقطت بها الصورة واضحه

قطب حاتم جبينه قائلًا :

- لا أفهم ما تقوله.
زفر حسن قائلًا :
- الصورة كانت لحنان ولكن ملامحها غير واضحت تمام ولكني لاحظت صورة الدولاب والسرير بالغرفة وهي متطابقة مع الصورة التي وجدتها في كارت الذاكرة.
سأله حاتم كما لو كان تحقيقا:
- هل وجدت صور أخرى؟
أجابه حسن:
- كنت متوترا بعض الشيء.. كانت الأم في المطبخ وفي أي وقت كانت ستدخل إلى الغرفة..كل ما فعلته أنني عندما رأيت تلك الصورة أغلقت الجهاز ورجعت إلى مكانى
- ولكن عندما حققنا في الحادث علمنا أن أخاها كان مع أصدقائه
قاطعه حسن قائلًا :
- لابد وأن تعيد التحقيق معه ثانية.. وأيضا تحصل على شهادة شهود العيان من جيران القتيلة.
- أنت تتحدث وكأنه هو القاتل.
- لقد أخبرتك من قبل أن تتبع الصورة
هزَ حاتم رأسه ثم دفن سيجارته في مطفأة السجائر وقال:
- سأعيد التحقيق في القضية
- أرجو أن تتحفظ على جهاز الكمبيوتر في أسرع وقت ممكن.



## الفصل الثالث

## حسن

صحت وأنا أحذر سندس من تسلق التبة وهي في شهورها الأخيرة من الحمل، عادت مرة أخرى إلى الشاطئ لتداعب المياه بقدميها، كنت لازلت أسجل كلماتي، استكملت حديثي قائلًا «ماذا الذي يبقي حين يفقد المرء منا عقله، لا أقصد هنا الجنون أو أي مرض نفسي ولكن الذي أقصده أن تفقد القدرة على التميز بين الصواب والخطأ، أن تسير خلف الأخر كقطيع من الخرفان تنفذ ما يملي عليك، أن تمحي من ذاكرتك أيامك وأحلامك في مقابل أن ترضي طرف يدعي أنه هو الصواب؟ وما بالك إذا كان هذا الطرف هو من أقرب الناس اليك، وهو الذي يقودك إلى طريق التغيب والتيه، هل أمنت لكل من حولك؟ هل تأكدت أن أقرب الناس اليك صالح ليكون في تلك المكانة؟ قد يقدم على فعل يصل إلى حد الموت، لا تتعجب لما أقوله فتلك هي الحياة الأولي التى بدأت على الأرض، ولكل نبي أختاره الله اختبار في أقرب الناس اليه، فقد غرق ابن نوح وعصي ابيه وأوي إلى حبل ليعصمه من الغرق وقد كان هذا الولد هو عمل غير صالح لنبي الله.

تنهدت قليلا وأنا أتابع سندس ثم أكلمت قائلًا «أشعر أن كلامي اتخذ طريق الموعظة لكن يا صغيري تلك الأسئلة تجول في خاطري وما حدث لي في الأيام الماضية جعلني أفكر بتلك الطريقة .

***





## - 28 -

بجوار حسن في السيارة كانت سندس جالسة تقص عليه ما وجدته في الصندوق، كانت سلمى تجلس في الخلف تستمع إلى ما تقوله سندس وتتذكر ما حدث، ظل حسن يفكر في ما قالته محاولا ايجاد سبب لأرسال تلك اللوحة إلى سندس في هذا التوقيت، بعد أن أنهت حديثها نظر لها قائلًا :

- نوح توفاه الله يا سندس

ثم نظر إلى سلمى في المرآه الأمامية وسألها قائلًا :

- ما رأيك يا سلمى ؟

قالت:

- أشعر أن هناك شخصا ما أرسل تلك اللوحة، ربما أحدا قد وجدها وأرسلها إلينا

تعجبت سندس من حديثها وقالت:

- وكيف عرف العنوان يا عبقرية؟

- أنا أخمن يا سلمى

قال حسن:

- ربما كلامك صحيح يا سلمى، فقد عرفت من الضابط حاتم عز الدين أنهم وجدوا بعض متعلقات نوح عند أحد أصدقاءه ويدعي جلال التايب.. ربما قد أرسل اليكم تلك اللوحة

أضافة سلمى قائله:

- قبل سفر نوح رحمة الله عليه.. قال لي أنه يرغب في رسم لوحة، وقد وصف لي ما رأيناه يا سندس





صمتت سندس قليلا، كانت تتذكر بدايات نوح في الرسم وكيف كان مميزا في هذا المجال، تذكرت حين ضغطت عليه ليعمل مع خالد في الشركة وكان معترضا على ذلك الأمر، لمعت عينيها بالدموع، وندمت أنها فعلت ذلك وندمت أيضا على زواجها من خالد، كيف يفعل رجل بزوجته هذا، شعرت أن خالد له يد كبيرة في اختفاء نوح وبدأت تدمج الخيوط ببعضها البعض، كان بصرها معلق على أحرف السيارات المارة أمامها عندما سمعت صوت سلمى تقول:

- يا ستار يا الله

نظرت إلى الجهة المقابلة للطريق، فوجدت حادث سيارة وقد ارتطمت بدراجة بخارية، كان سائق الدراجة نائما على ظهر والدماء تخرج من ساقه ولا يستطيع التحرك، لم يتردد حسن في الوقوف بسيارته وأسرعت سندس لتعبر الطريق وتجري الإسعافات الأولية، عبر حسن الطريق في أثارها وهو يمسك بهاتفه المحمول ويتصل بالإسعاف، تقدمت سندس ونزعت يد أحد المارة الذي حاول أن يرفعه، صرخت فيه قائلة:

- ألا تحركه نهائيًا قد يصاب بشلل.. أنا طبيبة

فزع الناس عندما سمعوا ما قالته، اقتربت منه وربتت على كتفه، كان الرجل لا يستوعب ما يجري حوله، قالت له:

- يا أستاذ ..أنا طبيبة هل لي أن أساعدك؟

أومأ الرجل برأسه، قالت سندس لحسن:

- هل اتصلت بالإسعاف؟

فقال:

- نعم

نظرت إلى أحد الواقفين وطلبت منه أن يخلع شاله ويعطيها إياه، وطلبت من رجل آخر أن يحضر خشبة كبيرة أو ورق كارتون مقوي،

أسرع الرجل إلى أحد الأكشاك المتواجدة في محيط الحادث وأحضر صندوقًا كارتونيًا لأحد منتجات البطاطس، أعطاها إياه، مزقته وصنعت منه جبيرة وأحاطت الجبيرة بالشال، بعد ساعة حضرت سيارة الإسعاف وأخبرتهم بحالته وأنه قد يحتاج إلى عملية جراحية في ساقه.

عادت إلى السيارة ومسحت آثار الدماء من يدها، بعد وقت قصير كان حسن يقترب بسيارته من العمارة التي تسكن فيها سندس وسلمى، تذكرت سندس أمرًا ما فقالت لحسن:

- عندما كان نوح في العاشرة من عمره.. حدث له حادث دراجة.. كُسر ساقه.. ظل يصرخ ..أسرعت إليه وأجريت له الإسعافات الأولية مثلما فعلت مع ذلك الرجل.. أجريت له عملية جراحية وتم تركيب شريحة طبية.

دمعت عين سلمى عندما قصت سندس تلك الواقعة، فقد حكى لها نوح عن تلك الحادثة وكم كانت مؤلمة له، نظرت سندس إلى حسن الذي ظل صامتًا يفكر في أمر ما وقالت:

- ألم تلاحظ هذه الإصابة في ساق نوح وأنت...

صمتت لم تستطع أن تكمل حديثها، أدرك حسن ما كانت ترغب في قوله، نظر إليها وقال:

- لا داعي لتلك الذكريات المؤلمة .

- ولكنك لم تجب على سؤالي .

ظل حسن مكي صامتًا ولم يجب، نظر إلى سلمى في المرآة وبدا أنها ترغب في معرفة إجابة السؤال، أردفت سندس متسائلة في غضب:

- حسن.. هل وجدت آثار تلك الإصابة في جثة نوح .

- لا أتذكر يا سندس .

- حسن أريد أن أطلع على التقرير.





في مكتب المحامِ الخاص لديدا وفي حضور المحامِي الخاص لسندس وأيضا بحضور حسن مكي، تم عرض أوراق الحسابات البنكية لوالد سندس، وأوراق الأصول الثابتة، أيضا أرسلت صورة من وثيقة تأمين الحياة الخاصة بنوح، كان الوضع أشبه بحلم بالنسبة لسندس، رفضت سلمى حضور تلك الجلسة فهي لا تعترف بالحكم الذي أصدرته المحكمة ولكن نسب ديدا أصبح أمرًا واقعيًا.

ساعتان أعيد فيهما توزيع التركة من أموال وعقارات، كُتبت قائمة بحق كل واحد منهم، شعر ديدا بانتصار وبأن حقه وحق أمه قد عاد إليهما مرة أخرى، بدت سندس متماسكة إلا أنها لم تستطع أن تكمل للآخر، وبالأخص عندما طلب منها المحامي أن توقع على القائمة، لم تستطع أن تتماسك وطلبت أن تدخل دورة المياه جلست بالداخل منهارة تبكي، تأخرت عن العودة إليهم مرة أخرى، فأرسل اليها حسن رسالة نصية يخبرها بالعودة إليهم، عادت بعد أن مسحت آثار الدموع وأظهرت القوة أمام ديدا الذي ظل مبتسما طوال الوقت، مد المحامي يده بالقلم لكي تمضي على ورقة الاتفاق، ترددت مرة أخرى، كان حسن مشغولًا بهاتفه معلقًا بصره عليه، نظرت له سندس تستغيث به إلا أن الأمر أصبح واقعًا لا مفر منه، تريد معجزة حتى لا يتم ذلك، شعرت باختناق وضيق تنفس، فطلبت أن تخرج قليلًا إلى الشرفة، أظهر ديدا حنقه وقال لها:

- لماذا تماطلين.. فليعد الحق إلى أصحابه الآن .

نظرت له شذرًا وتحركت باتجاه الشرفة، كان حسن قد ترك هاتفه وتحرك في أثرها إلى هناك، جلست وهي تنظر له فقال:

- أعلم أن الأمر صعب للغاية.. نحن في حاجة إلى معجزة .

فتبسمت بسخرية قائلة:

- لقد انتهي زمن المعجزات .



قال حسن:

- الله قادر على كل شيء.

رن هاتفها المحمول، كان الرقم غير مسجل بقائمة الأسماء، أجابته بصوت مرهق قائلة:

- ألو.. من معي.

تردد المتصل في الإجابة، أعادت عليه السؤال مرة أخرى، فسمعت زفير أنفاسه ثم قال:

- سندس.. أنا نوح.

حدقت إلى حسن ثم فقدت وعيها.

***

ظل نوح طوال الليل جالسًا بجوار أخته ليطمئن عليها، بعد الفجر بقليل أغمض عينيه، دلفت سلمى إلى الغرفة فوجدته نائمًا في مكانه، تأملت ملامحه التي تغيرت، فقد الكثير من وزنه، ما زالت بقايا ألوان تلطخ يده، وقفت أمامه لبضع ثوان قبل أن تتحرك وتخرج من الغرفة، كان قد شعر بها، فالنوم في الصحراء يجعلك تنام بعين مغلقة وأخرى مفتوحة، ناداها بصوت خفيض، عادت اليه ونظرت له باشتياق، دنت منه وجثت على ركبتيها أمامه، نظر إلى عينيها وقال:

- اشتقت إليك كثيرًا.

أغمضت عينيها ورمت جسدها داخل حضنه وبكت، بدأت سندس تتقلب على السرير فشعر أن صوتهما سيوقظها؛ فطلب من سلمى أن يخرجا إلى الصالة ويكملا حديثهما.

استيقظت سندس وبدأت تتذكر ما حدث، قامت من مضجعها في اتجاه الصالة، كانت سلمى نائمة على الأريكة ونوح جالس على الكرسي يقرأ أحد الكتب، شعر بوقع أقدامها فترك الكتاب بجواره

وعلق بصره على الردهة، ظهرت سندس ونظرت إليه ودموعها تتساقط وهي تبتسم، قام نوح مسرعا إليها وعانقها بشدة وبكي.

عند الظهيرة، كان حسن يجلس بينهم يفكر في الوضع القائم، قال بعد أن نظم أفكاره:

- لابد أن نخبر شركة التأمين أنك ما زلت على قيد الحياة.

فقال نوح:

- هذه الإجراءات ستأخذ وقتًا طويلًا.

قالت سندس لنوح:

- لماذا فعلت كلٍ هذا؟

قاطعها حسن قائلًا:

- سندس لا وقت للحكي الآن.. لقد أحضرت لكِ شيئًا مهمًا.

قالت سندس:

- ماذا أحضرت؟

أخرج من جيبه ورقة موضوعة داخل حافظة أوراق، مدّ يده وأعطاها إياها، أخذت تقرأ محتوي الورقة وبعد أن انتهت من القراءة نظرت وقالت:

- كيف فعلت ذلك؟

سألت سلمى:

- ما الذي تحتويه الورقة يا سندس؟

أشار لها نوح أن تنتظر وبدا وكأنه يعلم محتوى الورقة

قال حسن:

- تتبعت ديدا وحصلت على زجاجة مياه معدنية كان قد شرب منها، أخذت عينة من اللعاب وعدت في اليوم التالي إلى المصلحة، بدأت في إجراء تحليل الحمض النووي له، وبالمقارنة بالحمض النووي لنوح ولكِ اتضح أنه لا يوجد أي صلة قرابة بينكما.





لم تصدق كلا من سلمى وسندس ما قاله حسن، عادت سندس ببصرها إلى الورقة وقرأت التقرير مرة أخرى، دخل نوح في نوبة ضحك مما دفع سندس لكي تركله بقدمها في ساقه وهي تقول:

- علام تضحك يا داهية؟

أمسك ساقه موضع الإصابة القديمة فتذكرت سندس الحادثة فنظرت إلى حسن وقالت:

- خدعك نوح ولم يقل لك أنه مصاب ولديه شريحة في ساقه.

نظر حسن إلى نوح وهو يهزّ رأسه:

- لا أعرف لماذا لم تقل لي عن تلك الإصابة؟

سألت سلمى بفضول:

- ولكن نحن الآن في ورطة.. فنوح في الأوراق الرسمية من الأموات.

قال نوح:

- هذا أمر سهل سنجد له حلًا.

سألت سندس نوح وهي تداعب شعره:

- كيف خططت لكل ذلك؟ وكيف عرفت ما الذي ينويه ديدا أن يفعله؟

قال نوح:

- سأقص عليكِ.

## - 29 -

ماذا لو أدرك المرء منا لحظته الأخيرة؟

تتوقف تلك الإجابة على عوامل كثيرة؛ وإن كان السؤال المهم هو كيف ستكون النهاية؟ وما هي اللحظات الأخيرة قبل الفراق؟

نبحث عن الإجابات الإيمانية، إلا أن هناك إجابات أخرى قد يراها البعض، أعتقد أن تلك اللحظة لا يمكن أن يدركها من هم على قيد الحياة، أما الراقد أمامنا فهو يتابعها بعين الفرحة أو بعين الحسرة.

عندما ترك نفسه لأمواج الحياة ترفعه وتهبط به لم يضع في حسبانه تلك اللحظة التي سينتقل منها إلى عالم آخر.

مدّ يده ليلتقط أسطوانة الأغاني المفضلة لديه من تابلوه السيارة، نظر إلى المرآه متأملا ملامحه بنظرة انتصار يغمرها التفاؤل أن القادم قد يصبح أفضل بكثير، التفت إلى الخلف ليطمئن على حقيبة الأموال الراقدة منذ ساعة في نفس المكان.

أمسك مقود السيارة بيده اليسرى وباليد اليمني وضع الأسطوانة لتخرج النغمات تملأ المكان الخالي من المارة، نزع يده مكانها بعد أن وضع الأسطوانة والتقط مفتاح السيارة وأدار المحرك، طفق يفكر كيف يقضي الليلة ويحتفل بجزء من المبلغ المتفق عليه، أمسك هاتفه المحمول وهاتف صديقه وظلا يتسامران ويضحكان، أنهي المكالمة ووضع الهاتف على الكرسي بجواره، ضغط بقدمه على بدال البنزين.

لقطات بطيئة جدًا كنا نتابعها وهو يفعل كل ذلك في لحظاته الأخيرة، لم يتحرك إطار السيارة من مكانه، اقتربت دراجة بخارية لتقف بجواره، التفت إليها وبعين خائفة مشوشة راقب الطلقة وهي







تخرج من فوهة المسدس لتستقر في رأسه ليتفجر بركان من الدماء ليغطي كل شيء حوله، وبسرعة البرق التقط سائق الدراجة حقيبة الأموال من الخلف وانطلق يحتضنه طريق مظلم طويل.

كل ما تبقى من سيرته نعي في الجرنال بحجم صغير يبدأ بآية قرآنية ثم اسمه ..المخرج خالد الطماوي.

استقبلت سندس خبر وفاة خالد بكل هدوء على غير المتوقع، جلست مكانها تنظر إلى حسن ونوح وتسألهما، لماذا فعل كل هذا بي؟ ولماذا صبرت عليه فترة كبيرة؟ أجابها نوح لقد رحل وهو يستحق تلك النهاية، كان يأمل أن يرثني والآن أصبحتِ وريثته.

***

قال حسن منفعلًا:

- لابد وأن تظهر للناس الآن.

كان نوح يحاول جاهدا لفترة كبيرة أن يقنع حسن بتأجيل تلك الفكرة فقال:

- لا.. ظهوري خطر عليك.

قالت سلمى:

يا دكتور حسن من الأولي أن ننتظر حتى نري ما هي الخطوة المقبلة .

زاد انفعاله فقال:

- أي خطوة تتحدثين عنها يا سلمى لابد وأن يظهر نوح .

قالت سندس بهدوء اكتسبته من بعد المحن التي تعرضت لها:

- حسن .. أنصت لي جيدًا.. هناك كارت قوي نستطيع أن نقضي به على ضياء دون اللجوء إلى الحل الذي تقترحه.

بدا تفكير حسن مشوشًا، أردفت قائلة:





- أنت بين يديك تحليل الـــــ DNA الذي يثبت أن ضياء ليس بيننا وبينه أي صلة قرابة.. لماذا كل هذا الإصرار على ظهور نوح الآن؟

قال وهو يحاول أن يقنعهم:

- أريد أن تواجهه لابد أن تظهر له لتأخذ حقك منه.. نوح أنت لم ترتكب جُرمًا حتى تختبئ.. المواجهة يا نوح.

قالت سندس:

- حسن.. الطريق الصحيح الآن أن نقدم هذا التقرير للمحامي، ونبدأ في بطلان حكم المحكمة بالميراث.

قالت سلمى:

- غير ذلك سنضيع وقتنا.

اقترب منه نوح وجلس بجوار ووضع يده على كتفه وقال:

- لقد سرت معي طريقًا طويلًا وآنَ لنا الآن أن نستكمله لآخره.. أنا لا أوافقك الرأي.

قطع صوت هاتف حسن الكلام بينهما، كان حاتم عز الدين يتصل به، ظل حسن محدقًا إلى اسمه في الشاشة ولم يرد، وكزه نوح لينتبه ليجيب على الاتصال، كانت النغمة الأخيرة عندما قال:

- ألو.. أهلا بك.

بدا صوت حاتم سعيدًا بعض الشيء، تأمل حسن الصوت جيدا وقد بدأت ملامحه تهدأ قليلا قال حاتم:

- أسرعنا في القبض على أخو القتيلة.. فحصنا الكمبيوتر وتبين لنا أنه يحتفظ ببعض الصور العارية لأخته.. وكان من بينها الصورة التى وجدتها على كارت الذاكرة والتي نشرة على أحد المواقع الإباحية، اعترف أنه كان يشاهد هذا الموقع فرأي صورة أخته.. توجه في اليوم التالي إلى شقتها وواجهها بالصور.. أنكرت في بادئ الأمر فأصر على أن يثبت لها أنها هي فذلف إلى غرفتها وتطلع إلى الأثاث بها والتطابق

بين الصورة والحقيقة.. حتى غطاء السرير كان متطابقًا.. بكت أخته واعترفت أنها أخطأت.. توجه إلى الحمام وأفرغ مثانته ثم هاجمها من الخلف وقتلها.. وهرب.. سأرسل لك عينة البول حتى تطابقها بعينة وجدتها على المرحاض لنغلق القضية

- حمدًا لله.

قال حاتم:

- أشكرك يا دكتور حسن على مجهودك.

أخذ نفسًا عميقًا ثم زفره بقوة، تعلقت الأبصار عليه، أغمض عينيه وأخذ يتذكر ملابسات القضية بأكملها، طافت ملامحها في ذاكرته واختلطت معها ملامح حبيبته، ولأول مرة لم يعد يتذكر ملامح حبيبته بوضوح مثلما كان يحدث في الماضي، انطوت صفحة ظلت عالقة في ذهنه لسنوات كثيرة، الآن فقط شعر أنه حر، تخلص من مرض ذكراها، تساءل كم ضاع من الوقت وأنا أبكي على أطلال علاقة أخذت منه الكثير ولم تعطه شيئًا.

أول من وقعت عليه عينيه عندما فتحهما كانت سندس، التي تشوقت لتعرف ما سر المكالمة التي غيرته تمامًا هكذا، ابتسم لها وبادلته الابتسام، لاحظت سلمى ما حدث فنظرت إلى نوح الذي كان مشغولا بهاتفه، كانت نظراتها اليه تحمل معاني الحب والاشتياق، فالحبيب هو أكثر الأشخاص الذي يفهم ويشعر جيدًا بإشارات الحب التي تحوم حوله.

***

يعرف الطريق جيدًا، لا يفصل بينه وبين حقه إلا خطوات قليلة، خطط لكي تكون لحظة الاعتراف؛ وهي اللحظة التي تحتاج مواجهة، أصَر أن يذهب بمفرده، ألحت سندس عليه ألا يذهب بمفرده، لم

تستطع أن تصمد أمام إصراره، صعد إلى مقر الشركة وضغط على جرس الباب، فتح له عامل البوفيه متفاجئا بوجود نوح، سلّم على زملائه ثم تقدم نحو مكتب ديدا، طرق الباب ثم دخل، كان ديدا ممددا على الأريكة يتابع إحدى المباريات، نظر له نوح بغضب شديد، في مقابل ظل ديدا على وضعه، نظر له وقال:

- اجلس.. إنها مباراة ممتعة وشيقة

صمت نوح ولم يعقب، أردف ديدا قائلًا :

- يبدو أنك لا تحب الكرة.. ويبدو أيضا أنك لا تجيد اللعب.

ضحك نوح وقال:

- لماذا تحكم على النتيجة قبل أن يطلق الحكم صافرة النهاية؟

ظل ديدا يتابع المباراة مندمجًا مع الفرص الضائعة من الفريق الذي يشجعه، التقط الكأس وأفرغ محتواه في معدته، ثم التقط حبة فول سوداني وقال:

- أنا هنا الذي ينهي المباريات وليس حكم المباراة.. فأنا الخصم والحكم.

- هذا عدلك أنت.. أما عدل...

قاطعه ديدا وهو يغير من وضعه جالسًا:

- ماذا؟ أتتحدث عن العدل؟

أخذ يقلب كفيه وهو يقوم من مكانه متجها إلى المكتب ثم قال:

- أليس من العدل أن نعطي كل ذي حق حقه؟

- بالطبع.. ولكن أنت رغبت في أن تأخذ ما ليس لك به حق

خبط ديدا بكفه على سطح المكتب منفعلًا قائلًا :

- وهل ما فعله أبوك كان حقًا وعدلًا.. أنا هنا لكي آخذ حق أمي بعد تلك السنين.. ولم يمنعني ظهورك بعد أن زعموا أنك ميت؛ في أن آت هنا من أجل حق أمي.

ابتسم نوح ضاحكا:

- أنت تذكرني بنجل سيدنا نوح عندما توهم أن الجبل سيعصمه من الطوفان.

تشدق ديدا قائلًا :

- وفر نصائحك لنفسك.

قلب نوح كفيه وهو يقول:

- إني أري فيك العجب.. قطعت هذه المسافة ودفعت كل هذه الأموال وحاولت أن تهز صورة أبي في نظري ونظر أختي بدسك للأوراق عند باب الشقة من أجل أن تنتقم لأمك؟!

ثم سأله متعجبا:

- ما الجرُم الذي ارتكبه أبي ليجعل منك شخصًا منتقمًا؟

حدجه ديدا وقال:

- من يزرع الرياح يحصد العاصفة[1]

قال نوح:

- آت ما عندك.

حام ديدا حول نوح وهو يقول:

- رأي أباك أمي في إحدى زيارته للمغرب.. تتبعها حتى تعرف عليها.. كان هناك صديق مشترك بينهما.. عاد في السنة التالية ليتزوجها بعد أن ظل لمدة عام يراسلها وتراسله.. وفي ليلة الزفاف اكتشف أبوك أن أمي.. ليست بكرًا.. كانت ترغب في أن تقول له ما حدث لها عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها.. لقد تعرضت لحادث دراجة أفقدها عذريتها.. طلب في اليوم التالي العودة إلى مصر.. ظلت معه شهرًا يعذبها ويهينها ويقتل كرامتها حتى هربت منه وعادت إلى المغرب

---

(١) مثل فرنسي

مرة أخرى، ظل خالي وراء والدك حتى طلقها، وتزوجت أمي بعد الانفصال بأربعة أشهر وأنجبتني.. ترك أمي دون أي حق .. دون أن يعوضها عن مرارة الأيام.. لم يعطها الفرصة لكي يستمع إليها لتدافع عن نفسها وتخبره الحقيقة.

قاطعه نوح قائلًا :

- كيف وصلت إلينا؟

- بعد أن مرض أباك أرسل خطابا إلى بيت خالي بالمغرب يطلب أن يري أمى بعد أن شعر بظلمه لها.. أرسل خالي لنا الخطاب إلى فرنسا ومن خلاله عرفت عنوانه وأرسلت صديقي ليجمع كل المعلومات عنه.

- ثم خططت لقتلي بعد أن علمت بأمر وثيقة التأمين.

- كنت أرغب في إعادة توزيع التركة بالعدل.. كنت أنت الصيد الثمين.. وثيقة تأمين بمبلغ كبير.. ونصيب الأخت هو الأقل.

ثم ضحك ديدا وأردف قائلًا :

- هذا هو العدل .

صفق نوح قائلًا:

- خطتك رائعة.. ولكن خطأً بسيطًا لا يصدر إلا من طماع غبي.. نسيت أن أختي دكتورة طب شرعي من السهل أن تعرف أنه لا نسب بيننا .

- بالعكس كانت طريقًا ممهدًا لكي أتعرف إلى كمال رمزي ليكتب تقريره في مقابل حفنة من الجنيهات.. مثلما فعل زوج أختك.. وقد استحق جزاءه.

ثم أكمل ديدا متسائلًا:

- وأنت أيها الصبي كيف خططت لكل هذا؟

تردد نوح في إخباره بكيفية معرفته لخطة خالد مع ديدا، إلا أن كلمة صبي دفعته ليثبت ذكاءه فقال:





- كان إصرار خالد غير طبيعي في أن أعمل معه بالشركة.. بعد تفكير قررت أن أتتبع هذا الإصرار بفضول منى.. راقبته في العمل وخارج العمل.. لم أترك ورقة بخط يده أو أي شيء إلا وقد اطلعت عليه.. كان غريبًا في بعض تصرفاته.. كان الخمر يجعله غير متزن في بعض الأوقات هنا في الشركة.. في إحدى المرات دخلت إلى غرفته وكعادتي أخذت أتطلع إلى الأوراق التي على سطح المكتب لم أجد أي شيء يلفت نظري.. هممت بالذهاب إلا أني لمحت ورقة مطبوعة على آلات الطباعة بجوار مكتبه.. فاقتربت وأخذتها.. وعدت إلى البيت. قرأتها ووجدت فيها الاتفاق الذي كان بينكم أن أعمل معه في الشركة، وجدت نفسي أحد بنود الاتفاق لكي تشاركه.. لم أفهم.. تتبعت.. البريد الإلكتروني لعدنان فوجدت صفحة على فيس بوك.. قد كنت قرأت اسمك في الميل.. فتتبعت حسابك.

ضحك سخريًا وقال:

- وكيف عرفت بأمري؟

أخرج نوح من جيبه هاتفه المحمول وأخذ يقلب في الصورة حتى وصل إلى مراده، مد يده بالهاتف ناحية ديدا وقال:

- تلك الصورة التي كانت على حسابك.

كانت صورة والده وأم ديدا التي وجدها عندما زار الشقة القديمة بحي سراي القبة

نظر له ديدا بتعجب ثم أردف نوح قائلًا :

- توصلت إلى بعض المعلومات عنك.. عرفت أنك تسكن في الحي اللاتيني فتواصلت مع أحد أصدقائي بفرنسا وأخبرني كل المعلومات عنك.

- ثم فكرت في الاختفاء وإثبات موتك

- كان لابد أن أفعل ذلك.. زاد شكي عندما عرض عليّ خالد أن

أسافر إلى أوروبا.. شعرت أن هناك أمرًا ما.. خالد يريد أن يتخلص مني ولكن لم أكن أعرف السبب الحقيقي وراء ذلك.. فكان قرار الاختفاء.. ثم تبعته خطة موتي.. التي أظهرت كل شيء على حقيقته.

(ثم ابتسم نوح وأشار إليه) .. كنت صيدًا سهلًا.

قال ديدا بغيظ:

- وهل تظن أنني سأتركك تنعم بحياتك بكل سهولة

نهض نوح واقترب من ديدا، جذبه من قميصه وقال:

- اعتصم مني .. فأنا الطوفان القادم.

***



## - 30 -

أمرت النيابة بضبط وإحضار ديدا وصديقه عدنان، كان قد سبقهم وهرب إلى فرنسا عائدًا إلى حياته الطبيعية دون أي ملاحقات جنائية، عاد ليتسكع في شوارع الحي اللاتيني ويخطط لانتقام جديد، أصبح الهدف ليس رينيه فقط ولكن دخل باستين في المعادلة معه، عاد كما كان في بداية حياته دون مال أو عمل يعتمد عليه، صمم أن تظل أمه التي زرعت كل هذا الحقد بداخله لينتقم لها في المغرب لا تغادر البلد حتى يستعيد مرة أخرى ملكه وسلطانه، كان يظن أنه سيعود منتصرا يحمله صديقه على كتفيه، لكن عدنان فعل عكس ذلك ألقاه أرضًا ورحل بهدوء، لم يستطع أن يقاوم كل محاولات التي انتهت بالفشل، حتى قرر أن النهاية لابد أن يكتبها هو بيده، ألقى بجسده في النهر مودعًا أعوامًا من الفشل والهزيمة، ألقى بجسده ليلحق بابنه وحبيبته.

دخل حسن في مشكلة كبيرة بعد أن تبين أن الجثة ليست لنوح، كان لأحمد التايب دور كبير في الإبلاغ عن الجثة، فقد كانت لأحد الأشخاص الذين غرقوا وعثر عليه أحمد في إحدى رحلاته، كانت غارقه لأيام في البحر ويبدو أن تيار المياه قد جرفها إلى منطقة نائية قريبة من مكان تواجد أحمد، جاءته الفكرة فتواصل مع نوح وأخبره بمكان تواجده، ألقيا الجثة في البحر مرة أخرى، وأبلغ أحمد الشرطة، وجدت ملابس نوح على الشاطئ وبعض من متعلقاته، كانت الملابس مدونة في محضر الاختفاء، ساعده حسن الذي كان على علم بكل ذلك فقد كان يعلم بأمر ديدا وما يدبره لنوح للاستيلاء على ميراثه.





فُتح التحقيق معه وعلى أثره قدم استقالته، بعد أسبوع من الاستقالة عيين نائب عام جديد الذي نظر إلى الشكوى التي قدمت من قبل حسن، تم القبض على كمال رمزي وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما بعد أن ثبت تلاعبه بالتقارير في بعض القضايا، أما حسن فقد حكم عليه بالسجن لمدة عام مع إيقاف التنفيذ، كانت قضية حنان رأفت شفيعة له في ذلك ومع تدخل بعض القيادات في القرار.

ارتدت سندس فستانًا قصيرًا بلون سماوي غاية في البساطة، تقدم نوح في حلة سوداء لتتأبط سلمى ذراعه، ارتدت فستانًا ذهبيًا بينما ارتدي نوح رابطة عنق بنفس اللون، جلسا بجوار بعضهما، كانا في غاية السعادة، بعد ساعة من الاحتفال، تقدمت سندس تحمل في يدها علبة بداخلها دبلتين، قدمت لنوح دبله ذهبيه ذات فصوص بارزة ليقدمها إلى سلمى بعد ذلك قدمت إلى سلمى دبله فضية، مسكت سلمى يد نوح وألبسته الدبلة، نظرت في عينيه ثم قبلت يده أمام الجميع، ارتبك نوح ولكنه أسرع ولثم جبينها بقبلة، ثم احتضنها، طفر الدمع من عين سندس وهي ترى تلك السعادة التي غمرتهما.

وقف حسن مكي بعيدًا يتابع ما يحدث، غمرته السعادة أيضا، ظلت سندس تبحث عنه حتى تقابلا بأعينهما، ابتسمت له، أشار لها بيده إلى أحد أصابعه وهو يحرك يده إلى الأعلى والأسفل في إشارة يعرض من خلالها رغبته في الارتباط بسندس، لمعت عيناها الخضراوان أحمرت وجنتاها خجلا، أدارت وجهها في اتجاه نوح، اقتربت منه وقبلته وهمست له في أذنه قائلة:

- حتى الآن لم تقص على كيف عرفت بأمر ديدا؟

اقترب منها هامسا في أذنها مبتسمًا:

- سأقص عليكِ الأمر للمرة الثانية

قطبت جبينها ونظرت إلى حسن الذي ضحك وهو يهزّ رأسه،

أيقنت سندس أن حسن على علم بما يخطط له نوح، حُصرت بينهما، فكلا منهما يعرف عن الآخر أكثر مما تعرف هي.

علي الجانب الآخر من الشاطئ وبعد أن ساروا جميعا مسافة ليست قليلة وسط الصحراء والجبال الشاهقة، كانت الشمس تقترب من المغيب والقمر يسلك طريقه إلى السماء، الجو بارد قليلا والسماء بها بعض الغيوم، اقتربوا من مركب خشبي صغير رابض على الشاطئ حيث وقف أحمد في منتصفه يلوح بيده لنوح ليراه، اقترب منه نوح وصعد على المركب واحتضنه، أخذ يلتقط متعلقات حسن وسندس وسلمى ليضعها بالمركب، وقف أحد الطيور على ظهر المركب يتأملهم، مدّ يده لسلمى لكي تصعد أما حسن فقد قفز ومدّ يده هو أيضا ليساعد سندس على الصعود، بدأت السماء تمطر والمركب تهتز يمينا ويسار، ترنح نوح بجسده، أسرعت سلمى وأمسكت ذراعه، ابتسم لها وقبّل يدها، وقفت بجواره تنظر إلى الشاطئ الآخر، كان القمر يرسل ضوءه الساطع على المياه ليصنع لآلئ من ضوئه الأزرق، شقت المركب طريقها على ضوء البدر المنعكس على الماء، نظرت سندس إلى حسن، أمسك يدها في حنو، ولمحا من بعيد شُعُلات من نار تضيء الجانب الآخر من الشاطئ، نظروا جميعا إلى المنظر الخلاب الرائع، القمر بدر يتوسط قمتي جبلين.

اهتز المركب بشدة مرة أخرى فنظر نوح إلى سندس وقد بدا عليها الخوف وقال:

- طوفان أتى علينا وكان لابد أن نصنع سفينتنا حتى نبقى أحياء



# حسن - خاتمة

اجتاز الوقت حد الإدراك وسبحت الشمس في فضاء السماء حتى تجلى إشعاعها للجميع

استمر التسجيل وأنا لا أشعر كيف مضي الوقت بي جالسا على التبة، أضاءت الشمس الشاطئ وتجلي الجبلان واضحين أمامي، وبدأ الزوار يتهافتون على البحر، نظرت في اتجاه الكامب فلمحت سندس تتقدم إلى في بطء، كنت قد انتهيت من التسجيل وجال في بالي هل سيستفيد صغيري القادم مما قصصت عليه؟

بعد أن وصلت سندس إلى أسفل التبة، نادت على لكي أهبط إليها لنذهب سويا إلى نوح، قمت واقفا وخطوة الخطوة الأولي نحو الهبوط، لمحت نوح قادمًا من نفس اتجاه قدوم سندس ومعه سلمى وأحمد التايب، كانوا أيضا في الطريق إلي، انتظرني الجميع حتى هبطت إليهم، تأبطت سندس ذراعي واتجهنا جميعا إلى الكافيه الذي نملكه.

وفي الطريق إلى هناك لمحت المركب الصغير الذي عبرنا به إلى هذا الجانب، دنوت منه متأملا معالمه التي تغير بعد عام من الهجرة هنا، نظر نوح إلى وقد فهم ما أرمي إليه، اقترب مني ممسكا بيدي متجهين إلى المركب، القي بصره بداخله وابتسم قائلًا «سأعيد إصلاحه مرة أخرى .. فربما سنحتاج إليه يوما ما»

## تمت

يوليو 2016



# شكر خاص

## لكل من اهتم لإخراج هذا العمل

## بالشكل اللائق

| | |
|---|---|
| منتصر أمين | د. حسن كمال |
| محمد حرحش | أحمد خفاجة |
| دعاء السيد | أحمد علي عطية |
| أحمد مكي | محمد أمين راضي |
| د. أسامة فريد | د. نرمين فؤاد |
| كريم هنداوي | محمد فرج عبد الوهاب |
| أسامة يسرى | د. محمد نجيب ويفي |
| كريم الحسيني | نبيلة نادر |
| أحمد محمود | باسم شرف |
| محمد جوده | سمير عز |
| محمد عز | خالد جمال |
| أحمد عبد الحميد الطويل | أمين طاحون |

**لن أجد لك كلمات تفي حق القائمين على داردون :**

( أحمد سلامة - محمد مفيد - أحمد مهنى - أحمد البوهي - أحمد رويحل )



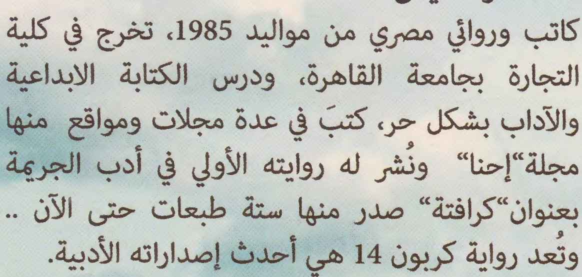

# كربون ١٤

الجريمة ليس لها أداة، والتشريح لن يسفر عن شيء، المادة مجهولة، والقضية خيوطها متشابكة .. تبدأ أحداث الرواية برجل يحاول الانتقام من امرأة خانته، فيبدأ طوفان من الأحداث لا ينتهي ، وعندما يأتي الطوفان فإن الجميع يصبح رهينة ما فعله في الماضي .. لماذا نلجأ للانتقام بدلا من التسليم بالأمر الواقع ومتابعة الحياة ؟ تغيرنا السنين ، تجعلنا أشخاص آخرين غير الذين اعتدنا عليهم ، تجعلنا كل الناس إلا نحن .. في هذة الرواية يبدأ نوح محاولات الانتصار للنفس فيقف في وجه العالم أجمع ..

في روايته الثانية يقدم محمد فؤاد عيسى نموذج مختلف عن الإنسان و الجريمة والحياة، محاولات جديدة لفهم كيف تؤثر فينا الأهواء وماذا تصنع بنا الاندفاعات.

---





**محمد فؤاد عيسى**

كاتب وروائي مصري من مواليد 1985، تخرج في كلية التجارة بجامعة القاهرة، ودرس الكتابة الابداعية والآداب بشكل حر، كتبَ في عدة مجلات ومواقع منها مجلة"إحنا" ونُشر له روايته الأولي في أدب الجريمة بعنوان"كرافتة" صدر منها ستة طبعات حتى الآن .. وتُعد رواية كربون 14 هي أحدث إصداراته الأدبية.

تصميم الغلاف كريم آدم


ISBN 978-977-806-021-8

